# تنبيه المغترين

للقطب الربانى والمحقق الصمدانى
سيدنا ومولانا العارف بربه
سيدى عبد الوهاب الشعرانى
عمت بركاته المسلمين
آمين

وبهامشه كتاب الكشف والتبيين فى غرور الخلق أجمعين
للشيخ الإمام العالم العلامة محمد بن محمد بن محمد
الغزالى رحمه الله تعالى

يطلب
من المعهد الإسلامى السلفى

# تنبيه المغترين

للقطب الربانى والمحقق الصمدانى

سيدنا ومولانا العارف بربه

سيدى عبد الوهاب الشعرانى

عمت بركاته المسلمين

آمين

﴿ وبهامشه كتاب الكشف والتبيين فى غرور الخلق أجمعين

للشيخ الامام العالم العلامة محمد بن محمد بن محمد الغزالى

رحمه الله تعالى ﴾

طبع على نفقة

مكتبة محمد بن شريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين وأقول سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (وبعد) فهذا كتاب نفيس صغير الحجم كبير القدر ضمنته جملة صالحة مما كان عليه السلف الصالح من صفات معاملتهم مع الله تعالى ومع خلقه وحررته على الكتاب والسنة تحرير الذهب والجوهر وذلك بحسب فهمي في حال التأليف فهو كالكتاب المسمى بالمنهاج للإمام النووي في الفقه فكما أن علماء العصر يفتون الناس بما فيه وما حوى من الترجيحات فكذلك علماء الصوفية رضي الله عنهم يفتون بما في هذا الكتاب من النقول المحررات الجيدات فاني شيدت أخلاقه بأفعال السلف الصالح من الصحابة والتابعين والعلماء العاملين رضي الله عنهم أجمعين وبما من الله تعالى علي بالتخلق به أوائل دخولي في طريق محبة القوم خوفا أن يقول بعض المتعنتين كيف يأمر نا فلان بالتخلق بأخلاق القوم وهو نفسه لم يقدر على هذه الأخلاق فلذلك صرحت بكثير من الأخلاق التي من الله تعالى بها علي دون أقراني بقولي وهذا خلق غريب لم أجد من تخلق به في هذا الزمان غيري تنبيها للسامعين على تخلقي به وانني ما دعوتهم الى التخلق به الا بعد تخلقي به ولولا ذلك لكان الأولى بنا كتم ذلك عن الاخوان كبقية أعمالنا التي لم ترمن يطلب الاقتداء بنا فيها اذلا فائدة في اظهار الأعمال الا لأحد شيئين اما ليقتدي الناس بالعبد فيها واما ليظهرها من باب الشكر لله تعالى لا غير وكأن لسان حالي يقول لكل متعنت انظر يا أخي في أخلاقي فما وجدتني يا أخي متخلقا به فتخلق به وما بقي لك عذر وما لم تجدني متخلقا به فعذري عذرك فيه وكثيرا ما أكرر الخلق مرارا بعبارات مختلفة اقتداء بالقرآن العظيم وبصحيح الامام البخاري وغيره من كتب الأدلة وبيانا للاعتناء بشأن ذلك الخلق وكثرة تساهل الناس بتركه كما أقول في بعض الأوقات وهذا الخلق قد صار غريبا في هذا الزمان ولا أعلم أحدا من أقراني تخلق به غيري اشارة لقلة من تخلق به من الأقران لا ازدراء للاخوان كما قد يتوهم معاذ الله أن أقصد مثل ذلك وكان من الباعث الأعظم لي على تأليف هذا الكتاب ما رأيته من تفتيش جماعة مولانا السلطان سليمان بن عثمان في النصف الثاني من القرن العاشر على ما اختلسه العمال

وغيرهم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم آمين وبه نقتي. الحمد لله وحده وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه (وبعد) فهذا كتاب الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين * اعلم ان الخلق قسمان حيوان وغير حيوان والحيوان قسمان

وغيرهم من ماله نصرة له وما رأيت أحدا من علماء الشرع يفتش على ما اندرس من معالم أخلاق الشريعة المحمدية نصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل جماعة مولانا السلطان نصره الله فأخذتني الغيرة الايمانية على الشريعة وألفت هذا الكتاب كالمبين لما اندرس من معالم أخلاقها في دولة علماء الظاهر والباطن فهو نافع لكل فقيه وصوفي في هذا الزمان لا يكاد أحد منهم يستغني عن النظر فيه كما ستعرفه عند مطالعتك الكتاب ان شاء الله تعالى وهو كالسيف القاطع لعنق كل مدع للمشيخة في هذا الزمان بغير حق لانه يفلسه حتى يرى نفسه منسلخة من أخلاق القوم كما تنسلخ الحية من ثوبها وأنى لأعرف بعض جماعة بلغهم أمر هذا الكتاب فتكدروا ولو أمكنهم سرقته وغسله لفعلوا خوفا أن ينظر فيه أحد ممن يعتقدهم فيتغير اعتقاده فيهم حين يراهم بمعزل عن التخلق بأخلاق القوم الذين يزعمون أنهم خلفاؤهم وكان الأولى بهم الفرح والسرور به فانه كله نصح ولا يجد أحد منهم من ينصحه بمثله في مثل هذا الزمان وقد ألف أخي الشيخ أبو الفضل رحمه الله تبرا أنا في نصح اخوانه وغيرهم نحو خمسة أوراق فكتبوها بماء الذهب واللازورد وفرحوا بها أشد الفرح فرضي الله عن الصادقين آمين. وكان تأليفي لهذا الكتاب بحسب الوقائع التي تقع مني ومن أصحابي وما من خلق ذكرته فيه الا وهو وارد على سبب أعرفه فرحم الله من رأى فيه خللا فأصلحه مساعدة لي على الخير فانه ليس منقولا من كتب بالاصالة وانما هو كالاستنباط من الكتاب والسنة وأقوال الائمة وجميع ما ذكرته فيه من النقول انما هو كالاستشهاد لما ذكرت لا غير كما ستراه ان شاء الله تعالى واذا كان المؤلف أول مستنبط لما ذكرناه احتاج كلامه الى من يتعقبه ويستدرك عليه ضرورة كما استدرك العلماء من المتأخرين على من سبقهم بخلاف من كان مؤلفه مجموعا من نقول المتأخرين فان كلامه لا يحتاج الى التعقب الا في النادر وذلك لانه يرى تنكيت العلماء على بعضهم فيأخذ العبارة السالمة من التنكيت كما فعل شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصاري في مؤلفاته رضي الله عنه فلذلك من ألف كتابا لم يسبق اليه فقد جعل كلامه هدفا لجميع المفسرين والمحدثين والفقهاء والأصوليين والنحاة والمتكلمين والصوفية والبيانيين وغيرهم فيحتاج في كل قولة الى جدال جميع هؤلاء العلماء قبل أن يضع تلك القولة قال تعالى. ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وذلك لعسر استحضار المؤلف جميع ما قيل في تلك المسئلة وما يرد على منطوقها ومفهومها ما حمل الكتابة ولو أنه قدر على ذلك لما احتاجت الكتب الى شروح ولا احتاجت الشروح الى حواش عليها وهذا شأني في مؤلفاتي كلها ما عدا الحديث والمختصرات من أصول فكلها مستنبطة من الكتاب والسنة وقد كان الامام عمر بن الخطاب يفتي الناس ويقول هذا قول عمر فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمن عمر انتهى وكذلك كان أبو حنيفة رضي الله عنه يفتي ويقول هذا أكثر ما قدرنا عليه في العلم فمن وجد أوضح منه فهو أولى بالصواب وكثيرا ما كان يقول هذه فتوى النعمان فان كانت صوابا فمن الله وان كانت خطأ فمن النعمان والتبعة عليه فيها في الدنيا والآخرة وهكذا يقول مؤلف هذا الكتاب وأرجو من فضل الله أن يكون هذا الكتاب كالمبين لما اندرس من أخلاق القوم رضي الله عنهم بعد الفترة التي حصلت بموت الأشياخ الذين أدركناهم في النصف الاول من القرن العاشر فقد أدركنا بحمد الله تعالى نحوا من مائة شيخ كان كل واحد منهم يستسقى به الغيث كسيدي علي المرصفي وسيدي محمد الشناوي وسيدي محمد بن داود وسيدي أبي بكر الحديدي وسيدي عبد الحليم بن مصلح وسيدي أبي السعود الجارحي وسيدي تاج الدين الذاكر وسيدي محمد بن عنان وسيدي علي الخواص وغيرهم ممن ذكرناهم في كتاب طبقات العلماء والصوفية فكل هؤلاء كانوا على قدم عظيم في الزهد والعبادة والورع وكف الجوارح الظاهرة والباطنة عن استعمالها في شيء مما نهاهم الله عنه وكان أحدهم لا يقبل شيئا من أموال الولاة ولو كان في غاية الضيق بل يطوى ويجوع حتى يجد شيئا من الحلال ولم يكن أحد منهم يتعاني ركوب الخيل ولا الملابس الفاخرة ولا الأطعمة النفيسة ولا يتزوج المنعمات ولا يسكن في القاعات المرخمات الا ان وجد ذلك من حلال في نادر من الأوقات وكان الملوك يعرضون عليهم الرزق والجوالي والمسامیح والمرتبات من بيت المال فيأبون ذلك ويقولون مال السلطان انما

مكلف وغير مكلف فالمكلف من خاطبه الله بالعبادة وأمره بها ووعده بالثواب عليها ونهاه عن المعاصي وحذره العقوبة وغير المكلف من لم يخاطبه بذلك ثم المكلف قسمان مؤمن وكافر والمؤمن قسمان طائع وعاص وكل واحد من الطائعين والعاصين ينقسم الى قسمين عالم وجاهل ثم رأيت للقرور

هو معدّ لصرفه في المصالح واقامة شعائر الدين وانفاقه على الجند الذابين عن المسلمين ونحن ليس فينا نفع لأحد
وكان أحدهم يقنع بالكسرة اليابسة يفتّها في الماء ويغمسها بملح ويكتفي بها منهم الشيخ أمين الدين الغمري
والشيخ محمد المغربي شيخ الجلال السيوطي ودخل عليه السلطان قايتباي مرة وهو يأكل رغيفا يابسا بلّه
في الماء فعرض عليه ألف دينار فردّها وقال لا حاجة لي بها وأنشد السلطان يقول

اقنع بلقمة وشربة ماء ولبس الخيش • وقل لعقلك ملوك الارض راحوا بيش

فحصل للسلطان عبرة وبكى وحمل الالف دينار فاين حال هؤلاء المشايخ من مشايخ هذا الزمان الذين يسافرون
من مصر أو الحجاز أو الشام الى الروم أو العراق ليسألوا أن يرتب لهم السلطان جوالي أو مسموحا أو مرتبا
مع ان أحدهم يجد في بلده ما يكفيه وكان الاولى بهم لو عرض عليهم ذلك أن يردوه ولا يزاحموا جند السلطان
في مال المصالح كما درج عليه سلفهم الصالح بل لم نر أحدا من مريدي المشايخ الذين أدركناهم يسافر من بلده
في طلب الدنيا فضلا عن المشايخ لأن أول قدم يضعه المريد في الطريق أن يخرج عما بيده من الدنيا ويرميه
في بحر الاياس كما هو معلوم وقد سافر مرة من مشايخ مصر شخص الى الروم فاجتمع بالوزير اياس باشا فقال
له ما صنعتك فقال شيخ من أهل الطريق فقال له اياس ما حاجتك التي جئت فيها قال ترتبوا لي شيئا من بيت
المال فقال له الوزير هل تعلم ان أحدا في مصر مثلك في الطريق فقال لا فقال له اياس أف لك من شيخ اذا كان
هذا حالك وأنت تزعم أنه ليس أحد في مصر أعلى منك مقاما في الطريق فكيف ببقية المشايخ لقد ازريت
بالفقراء وبهدلت الطريق فان أحد المريدين لو فعل مثل ذلك وسافر من بلده الى غيرها في طلب الدنيا لخرج
عن طريق الارادة فكيف تفعل أنت مثل ذلك في حال نهايتك وزجره وأمر باخراجه من عنده فرجع
خاسر المطلب ووقع لشخص من الشام أنه سافر الى الروم يطلب له زيادة مرتب من الجوالي وكانوا أعطوه
قبل ذلك أربعين نصفا كل يوم فلما بلغ اسلامبول جلس في طريق البلد وأرسل قاصده الى الوزير وكان
اذ ذاك اياس باشا أيضا يعلمه بقدوم سيدي الشيخ ليخرج الى لقائه فأتى الباشا وقال للقاصد قل له ان كان
لكم عندنا حاجة فأتونا الى البيت فذهب القاصد للشيخ وأخبره بمقالة الوزير ثم قال الوزير يا عجبا كيف
يسافر هذا من الشام الى الروم في طلب الدنيا ويطلب من الأمراء أن يعظموه ويخرجوا الى لقائه مع أنه محتاج
اليهم وليس أحد منهم يحتاج اليه واذا كان هذا يزعم أنه ولي وقد راض نفسه بأصناف المجاهدات وهو يرمي
نفسه على الأمراء لأجل طلب الدنيا فكيف بنا نحن مع عدم رياضتنا نفوسنا وعدم حاجتنا اليه ثم ان الباشا
أرسل للشيخ ضيافة ولم يأت اليه وقال انما فعلت ذلك مع الشيخ لأعلمه الأدب فان ذهاب مثلنا انما يكون لمن
تعرض عليه الدنيا فيردها علينا وأما من يطلبها منا ويسافر من وطنه لأجل ذلك فلا يستحق أن أحدا منا يمشي
اليه وآخر الأمر أن الشيخ رد خائبا الى بلاده وقال لي الأمير محمد فتردار مصر مرة أنا لا أعتقد في مشايخ مصر
الآن ولو مشى أحدهم في الهواء فقلت له لماذا فقال لأني رأيتهم يجتهدون في طلب الدنيا أكثر مما نجتهد نحن
فيها قال وقد دخل علي شيخ منهم في رمضان ليفطر عندي فقلت له هذا الطعام عندي في حله شك فلا تأكل
منه فقال قدمه لي وعلي حسابه في الآخرة فكيف أعتقد مثل هذا وأنا لا تطيب نفسي ان آكل منه مع اني
معدود من الظلمة اهـ ولما مات الشيخ نور الدين الشمراني رأيته في المنام وقال أنا نادم على قبول الرزقة
التي أعطاها لي خاير بك فاني طول عمري كنت حرا اهـ فاياك يا أخي أن تظن بالمشايخ الذين أدركناهم أنهم
كانوا مثل هؤلاء في قلة الورع والقناعة فتسيء الظن بهم واياك يا أخي أن تتظاهر بالمشيخة في هذا الزمان الا
ان كنت محفوظ الظاهر والباطن من التخليط كأكل أموال الكشاف ومشايخ العرب والظلمة فان تظاهرت
بذلك وظاهرك غير محفوظ فقد خنت الله ورسوله وأهل الطريق وأتلفت دين من يتبعك وكان عليك اثم
الائمة المضلين زيادة على اثمك لا سيما ان ادعيت انك أعلى مشايخ مصر مقاما فلذلك وضعت هذا الكتاب
كالميزان الذي يتبين به الراجح من الخاسر والمحق من المبطل والصالح من الطالح فاعرض يا أخي ما فيه من
الأخلاق على كل من طلبت أن تصحبه من هؤلاء المشايخ الظاهرين في هذا الزمان فان وجدته متخلقا به

فاصحبه

لعله وبدلت

لازما لجميع المكلفين
المؤمنين والكافرين الا
من عصمه الله رب العالمين
وأنا ان شاء الله تعالى كشف
عن غرورهم وأبين المحجة
فيه وأوضحه غاية الايضاح
وأبينه غاية البيان بأوجز
ما يكون من العبارة وأبدع
ما يكون من الاشارة فأقول
وما توفيقي الا بالله اعلم أن
المغرورين من الخلق ما عدا
الكافرين أربعة أصناف

فاصحبه واقتد به وقبل رجله وان وجدته غير متخلق به فاضرب عنه صفحا من غير ازدراء له وكل أمره الى الله تعالى فأكرم به من كتاب جاء على حين فترة من أيام الرجال الصادقين مجددا لما اندرس من أخلاق القوم كما درج عليه العلماء العاملون فى كل عصر فيأتى أحدهم مجددا بمؤلفاته لما اندرس من معالم الطريق كالحرث المحاسبى وأبى طالب المكى وأبى نعيم وأبى القاسم القشيرى والامام الغزالى والشهاب السهروردى وغيرهم رضى الله عنهم وقد كان من آخر المجددين فى القرن الثامن سيدى الشيخ أبو عبد الله محمد الغمرى المدفون بالمحلة الكبرى رحمه الله تعالى فكانوا يسمونه فقيه الصوفية فانه ضبط فى مؤلفاته أخلاق رسول الله ﷺ وأخلاق السلف الصالح ولا أعلم أحدا جاء بعده حذا حذوه فى ضبط أخلاق القوم غيرى بحمد الله تعالى كما ستراه ان شاء الله تعالى فى هذا الكتاب ولو ان أحدا فعل ذلك فى هذا العصر غيرى لكنت كلفت الاخوان على مطالعة مؤلفه وكنت لم أتعب نفسى فى تأليف هذا الكتاب لأنه يصير حينئذ لا فائدة فيه ولعل قائلا يقول ان مطالعة كتابك هذا تكشف عورات الفقراء من أهل العصر فهلا أسبلت ذيل الستر على اخوانك فانه لا يدع أحدا يعتقد فى أحد من مشايخ هذا العصر فنقول لهذا القائل ان جمهور العلماء والصوفية من السلف قد سبقونا الى التأليف فى مثل ذلك وبينوا أخلاق الصالحين من الطالحين والصادقين من الكاذبين والمتفعلين من المخلصين ولم يلتفتوا الى كون ذلك يلزم منه كشف سوأة من كان بخلاف الصفة من أخلاق السلف الصالح قال الله تعالى وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فهو وان لزم من بيان صفات الصالحين هتك أستار الكاذبين فلا حرج عليهم فى ذلك لقصدهم بالأصالة الخير للمسلمين ومعلوم ان الاثم انما هو تابع للقصد نظير ما قاله العلماء فى الجنب يقرأ القرآن لا بقصد القرآن أنه لا يأثم قالوا الا انه لا يكون قرآنا الا بالقصد ويؤيد ذلك ما ذهب اليه جمهور علماء الأصول من أن لازم المذهب ليس بمذهب فعلم أنه يجب حمل أشياخ الشريعة والحقيقة الذين حطوا على أهل زمانهم انهم انما قصدوا رفع همة اخوانهم الى أرفع مما هم عليه من الاخلاق الحسنة لا لغير محبة فى رسول الله ﷺ وفى احياء شريعته لا تشفيا للنفس من الاقران وطلبا للرياسة عليهم وانتشارا للصيت عليهم بالصلاح حاشاهم رضى الله عنهم من قصد مثل ذلك وأسأل الله تعالى من فضله أن ينفع بهذا الكتاب مؤلفه وكاتبه وسامعه والناظر فيه انه سبحانه وتعالى سميع مجيب وسميته * تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر * جعله الله تعالى خالصا لوجهه الكريم وأعيذه بكلمات الله التامات من شر كل عدو وحاسد يدس فيه ما ليس من كلامى مما يخالف ظاهر الكتاب والسنة كل ذلك لأجل أن ينفر الناس من مطالعته ويحرمهم مما فيه من الفوائد كما وقع لى ذلك فى كتابى المسمى بالبحر المورود فى المواثيق والعهود وفى مقدمة كتابى المسمى بكشف الغمة عن جميع الأمة وحصل بسبب ذلك فتنة عظيمة فى الجامع الازهر وغيره وظن غالب المتهورين أن ما دسوه من العقائد الزائغة والمسائل الخارقة لاجماع المسلمين من جملة ما اعتقدته وتدينت به وما سلم من الوقوع فى عرضى الا القليل من الناس ثم لم تخمد تلك الفتنة حتى أرسلت النسختين الصحيحتين من العهود ومن كشف الغمة الى العلماء بالجامع الازهر وكنت بحمد الله تعالى قد أطلعت عليهما مشايخ الاسلام ووضعوا خطوطهم عليهما وأجازوهما ومدحوا تأليفهما ففتشوهما فلم يجدوا فيهما شيئا مما دسه الحسدة وأشاعوه فعند ذلك سبوا من فعل ذلك وبرأوا ساحتى من تلك العقائد الزائغة بحمد الله وما تخلف بعد ذلك عن تبرئتى الا من وقف مع حظ نفسه ولم يستبرئ لدينه وكان ممن جملة من برأنى وحماه الله من الوقوع فى عرضى سيدنا ومولانا شيخ الاسلام الشهاب ابن النجار الحنبلى وسيدنا ومولانا الشيخ ناصر الدين اللقانى وسيدنا ومولانا الشيخ شهاب الدين الرملى وسيدنا ومولانا الشيخ شهاب الدين الحلبى الحنفى وسيدنا ومولانا الشيخ ناصر الدين الطبلاوى والأخ الصالح الشيخ شمس الدين محمد الخطيب الشربينى والأخ الصالح الشيخ نور الدين الطندتائى والأخ الصالح الشيخ نجم الدين الغيطى والأخ الصالح الشيخ سراج الدين الحانوتى الحنفى والأخ الصالح الشيخ شمس الدين العلقمى والأخ الصالح الشيخ عبد القادر الرشدى والأخ الصالح الشيخ شمس الدين

صنف من العلماء وصنف من العباد وصنف من أرباب الاموال وصنف من المتصوفة فاول ما نبدأ به غرور الكفار وهم فى غرورهم قسمان فمنهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور فاما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك

البرهمتوشى الحنفى والأخ الصالح الشيخ زين الدين الجيزى والأخ الصالح الشيخ أمين الدين بن عبد العال وجماعة كثيرة ذكرناهم فى طبقات الأخيار رضى الله عنهم فكل هؤلاء لم يبلغنى أن أحدا منهم صدق فى شيئا مما دسه الحسدة وأعرف بعض جماعة من المتهورين فى الوقوع فى أعراض الناس يعتقدون فى سوء العقيدة بحكم تلك الاشاعة الى وقتنا هذا وما منهم أحد اجتمع بى قط ولا فاوضنى فى علم ولا رآنى ولا رأنا أو لف ولا قامت عنده بذلك بينة عادلة فالله تعالى يغفر لهم ويسامحهم وقد بلغنى عن شخص ممن ينتسب الى العلم صار يقول بما هذه الأمور التى تواترت عن هذا الرجل وسماها متواترة مع أن الدس والاشاعة لم يكونا من سوى شخصين من أهل مصر خاصة وهما معروفان بين أصحابنا لا ينبغى ذكرهما خوفا من ست الناس لهما وقد ماتا ودرجا الى رحمة الله تعالى. فطالع يا أخى كتبى وانتفع بما فيها من النصح ولا تصغ الى قول حاسد فانى حررتها بحمد الله على الكتاب والسنة قبل أن أضعها فى الورق وأنا رجل سنى محمدى وما ألفت شيئا من الكتب حتى تبحرت فى علوم الشريعة وحررت موادها على مشايخ الاسلام كالشيخ زكريا الانصارى والشيخ برهان الدين بن أبى شريف والشيخ عبد الحق السنباطى والشيخ نور الدين المحلى وأضرابهم رضى الله عنهم واياك يا أخى أن تلتفت الى قول أحد من أتباع هذين الشخصين اللذين وقع منهما الدس فى كتبى فربما كان يعتقد فى السوء تقليدا لشيخه وكان سبب تحريك داء الحسد فى هذين الشخصين أنهما لما رأوا الناس بادروا الى كتابة مؤلفاتى دبرا تلك الحيلة ودسا فى كتبى العقائد الزائغة المتعلقة بالباطن لعلمهما أنهما لو رمياني بالفسق والمعاصى الظاهرة لكذبهما الناس ولم يحصل لهما ما قصداه من تنفير الناس عن مطالعة كتبى وقد أبرأت ذمتهما فى الدنيا والآخرة وسامحت جميع من اغتابنى بسببهما ثم الحمد لله رب العالمين الذى جعلنا من أهل العفو والسماح. اذا علمت ذلك فلنشرع فى مقصود هذا الكتاب ان شاء الله تعالى فأقول وبالله التوفيق والاعانة ﴿من أخلاق السلف الصالح﴾ رضى الله عنهم ملازمة الكتاب والسنة كلزوم الظل للشاخص ولا يتصدر أحدهم للارشاد الا بعد تبحره فى علوم الشريعة المطهرة بحيث يطلع على جميع أدلة المذاهب المندرسة والمستعملة ويصير يقطع العلماء فى مجالس المناظرة بالحجج القاطعة أو الراجحة الواضحة وكتب القوم مشحونة بذلك كما يظهر من أقوالهم وأفعالهم وقد كان سيد الطائفة الامام أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه يقول كتابنا هذا يعنى القرآن سيد الكتب وأجمعها وشريعتنا أوضح الشرائع وأدقها وطريقتنا يعنى طريق أهل التصوف مشيدة بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويحفظ السنة ويفهم معانيهما لا يصح الاقتداء به وكان رضى الله عنه يقول ما نزل من السماء علم وجعل الحق تعالى لغير نبى اليه سبيلا الا وجعل لى فيه حظا ونصيبا وكان رضى الله عنه يقول لأصحابه لو رأيتم رجلا قد تربع فى الهواء فلا تقتدوا به حتى تروا صنعه عند الأمر والنهى فان رأيتموه ممتثلا لجميع الأوامر الالهية مجتنبا لجميع المناهى فاعتقدوه واقتدوا به وان رأيتموه يخل بالأوامر ولا يجتنب المناهى فاجتنبوه انتهى (قلت) وهذا الخلق قد صار غريبا فى فقراء هذا الزمان فصار أحدهم يجتمع بمن ليس له قدم فى الطريق ويتلقف منه كلمات فى الفناء والبقاء والشطح مما لا يشهد له كتاب ولا سنة ثم يلبس له جبة ويرخى له عذبة ثم يسافر الى بلاد الروم مثلا ويظهر الصمت والجوع فيطلب له مرتبا أو مسموحا ويتوسل فى ذلك بالوزراء والأمراء فربما رتبوا له شيئا فيصير يأكله حراما فى بطنه لسكونه أخذه بنوع تلبيس على الولاة واعتقادهم فيه الصلاح وقد دخل على شخص منهم فصار يخوض بغير علم ولا ذوق فى الفناء والبقاء ومعه جماعة يعتقدونه فواظبنى أياما فقلت له يوما أخبرنى عن شروط الوضوء والصلاة ما هى فقال لى أنا ما قرأت فى العلم شيئا فقلت له يا أخى ان تصحيح العبادات على ظاهر الكتاب والسنة أمر واجب بالاجماع ومن لم يفرق بين الواجب والمندوب ولا بين المحرم والمكروه فهو جاهل والجاهل لا يجوز الاقتداء به لا فى طريق الظاهر ولا طريق الباطن فخرس ولم يرد جوابا ثم انقطع عنى من ذلك اليوم وكان قد آذانى شرا من سوء أدبه فأراحنى الله منه وكان شيخنا سيدى على الخواص رحمه الله يقول ان طريق القوم رضى الله عنهم محررة على الكتاب والسنة تحرير الذهب والجوهر وذلك لأن لهم فى كل حركة وسكون نية صالحة بميزان شرعى ولا يعرف ذلك الا من تبحر

ولا يترك اليقين بالشك وهذا قياس فاسد وهو قياس ابليس لعنه الله فى قوله أنا خير منه فظن أن الخيرية فى السبب وعلاج هذا الغرور بشيئان اما بتصديق وهو الايمان واما ببرهان أما التصديق فهو أن يصدق الله تعالى فى قوله وما عند الله خير وأبقى وقوله تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور

فى علوم الشريعة انتهى ﴿ قلت ﴾ فكذب والله وافترى من يقول ان طريق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة وقوله ذلك من أكبر العلامات الدالة على كثرة جهله فان حقيقة الصوفى عند القوم هو عالم عمل بعلمه على وجه الاخلاص لا غير وغاية ما يطلبه القوم من تلامذتهم بالمجاهدات بالصوم والسهر والعزلة والصمت والورع والزهد وغير ذلك ان يصير احدهم يأتى بالعبادات على الوجه الذى يشبه ما كان عليه سلفهم الصالح لا غير ولكن لما اندرست طريق السلف باندراس العاملين بها ظن بعض الناس انها خارجة عن الشريعة لقلة من يتخلق بصفات أهلها كما بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب المنهج المبين فى بيان أخلاق العارفين فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ توقفهم عن كل فعل أو قول حتى يعرفوا ميزانه على الكتاب والسنة أو العرف لأن العرف من جملة الشريعة قال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف فعلم أن القوم لا يكتفون فى أقوالهم وأفعالهم بمجرد عمل الناس بها لاحتمال أن يكون ذلك الفعل أو القول من جملة البدع التى لا يشهد لها كتاب ولا سنة وفى الحديث لا تقوم الساعة حتى تصير السنة بدعة فاذا تركت البدعة يقول الناس تركت السنة وذلك لتوارث الفروع البدع عن أصولهم فلما طال زمن العمل بالبدع ظن الناس أنها سنة مما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن القوم طائفة اذا لم يجدوا لذلك العمل دليلا من سنة النبى صلى الله عليه وسلم الثابتة فى كتب الشريعة يتوجهون بقلوبهم اليه صلى الله عليه وسلم فاذا حضر وا بين يديه سألوه عن ذلك وعملوا بما قال لهم الآن مثل ذلك خاص بأكابر الرجال * فان قيل فهل لصاحب هذا المقام أن يأمر الناس بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا * فالجواب لا ينبغى له ذلك لانه أمر زائد على السنة الصحيحة الثابتة من طريق النقل ومن أمر الناس بشئ زائد على ما ثبت من طريق النقل فقد كلف الناس شططا اللهم الا أن يختار أحد ذلك فلا حرج كما هو شأن مقلدى المذاهب المستنبطة من الكتاب والسنة والله أعلم وقد كان السلف الصالح رضى الله عنهم يحثون الناس لا سيما أصحابهم على التقيد بالكتاب والسنة واجتناب البدع ويشددون فى ذلك حتى ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ربما كان يهم بالأمر ويعزم عليه فيقول له بعض الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك ولم يأمر به فيرجع عما كان عزم عليه قال وهم مرة أن يأمر الناس بنزع ثياب كانوا يلبسونها حين بلغه أنها تصبغ ببول العجائز فقال له شخص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لبس منها ولبسها الناس فى عصره فاستغفر الله تعالى ورجع وقال فى نفسه لو كان عدم لبسها من الورع لما لبسها صلى الله عليه وسلم وقد بلغنا أن الامام زين العابدين رضى الله عنه قال لولده اتخذ لى ثوبا ألبسه عند قضاء الحاجة وأنزعه وقت شروعى فى الصلاة فانى رأيت الذباب يجلس على النجاسة ثم يقع على ثوبى فقال له ولده انه لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا ثوب واحد لصلاته وخلائه فرجع الامام عما كان عزم على فعله * قلت المنقول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن الذباب ينزل على ثوبه ولا على بدنه فلا يصلح ما ذكر دليلا الا أن يكون قال له ولده لم يأمر أحدا فليتأمل وأما ما نقل عن أبى يزيد البسطامى رحمه الله تعالى من أنه كان له ثوب لصلاته وثوب لخلائه فليس ذلك من حيث وقوع الذباب كما وقع لزين العابدين وانما ذلك من باب الأدب أن لا يكون ثوب الخلاء هو ثوب الصلاة نظير ما قالوا فى تحريم استقبال القبلة واستدبارها فى الغائط فطلب الشارع أن لا تكون جهة قضاء الحاجة هى جهة الوقوف للصلاة فافهم فعليك يا أخى باتباع السنة المحمدية فى جميع أفعالك وأقوالك وعقائدك ولا تقدم على فعل شئ حتى تعلم موافقته للكتاب والسنة انتهى فكذب والله وافترى من يقول ان طريق القوم بدعة واذا كان من يهاب مخالفة الشريعة ويتوقف عن العمل حتى يعلم موافقته للشرع مبتدعا فما بقى على وجه الارض سنى والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ كثرة تفويضهم الى الله تعالى فى أمر أنفسهم وأولادهم وأصحابهم فلا يكون معولهم فى أمر هدايتهم الا عليه عز وجل ولا يطلبون شيئا قط بأنفسهم وهم غائبون عن الاستناد الى الله تعالى وقد كان ولدى عبد الرحمن ليست له داعية الى طلب العلم وكنت فى حصر عظيم من جهته فالهمنى

---

وتصديق الرسول فيما جاء به وأمثال البرهان فهو أن يعرف وجه فساد قياسه ان قوله الدنيا نقد والآخرة نسيئة مقدمة صحيحة وأما قوله النقد خير من النسيئة فهو محل التلبيس وليس الأمر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة فى المقدار والمقصود فهو خير وان كان أقل منها فالنسيئة خير منه

الحق سبحانه أن أفوض أمره اليه ففعلت فأصبح من تلك الليلة يطالع فى العلم بنفسه من غير أمرى له بذلك
وحصلت عنده حلاوة العلم من تلك الليلة وصار فهمه يترجح على فهم من سبقه بالاشتغال بسنين فأراحنى الله
تعالى بتفويضى اليه من التعب الذى كنت فيه معه الله تعالى يجعله من العلماء العاملين بما علموا آمين. وقد
سمعت شيخنا سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ما ثم أنفع لأولاد العلماء والصالحين من الدعاء لهم
بظاهر الغيب مع تفويض أمرهم الى الله تعالى وذلك لأن أحدهم يتربى فى الدلال على والده مع مساعدة
أمور ان كانت ويكتفى بتعظيم الناس له بحكم التبع لأبيه فلا يصير عنده داعية لاكتساب الفضائل غالبا فلو يقول
فى نفسه ان الذى كنت أتعب فى تحصيله من الجاه بالاشتغال بالعلم والرياضة قد حصل لى بواسطة والدى
بخلاف أولاد العوام خصوصا الفلاحين فان أحدهم يفتح عينه على الضرب والحبس والاهانة من الحكام
وأعوانهم ويأخذون منه الخراج بالاهانة الشديدة فيصير يتفكر فى عمل حيلة تعتقه من ذلك فيلهمه
الحق تعالى أن يشتغل بالعلم والقرآن فلا يزال كلما عظمه الناس تزداد رغبته فى العلم والمجاهدة حتى يصير
شيخ الاسلام أو شيخ الطريق وقد كان سيدى الشيخ أحمد الزاهد رحمه الله يخلى ولده على كل خلوة أربعين
يوما فلا يفتح عليه فيقول ياولدى لو كان الأمر بيدى ما قدمت أحدا عليك فى معرفة الطريق انتهى * قلت
وقد خولفت هذه القاعدة فى بعض أولاد العلماء والصالحين كأولاد الشيخ تقى الدين السبكى وأولاد الشيخ
سراج الدين البلقينى فجاء أولادهم فى غاية الكمال وكذلك فى بعض جماعة من علماء عصرنا وأقرانه
كسيدى محمد بن الرملى وسيدى محمد بن البكرى وسيدى عبد القدوس بن الشناوى وسيدى على بن الشيخ
محمد المنير وسيدى محمد بن الشيخ أبى الحسن الغمرى وجماعة ذكرناهم فى طبقات العلماء والصوفية التى
سميناها لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار كثر الله فى المسلمين من أمثالهم ونفعنا ببركاتهم آمين والحمد لله
رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله عنهم ﴾ كثرة اخلاصهم فى علمهم وعملهم وخوفهم من دخول الرياء فى ذلك
ونبسط لك يا أخى فى هذا المحل لكثرة حاجة الناس الى ذلك فنقول ثبت فى الأحاديث الصحيحة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله عز وجل جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال
لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون ثلاثا ثم قالت أنا حرام على كل بخيل ومراء وكان وهب بن منبه رحمه
الله تعالى يقول من طلب الدنيا بعمل الآخرة نكس الله قلبه وكتب اسمه فى ديوان أهل النار وكان الحسن
البصرى رحمه الله تعالى يقول كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول من عمل بما علم كان وليا لله حقا وكان
سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول قالت لى والدتى يابنى لا تتعلم العلم الا اذا نويت العمل به والا فهو وبال
عليك يوم القيامة وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى كثيرا ما يعاتب نفسه ويوبخها بقوله تتكلمين
بكلام الصالحين القانتين العابدين وتفعلين فعل الفاسقين المنافقين المرائين والله ما هذه صفات المخلصين
وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول من لم يكن فى أعماله أكيس من ساحر وقع فى الرياء وقد قيل
لذى النون المصرى رحمه الله تعالى متى يعلم العبد أنه من المخلصين فقال اذا بذل المجهود فى الطاعة وأحب
سقوط المنزلة عند الناس وكان محمد بن المنكدر رحمه الله تعالى يقول أحب للاخوان أن يظهر أحدهم
السمت الحسن بالليل فانه أشرف من سمت النهار لانه فى النهار يراه الناس وفى الليل يكون لرب العالمين وقد
قيل مرة ليونس بن عبيد رحمه الله تعالى هل رأيت أحدا يعمل بعمل الحسن البصرى فقال والله ما رأيت
من يقول بقوله فكيف أرى من يعمل بعمله كان وعظه يبكى القلوب ووعظ غيره لا يبكى العيون وقيل ليحيى
ابن معاذ رحمه الله تعالى متى يكون العبد مخلصا فقال اذا صار خلقه كخلق الرضيع لا يبالى من مدحه أو ذمه
وقد كان أبو السائب رحمه الله تعالى اذا طرقه بكاء فى سماع قرآن أو حديث أو نحو ذلك يصرفه الى التبسم
وكان أبو عبد الله الانطاكى رحمه الله تعالى يقول اذا كان يوم القيامة قال الله للمرائى خذ ثواب عملك ممن
كنت ترائيه وفى رواية عنه اذا طلب المرائى ثواب عمله يوم القيامة يقال له خذ ثواب عملك ممن كنت ترائيه وفى

لأن الآخرة أبدية والدنيا
غير أبدية وانما قولهم لذات
الدنيا يقين ولذات الآخرة
شك فهو أيضا باطل بل
ذلك يقين عند المؤمنين
وليقينه مدركان أحدهما
الايمان والتصديق على
وجه التقليد للأنبياء
والعلماء كما يقلد الطبيب
الحاذق فى الدواء والمدرك
الثانى الوحى للأنبياء والالهام
للأولياء ولا تظن أن معرفة

رواية يقال له ألم توسع لك الناس فى المجالس لأجل عملك و عليك ألم تكن زبيسا فى دنياك ألم ترخص لك الناس
بيعك وشراءك ألم يكرموك ألم ألم مثل هذا وأشباهه وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول مادام
العبد يستأنس بالناس فلا يسلم من الرياء وكان الانطاكى يقول المتزينون ثلاثة متزين بالعلم ومتزين بالعمل
ومتزين بترك التزين فهو أغمضها وأحبها الى الشيطان وكان اياس بن معاوية أخا لابراهيم التيمى وكان كل
منهما لايثنى على الآخر من ورائه و يقول الثناء محدود من الجزاء وأنا لا أحب نقص ثواب أخى بالثناء
عليه بين الناس وكان أبو عبد الله الانطاكى رحمه الله يقول من طلب الاخلاص فى أعماله الظاهرة وهو
يلاحظ الخلق بقلبه فقد رام المحال لان الاخلاص ماء القلب الذى به حياته والرياء يميته وقد كان يوسف بن
أسباط رحمه الله تعالى يقول ما حاسبت نفسى قط الا وظهر لى أنى مراء خالص وكان الحسن البصرى رحمه الله
تعالى يقول من ذم نفسه فى الملا فقد مدحها وذلك من علامات الرياء وكان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول
لو أن المرائى بعلمه وعمله أخبر الناس بما فى ضميره لمقتوه وسفهوا عقله وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى
يقول لا تسأل أخاك عن صيامه فانه ان قال أنا صائم فرحت نفسه بذلك وان قال أنا غير صائم حزنت نفسه
وكلاهما من علامات الرياء وفى ذلك فضيحة للمسئول واطلاع على عورته من السائل وكان عبد الله بن المبارك
رحمه الله تعالى يقول ان الرجل ليطوف بالكعبة وهو يرائى أهل خراسان فقيل له وكيف قال يحب أن
يقول فيه أهل خراسان ان فلانا مجاور بمكة على طواف وسعى فهنيئاله وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى
يقول أدركنا الناس وهم يراءون بما يعملون فصاروا الآن يراءون بما لا يعملون وكان رحمه الله تعالى اذا قرأ
قوله تعالى ونبلو أخباركم يقول اللهم انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وأنت أرحم الراحمين وكان أيوب
السختيانى رحمه الله تعالى يقول ان من الرياء أن لا تعمل تطاولك على غيرك بما تحفظه من كلام الناس
وأقوالهم فى العلم فان ذلك الذى تتطاول به ليس من عملك ولا استنبطته وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى
يقول ما اتقى الله من أحب أن يذكره الناس بخير ولا أخلص له وكان عكرمة رحمه الله يقول أكثروا
من النية الصالحة فان الرياء لا يدخل فى النية وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول لا يحتاج شىء من
فروع الاسلام الى نية بعد اختيار صاحبه للدخول فى الاسلام وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول
كل عمل يعمله المؤمن من أعمال الاسلام ولم يحضر فيه نية تحية الاسلام تجزيه (قلت) وفى ذلك تقوية
للحنفية وكان نعيم بن حماد رحمه الله تعالى يقول ضرب الظهر بالسياط أهون علينا من النية الصالحة وكان
منصور بن المعتمر رحمه الله تعالى وثابت البنانى رحمه الله يقولان طلبنا العلم وما لنا فيه نية ثم رزقنا الله النية
الصالحة بعد ذلك لان العلم كله يبعث صاحبه على الاخلاص فيصير يطلبه حتى يحصل له وكان الحسن
البصرى رحمه الله تعالى يقول دخول أهل الجنة وأهل النار فيهما يكون بالأعمال وخلودهم فيهما يكون
بالنيات وكان أبو داود الطيالسى رحمه الله تعالى يقول ينبغى للعالم اذا حرر كتابه أن يكون قصده بذلك نصرة
الدين لا مدحه بين الأقران لحسن التأليف (وفى التوراة) كل عمل قبلته فهو كثير وان كان قليلا وكل عمل
رددته فهو قليل وان كان كثيرا وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول اذا كان يسأل الصادقين عن
صدقهم مثل اسمعيل وعيسى عليهما الصلاة والسلام فكيف بالكاذبين من أمثالنا ولبس داود الطائى ثوبه
مقلوبا مرة فقالوا له ألا تغيره فقال انى لبسته لله فلا أغيره وقد كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول ان
للمرائى ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده ويصلى النوافل جالسا وينشط اذا كان مع الناس ويزيد فى
العمل اذا مدحوه كما ينقص منه اذا ذموه وقد كان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول كل شىء أظهرته من
عملى فلا أعده شيئا لعجز أمثالنا عن الاخلاص اذا رآه الناس وكان ابراهيم التيمى يلبس لبس الفتيان فكان
لا يعرف أحد أنه من العلماء الأصحابه وكان يقول المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وكان سفيان
الثورى رحمه الله تعالى يقول قل عالم تكبر حلقة درسه الا وبطرقه العجب بنفسه وقد مر الحسن البصرى
على طاوس رحمهما الله تعالى وهو يملى الحديث فى الحرم فى حلقة كبيرة فقرب منه وقال له فى أذنه ان كانت

النبى صلى الله عليه وسلم
لأمور الآخرة ولأمور
الدنيا تقليد لجبريل عليه
السلام فان التقليد ليس
بمعرفة صحيحة والنبى صلى
الله عليه وسلم حاشاه الله
من ذلك بل قد انكشفت
له الأشياء وشاهدها بنور
البصيرة كما شاهد
المحسوسات بالعين الظاهرة

﴿فصل﴾ والمؤمنون
بألسنتهم وعقائدهم اذا

نفسك تعجبك فقم من هذا المجلس فقام طاوس فورا وقد مر ابراهيم بن أدهم على حلقة بشر الحافي رحمهما الله تعالى فانكر عليه لكبر حلقة درسه وقال لو كانت هذه الحلقة لأحد من الصحابة ما أمن على نفسه العجب وقد كان سفيان الثورى رحمه الله تعالى لا يترك أحدا يجلس اليه الا نحو ثلاثة انفس فغفل يوما فرأى الحلقة قد كبرت فقام فزعا وقال أخذنا والله ولم نشعر والله لو أدرك أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه مثلى وهو جالس فى هذا المجلس لأقامه وقال له مثلك لا يصلح لذلك وكان رحمه الله تعالى اذا جلس لإملاء الحديث يجلس مرعوبا خائفا وكانت السحابة تمر عليه فيسكت حتى تمر ويقول أخاف أن يكون فيها حجارة ترجمنا بها وقد ضحك شخص مرة فى حلقة الأعمش رحمه الله تعالى فزجره وأقامه وقال تطلب العلم الذى كلفك الله تعالى به وأنت تضحك ثم هجره نحو شهرين وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول لولا آية فى كتاب الله تعالى ما حدثتكم ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى الآية قال ولما ترك سفيان الثورى رضى الله عنه التحديث قالوا له فى ذلك فقال والله لو أعلم أن أحدا منهم يطلب العلم لله تعالى لذهبت الى منزله ولم أتعبه وقد قيل مرة لسفيان بن عيينة رحمه الله تعالى ألا تجلس فتحدثنا فقال والله ما أراكم أهلا لان أحدثكم ولا أرى نفسى أهلا أن تسمعوا منى وما مثلى ومثلكم الا كما قال القائل افتضحوا فاصطلحوا وقد كان حاتم الأصم رحمه الله تعالى يقول لا يجلس لتعليم العلم فى المساجد الجامع للدنيا أو جاهل بما عليه فى ذلك من الواجبات وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما مع جلالته من العلم اذا فرغ من تفسيره للقرآن يقول اختموا مجلسنا بالاستغفار وكان شداد بن حكيم رحمه الله تعالى يقول من كان فيه هذه الثلاث خصال فليجلس ليعلم الناس والا فليدع الجلوس أن يذكرهم بنعم الله تعالى ليشكروه ويذكرهم بذنوبهم ليتوبوا منها ويعرفهم بعدوهم ابليس ليحذروا منه وكان ابن وهب رحمه الله تعالى يقول سألت الامام مالكا رضى الله عنه عن الراسخين فى العلم من هم فقال هم العاملون بالعلم وليس شىء أعز من العلم لان صاحبه يحكم به على الملوك وقد قيل لابن المبارك رحمه الله من الناس عندك فقال العلماء العاملون المخلصون قيل له فمن الملوك قال الزهاد فى الدنيا قيل له فمن السفلة قال الذين يأكلون الدنيا بعلمهم وعملهم ودينهم وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول العلماء سرج الأزمنة فكل عالم مصباح زمانه يستضىء به أهل عصره ولولا العلماء لصار الناس كالبهائم وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول حياة العلم السؤال عنه والعمل به وموته تركهما وكان عكرمة رحمه الله تعالى يقول لا تعلموا العلم الا لمن يعطى ثمنه فقيل له وما ثمنه قال أن يضعه العالم عند من يعمل به وكان سالم بن أبى الجعد رحمه الله يقول اشترانى مولاى بثلاثمائة درهم فاشتغلت بالعلم فما مضى على سنة حتى جاءنى الخليفة زائرا فلم أفتح له وكان الشعبى رحمه الله تعالى يقول من أدب العلماء اذا علموا أن يعملوا فاذا عملوا اشتغلوا بذلك عن الناس فاذا اشتغلوا فقدوا واذا فقدوا طلبوا واذا طلبوا هربوا خوفا على دينهم من الفتن وفى الحديث أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وفى الحديث أيضا سيأتى على الناس زمان يكون عبادهم جهالا وعلماؤهم فساقا وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول من أفتى الناس فى المشكلات من غير تربص ولا تأمل فقد عرض نفسه لدخول النار وكان يقول من أفتى الناس فى كل ما يسألونه فهو مجنون وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لا تكن ممن يجمع علم العلماء ويجرى فيه مجرى السفهاء وقد بلغنا أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان يقول ما أكثر العلوم وليس كلها بنافع وما أكثر العلماء وليس كلهم برشيد وكان ابراهيم ابن عتبة رحمه الله تعالى يقول أطول الناس ندما يوم القيامة عالم يتعاظم بعلمه على الناس وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول أخوف ما أخاف على هذه الأمة من عالم باللسان جاهل بالقلب وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول يهتف العلم بالعمل فان أجابه والا ارتحل انتهى وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول لا يزال المرء عالما ما دام يظن أن فى بلده من هو أعلم منه فاذا ظن أنه أعلمهم فقد جهل وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول انى لأبكى على العالم اذا رأيت الدنيا تلعب به ولو كان أهل القرآن والحديث صبروا على الزهد فى الدنيا ما تبذل بهم الناس واستوأنا من أن يقال فلان العالم أو العابد قد قدم

متبعوا أوامر الله وهى الأعمال الصالحة ويدنسوا بالشهوات فهم مشاركون الكفار فى هذا الغرور فالحياة الدنيا للكافرين والمؤمنين جميعا غرور فأما غرور الكافرين بالله فمثاله قول بعضهم فى أنفسهم بألسنتهم انه ان كان ثم معاد لنا فنحن أحق به من غيرنا كما أخبر الله عنهم فى سورة الكهف حيث قال

ساجا

جا في نفقة فلان التاجر وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول اذا طلب العالم الدنيا ذهب بهاؤه وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول عقوبة العلماء تكون بموت قلوبهم وموت قلوبهم تكون بطلبهم الدنيا بعمل الآخرة فيتقربون بذلك عند أبناء الدنيا وكان سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم العالم يغشى أبواب الأمراء فهو لص وقد كان الأوزاعى رحمه الله تعالى يقول ما من شىء أبغض الى الله من عالم يزور عاملا من العمال وكان مكحول رحمه الله تعالى يقول من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم مشى الى بيت أمير لغير حاجة ضرورية فقد خاض في جهنم بعدد خطاه وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول قرأت في بعض الكتب المنزلة ان أهون ما أنا صانع بالعالم اذا طلب الدنيا بعلمه أن أحرمه لذيذ مناجاتى وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه في دينه فان كل محب يخوض فيما أحب انتهى وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول واعجباه من ألسنة تصف وقلوب تعرف وأعمال تخالف وقد كان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول ان من أشقى الناس يوم القيامة عالما عمل الناس بعلمه وهو لم يعمل به وقد كان ابراهيم التيمى رحمه الله تعالى يقول ما عرضت قولي على عملي الا وجدت عملي مكذبا لقولي وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول لقد أعربنا في الكلام فلم نلحن ولحنا في العمل فلم نعرب وكان الأوزاعى رحمه الله تعالى يقول اذا جاء الاعراب في الالفاظ ذهب الخشوع من القارئ والسامع وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان يقول مثل من يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت سرا فجاءها المخاض فافتضحت وكذلك من لم يعمل بعلمه يفضحه الله يوم القيامة على رءوس الاشهاد وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول كان رسول الله ﷺ يقول اذا جاء الشيطان الى أحدكم وهو يصلى فقال انك مراء فليزدها طولا وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول العمل لاجل الناس رياء وترك العمل لاجل الناس شرك والاخلاص أن يعافيك الله منهما (قلت) ومعنى ترك العمل لاجل الناس أن لا يحب أن يعمل الا في محل يحمده الناس فيه فان لم يجد من يحمده ترك العمل وكسل عنه وقد كان بشر الحافى رحمه الله تعالى يقول لا ينبغى لامثالنا أن يظهر من أعماله الصالحة ذرة فكيف بأعماله التى دخلها الرياء فالأولى بأمثالنا الكتمان وقد بلغنا أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان يقول للحواريين رضى الله عنهم اذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس أنه صائم وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول خير العلم والعمل ما خفى عن الناس وكان عكرمة رحمه الله يقول ما رأيت أقل عقلا ممن يعلم من نفسه السوء ويحب من الناس أن يصفوه بالعلم والصلاح ولا بد لقلوب المؤمنين أن تطلع على سوء سريرته ومثله كمثل من غرس شوكا وطلب أن يحمل له رطبا وكان قتادة رحمه الله تعالى يقول اذا راءى العالم بعلمه وعمله يقول الله تعالى للملائكة عليهم السلام انظروا الى هذا يستهزئ بى ولم يخش منى وزنا العظيم الجبار وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رأى أحدا يطاطئ عنقه في الصلاة يضربه بالدرة ويقول له ويحك ان الخشوع في القلب وقد مر أبو أمامة رضى الله عنه يوما على شخص ساجد وهو يبكى فقال نعم هذا لو كان في بيتك حيث لا يراك الناس وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول من أراد أن ينظر الى مراء فلينظر الى وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول مررت على حجر فرأيت مكتوبا عليه أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب زيادة العلم وكان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى يقول أوحى الله تعالى الى نبى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام قل لقومك يخفوا أعمالهم عن الخلق وأنا أظهرها لهم وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يوبخ نفسه كثيرا ويقول في مناجاته من أسوأ حالا منى عاملت عبادك في الظاهر بالامانة وعاملتك في السر بالخيانة وكان الفضيل بن عياض يقول من يدلني على عابد بكاء بالليل صوام بالنهار وأنا أدعو له وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول ان علانية بغير سريرة صالحة مثل كنيف مزخرف من خارجه وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لو صحت النية في العلم لم يكن عمل أفضل منه ولكنهم تعلموه لغير العمل به وجعلوه شبكة لصيد الدنيا وقد دخل سفيان الثورى على الفضيل

ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة الآية وسبب هذا الغرور قياس من أقيسة ابليس لعنه الله وذلك أنهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعم الآخرة ومرة ينظرون الى تأخير عذاب الله عنهم في الدنيا فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما أخبر الله عنهم أنهم يقولون لولا

ابن عياض رحمهما الله تعالى يوما فقال له عظني يا أبا علي فقال له الفضيل و بماذا أعظكم معاشر العلماء كنتم سرجا يستضاء بكم في البلاد فصرتم ظلمة وكنتم نجوما يهتدى بكم في ظلمات الجهل فصرتم حيرة يأتي أحدكم الى أبواب هؤلاء الولاة فيجلس على فرشهم و يأكل من طعامهم و يقبل هداياهم ثم يدخل بعد ذلك الى المسجد فيجلس فيه ثم يقول حدثنا فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا والله ما هكذا يطلب العلم قال فبكى سفيان حتى خنقته العبرة وخرج وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم العالم أو العابد ينشرح لذكره بالصلاح عند الأمراء وأبناء الدنيا فاعلموا أنه مراء وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم طالب العلم كلما ازداد علما كلما رغب في الدنيا وشهواتها فلا تعلموه فانكم تعينوه على دخول النار بتعليمكم اياه وكان كعب الأحبار رضي الله عنه يقول سيأتي على الناس زمان يتعلم جهالهم العلم ثم يتغايرون به على القرب من الأمراء كما يتغاير النساء على الرجال فذلك حظهم من العلم وكان صالح المري رحمه الله تعالى يقول من ادعى الاخلاص في العلم فليعرض على نفسه اذا وصفه الناس بالجهل والرياء فان انشرح صدره لذلك فهو صادق وان انقبض من ذلك فهو مراء وكان رحمه الله تعالى يقول احذروا علماء الدنيا ان تجالسوه فانه يفتنكم بزخرفة كلامه ومدحه للعلم وأهله من غير عمل به وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول من علامة المرائين بعلمهم أن يكون علمهم كالجبال وعملهم كالذر وكان يقول لو أن حامل العلم عمل به لتجرع مرارته ولم يفرح به لأنه كله تكاليف وكلما ازداد علما ازداد تكاليف فلا ينبغي للعالم أن يفرح بعلمه الا بعد مجاوزة الصراط وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول اطلبوا العلم للعمل فان أكثر الناس قد غلطوا في ذلك فظنوا النجاة بعلمهم من غير عمل به فأين الآيات والأخبار الواردة في تعذيب من لم يعمل بعلمه وكان ذو النون المصري رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم كلما ازداد علما ازداد زهدا في الدنيا وتقليلا من متاعها ونراهم اليوم كلما ازداد أحدهم علما ازداد في الدنيا رغبة وكثرة لأمتعتها من لباس ومطعم ومسكن ومنكح ومركب وخدم ونحو ذلك وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول كيف يكون حامل القرآن عاملا به وهو ينام الليل و يفطر النهار و يتناول الحرام والشبهات وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول لو أن هؤلاء القراء أحياء لوجدوا ألم النار في بطونهم اذا أكلوا الحرام ولكنهم أموات يرتعون في الجيف والنار وقد كان منصور بن المعتمر رحمه الله تعالى يقول لعلماء زمانه انكم لستم علماء وانما أنتم متلذذون بالعلم يسمع أحدكم المسئلة و يحكيها للناس ولو أنكم عملتم بعلمكم لتجرعتم المرارات والغصص ولحثكم علمكم على التورع حتى لا يجد أحدكم رغيفا يأكله وكان الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى يقول كيف يصح للعالم أن يرائي بعلمه وهو يعلم من نفسه أن تعلمه لغير الله وذلك حابط من أصله فكيف يرى نفسه على الناس بما هو حابط وقد كان الامام النووي رحمه الله تعالى اذا دخل عليه أمير على غفلة وهو يدرس في العلم في المدرسة الأشرفية أو جامع بني أمية يتكدر لذلك واذا بلغه أن أحدا من الأكابر قد عزم على زيارته في يوم درسه لا يدرس العلم ذلك اليوم خوفا أن يراه ذلك الأمير وهو في محفله ودرسه العظيم و يقول من علامة المخلص أن يتكدر اذا اطلع الناس على محاسن عمله كما يتكدر اذا اطلعوا على مساويه فان فرح النفس بذلك معصية وربما كان الرياء أشد من كثير من المعاصي وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول قبيح بالعالم أن يشبع في هذا الزمان من الحلال فكيف بمن يشبع من الحرام والله لو أني أكلت أكلة وصارت في بطني كالآجرة تكفيني حتى أموت فقد قيل أنها تمكث في الماء أكثر من ثلاثمائة سنة وكان يقول ورع العلماء انما هو في ترك تناول الشهوات أما المعاصي الظاهرة فتراهم يتركونها خوفا أن تذهب عظمتهم من قلوب الناس وكان رحمه الله تعالى يقول بلغني أنه يأتي في آخر الزمان رجال يتعلمون العلم لغير الله تعالى كيلا يضيع ثم يكون عليهم تبعة يوم القيامة (قلت) و يؤيده حديث ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر والله أعلم وكان بكر بن عبد الله المزني رحمه الله تعالى يقول من علامة المرائي بعلمه أن يرغب الناس في العلم و يذكر لهم ما فيه من الفضائل ثم ان شاوره أحد في القراءة على أحد من أقرانه لا يرغبه فيه كل

يعذبنا الله بما نقول ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء فيزدرونهم و يقولون أهؤلاء من الله عليهم من بيننا و يقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذي نظم في قلوبهم انهم يقولون قد أحسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فهو محسن وليس كذلك بل يكون

٥ لعله: مختبر

الترغيب وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول قد غلبت على القراء في هذا الزمان أكل الحرام والشبهات حتى غرقوا في شهوة بطونهم وفروجهم واتخذوا علمهم شبكة يصطادون بها الدنيا وكان الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى يقول لولا نقص دخل على أهل القرآن والحديث لكانوا خيار الناس ولكنهم اتخذوا علمهم حرفة ومعاشا ولذلك هانوا في ملكوت السموات والأرض وكان بشر الحافي رحمه الله تعالى يقول من عقل العاقل أن لا يطلب زيادة العلم الا اذا عمل بكل ما علم فيتعلم حينئذ العلم كي يعمل به وكان الشعبي رحمه الله تعالى يقول اطلبوا العلم وان تم تبكون فانه كله حجة عليكم عند ربكم قال ولما ترك بشر الحافي رحمه الله تعالى الجلوس لإملاء الحديث قالوا له ماذا تقول لربك يوم القيامة فقال أقول يا رب انك أمرتني فيه بالاخلاص ولم أجد عند نفسي اخلاصا وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم طالب العلم يطلب الزيادة من العلم دون العمل فلا تعلموه فان من لم يعمل بعلمه كشجرة الحنظل كلما ازداد ريا بالماء ازداد مرارة وكان يقول واذا رأيتموه يخلط في مطعمه ومشربه وملبسه ونحو ذلك ولا يتورع فكفوا عن تعليمه تخفيفا للحجة عليه غدا وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لو أن عبدا علم العلم كله وعبد الله حتى صار كهذه السارية أو الشن البالي ثم انه لم يفتش ما يدخل جوفه أحلال هو أم حرام ما تقبل الله منه عبادة وكان بشر الحافي رحمه الله تعالى يقول والله لقد أدركنا أقواما كانوا لا يعلمون أحدا العلم حتى يروضوا نفسه سنين كثيرة ويظهر لهم صلاح نيته وكان عبد الرحمن بن القاسم رحمه الله تعالى يقول خدمت الامام مالكا رضي الله عنه عشرين سنة فكان منها ثمانية عشر في تعلم الأدب وسنتان منها في تعلم العلم فياليتني جعلت المدة كلها في تعلم الادب وقد كان الامام مالك رضي الله عنه يقول ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم ما انتفع وعمل به صاحبه وكان الامام الشافعي رضي الله عنه يقول قال لي الامام مالك رضي الله عنه يا محمد اجعل عملك دقيقا وعلمك ملحا وقد كان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول من حمل القرآن ثم مال بقلبه الى الدنيا فقد اتخذ آيات الله هزوا ولعبا واذا عصى حامل القرآن ربه ناداه القرآن من جوفه والله ما لهذا حملت أين مواعظي وزواجري وكل حرف مني يناديك ويقول لا تعص ربك وكان الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه اذا رأى طالب العلم لا يقوم من الليل يكف عن تعليمه وقد بات عنده أبو عصمة ليلة من الليالي فوضع له الامام أحمد ماء للوضوء ثم جاء قبل الفجر فوجده نائما والماء بحاله فأيقظه وقال له لم جئت يا أبا عصمة فقال له جئت أطلب منك الحديث يا امام فقال له الامام أحمد كيف تطلب الحديث وليس لك تهجد في الليل اذهب من حيث جئت وكان الامام الشافعي رضي الله عنه يقول ينبغي للعالم أن يكون له خبيئة من عمل صالح فيما بينه وبين الله تعالى فان كل ما ظهر للناس من علم أو عمل قليل النفع في الآخرة وما رأى أحد أحدا في منامه بعد موته وقال غفر الله لي بعلمي الا القليل من الناس وقد رؤي الامام أبو حنيفة رضي الله عنه بعد موته فقيل له كيف حالك قال غفر الله لي فقيل له بالعلم فقال هيهات ان للعلم شروطا وآفات قل من ينجو منها قال ورأى بعضهم الجنيد بعد موته رحمه الله تعالى فقال له ما فعل الله بك فقال قد طاحت تلك الاشارات وفنيت تلك العبارات وما نفعنا الا بعض ركيعات كنا نركعها في السحر قال ورأى بعضهم أبا سهل الصعلوكي بعد موته رحمه الله فقال له ماذا صنع علمك فقال كل ما كان من دقائق العلوم وجدته هباء منثورا الا بعض مسائل سألني عنها العوام انتهى ففتش يا أخي نفسك في علمك وعملك واياك على نفسك ان رأيت عندها رياء أو سمعة مما ينهاك عنه هؤلاء السادة من العلماء العاملين المخلصين والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ هجرهم لأخيهم اذا خالط الأمراء وتردد الى أبوابهم لغير ضرورة شرعية ولا لمصلحة كقيامه بالأمر بالمعروف ونحوه عملا بحديث ان في جهنم واديا يقال له هبهب أعده الله للجبارين وللقراء المداهنين الذين يدخلون على أمراء الجور وقد قال والي البصرة يوما لمالك بن دينار رحمه الله تعالى أتدري ما الذي جرأك علينا في اغلاظك القول وعدم قدرتنا على مقابلتك عدم طمعك فيما

محسنا ولا يكون محبا بل ربما يكون الاحسان سبب هلاكه على التدريج وذلك محض الغرور بالله تعالى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه من الطعام والشراب وهو يحبه وكذلك كان أرباب البصائر اذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا واذا أقبل

بأيدينا وزهدك فيه وكان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول دخلت يوما على والي البصرة فقال لي عظني يا ابن السماك فقلت له أف عليك وعلى من ولاك مظالم العبادا بما تملحون أن يسد بكم الجسور وقد دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه مدرعة صوف فقال له قتيبة ما الذي دعاك الى لبس مدرعة الصوف فسكت محمد فقال مالي أكلمك وأنت ساكت فقال محمد ان قلت زهدا زكيت نفسي وان قلت فقرا شكوت ربي وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول والله لو استأذن على هارون الرشيد ما أذنت له الآن أغلب على ذلك فكيف بمن يذهب هواليه من هؤلاء الفقراء وقد جاء محمد بن ابراهيم والي مكة يسلم على سفيان الثوري في المطاف فقال ماذا تريد بالسلام ان كنت تريد أن أعلم أنك تطوف اذهب فقد علمت وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لا يصلح أن يدخل على الأمراء ويخالطهم الا مثل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأما أمثالنا فلا يصح له الدخول عليهم لعجزه عن مواجهتهم بالنصح والانكار عليهم فيما يراه منهم من الظلم والجور ونحوه كفرش الحرير والستائر وغير ذلك وقد ذكر وأمرة عند معاوية رضي الله عنه كلاما وكان الأحنف بن قيس رحمه الله جالسا فلم يتكلم فقال له معاوية مالك لا تتكلم يا أحنف فقال اني أخشى الله تعالى ان كذبت وأخشاك ان صدقت فرأيت السكوت أولى انتهى وسيأتي زيادة على ذلك مفرقا والحمد لله رب العالمين

(أخذ علينا العهود في أخلاقهم) فمنها عملهم على ترك النفاق بحيث تتساوى سريرتهم وعلانيتهم في الخير فلا يكون لأحدهم عمل يفتضح به غدا في الآخرة ومن وصية أبي العباس الخضر عليه السلام لعمر بن عبد العزيز لما اجتمع به في المدينة المشرفة وسأله أن يوصيه بوصية فقال له اياك يا عمر أن تكون وليا لله في العلانية وعدوا له في السر فان من لم تتساو سريرته وعلانيته فهو منافق والمنافقون في الدرك الأسفل من النار فبكى عمر حتى بل لحيته وفي الحديث يخرج في آخر الزمان أقوام يختالون أي يطلبون الدنيا بعمل الآخرة أي الدنيا بالدين يلبسون جلود الضأن من اللين ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله تعالى أبي يغترون أم علي يجترؤون فبي حلفت لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحليم فيهم حيران وكان المهلب ابن أبي صفرة رحمه الله تعالى يقول اني لأكره الرجل يكون لسانه فضل على فعله وكان عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى يقول ما بلغ الحسن البصري رحمه الله تعالى الى ما بلغ الا لكونه كان اذا أمر الناس بشيء يكون أسبقهم اليه واذا نهاهم عن شيء كان أبعدهم منه وكانوا يقولون ما رأينا أحدا أشبه سريرته بعلانيته من الحسن البصري وكان معاوية بن قرة رحمه الله تعالى يقول بكاء القلب خير من بكاء العين وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول القلوب كالقدور وهي تغار فيها ألسنة أصحابها فكونوا عبيدا بأفعالكم كما أنكم عبيد بأقوالكم وكان مروان بن محمد رحمه الله تعالى يقول ما وصف لي رجل قط الا وجدته دون ما وصفوه به الا وكيعا رحمه الله تعالى فاني وجدته فوق ذلك وكان عتبة بن عامر رحمه الله تعالى يقول اذا وافقت سريرة العبد علانيته قال الله تعالى للملائكة هذا عبدي حقا وكان أبو عبد الله الأنطاكي رحمه الله تعالى يقول أفضل الأعمال ترك المعاصي الباطنة فقيل له ولم ذلك قال لأن الباطنة اذا تركت كان صاحبها للمعاصي الظاهرة أترك فمن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل ومن تساوت سريرته وعلانيته فذلك العدل ومن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور وكان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى يقول أوحى الله تعالى الى نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن قل لقومك يخفوا لي أعمالهم وأنا أظهرها لهم وقد مر مثل ذلك في الخلق قبله وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول في مناجاته يا وحي عاملت الناس بالأمانة وعاملت ربي بالخيانة فليتني عكست ثم يبكي وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول من أمر الناس بشيء لم يبلغه حاله فهو منافق الا أن يسأله أحد عن حكمه وكان يقول اياك أن تكون في النهار ولي الله الصالح وفي الليل شيطان طالح وتقدم عن ابراهيم التيمي أنه كان يقول ما عرضت علمي على عملي الا وجدت نفسي غير عامل بما علمت وكان الزبير ابن العوام رضي الله عنه يقول اجعلوا لكم خبيئة من العمل الصالح كما أن لكم خبيئة من العمل السيء وتقدم

عليهم الفقر فرحوا وقالوا مرحبا بشعار الصالحين وقد قال تعالى فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه الآية وقال تعالى أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم ان كيدي متين وقال تعالى

قول معاوية بن قرة من يدلني على رجل يبكي بالليل ويتبسم في النهار أي إن ذلك لقليل وكان أبو مسلم
الخولاني رحمه الله تعالى يقول من نعمة الله علي أنني منذ ثلاثين سنة ما فعلت شيئا يستحيي منه الا أقربي من
أهلي وكان أبو عبدالله السمرقندي رحمه الله تعالى اذا مدحه الناس يقول والله ما مثلي ومثلكم الا كمثل
جارية ذهبت بكارتها بالفجور وأهلها لا يعلمون بذلك فهم يفرحون بها ليلة الزفاف وهي حزينة خوف
الفضيحة وكان أبو أمامة رضي الله عنه يعيب على الرجل بكاءه في المسجد بحضرة الناس وكان ميمون بن
مهران رحمه الله يقول علانية بغير سريرة مثل كنيف مزخرف من خارجه ومن داخله النتن والخبث ومن
افتخر بمال لم يصبه يكذبه كسبه وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول من أراد أن يعده الناس من
الصالحين بالقول فقط دون موافقتهم في الأعمال فهو كمن دخل وليمة الملك لقوم خاصين بغير اذن ومن اكتفى
بالقول دون العمل جازاه الله بالوعد دون العطاء كعقوبة له وكان بلال بن سعد رحمه الله تعالى يقول اذا ادعى
الفقير الزهد بغير حق رقص الشيطان حوله يضحك عليه ويسخر به وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنه
يقول لا يجد عبد صريح الايمان حتى يعلم بأن الله تعالى يراه فلا يعمل سرا يفتضح به يوم القيامة وكان مالك
ابن دينار رحمه الله تعالى يقول لو علمتم ما أغلق بابي عليه دونكم ما جلس أحد منكم حوله (قلت) وهذا من
باب الهضم لنفسه والاتهام لها رضي الله عنه وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول قد غلب على القراء
في هذا الزمان الرياء يظهرون للناس النسك والعبادة وبواطنهم مشغول بالغل والحقد والشحناء لبعضهم واذا
كان لكم حاجة عند قارئ فلا تتشفعوا عنده بقارئ مثله يقسو بطلبه عليكم ولكن تشفعوا عنده بأحد من
الأغنياء فانه أقضى لحاجتكم انتهى وسيأتي الكلام على هذا الخلق في مواضع من هذا الكتاب ففتش
نفسك يا أخي هل تساوت سريرتك وعلانيتك أم لا وأكثر من الاستغفار واعلم أن من أظهر للناس خلاف
ما في باطنه فهو منافق يحشر غدا مع المنافقين فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم ﴾ كثرة الصبر على جور الحكام وشهودهم أن ذلك دون ما يستحقونه
بذنوبهم وكان صالح المري رحمه الله تعالى يقول اذا لم تتساو سريرة الناس وعلانيتهم فلا يستغربون ما يحل
بهم من أنواع البلايا والآفات وكان عمر بن عبدالعزيز رحمه الله يقول كان الحجاج الثقفي بلاء من الله وافق
خطيئة وكان الامام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه يقول اذا ابتليت بسلطان جائر فخرقت دينك بسببه فرقعه
بكثرة الاستغفار لك وله أيضا وقد كتب أخ لمحمد بن يوسف رحمه الله تعالى يشكو اليه من جور الولاة في بلاده
فأجابه محمد بقوله قد بلغنا كتابك ولا يخفى عن علمك يا أخي أنه ليس لمن عمل بالمعصية أن ينكر وقوع العقوبة
وما أرى ما أنتم فيه الا من شؤم الذنب والسلام وقد حبس هارون الرشيد رحمه الله تعالى رجلا ظلما فكتب
اليه الرجل اعلم يا هارون أنه ما من يوم يمضي من حبسي وبؤسي الا ويمضي من عمرك ونعيمك مثله والأمر
قريب والحاكم بيني وبينك الله تعالى قال فلما قرأها الرشيد خلى سبيله وأحسن اليه قال وجاء أمره بمال
من السلطان لابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى ليفرقه على الفقراء الذين يعرفهم فرده ابراهيم عليهم وقال
اذا حاسب الله تعالى الظالم يوم القيامة على ما اكتسبه من المال يقول أعطيته لابراهيم فيرجع يوم القيامة
الظالم علي بذلك ولكن من جمعه فهو أولى بتفريقه وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول مكتوب في
التوراة يقول الله تعالى قلوب الملوك بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا
تشغلوا أنفسكم بسب الملوك وتوبوا الي أعطفهم عليكم وكان عبدالملك بن مروان رحمه الله تعالى يقول
لرعيته أنصفونا يا معاشر الرعية تطلبون منا أن نسير فيكم سيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولا تسيرون أنتم
بسيرة رعاياهما فنسأل الله أن يعين كل واحد منا على صاحبه وكان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول كما ابتليتم
بالأعمال التي لا ترضي ربكم وقلتم ان الله تعالى قدر ذلك فأقيموا العذر لولاتكم فان الله تعالى هو المقدر عليهم
ما ظلموكم به فان أحدهم يود أن لا يظلم أحدا منكم ولكن أعمالكم هي السبب في ظلمكم قال ولما أفضت
الخلافة الى عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى بكى ثم خير نساءه وجواريه وقال قد أتاني أمر شغلني عنكن

فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا
عليهم أبواب كل شيء حتى
اذا فرحوا بما أوتوا
أخذناهم بغتة فاذا هم
مبلسون فلم يؤمن بالله من
أمن بهذا الغرور ومنشأ
هذا الغرور الجهل بالله
وبصفاته فمن عرف الله فلا
يأمن من مكره ولا ينظرون
الى فرعون وهامان والنمروذ
ماذا حل بهم مع ما أعطاهم
الله من المال وقد حذر الله

فلا أتفرغ لكن حتى يفرغ الناس من الحساب يوم القيامة فبكى عند ذلك أهل بيته حتى ظن جيرانهم أنه مات عندهم أحد وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا العلماء وهم يرون جلوسهم في بيوتهم أفضل فصاروا اليوم وزراء الأمراء وقهارمة الظلمة وقد سئل عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى عن شخص يكتب بقلمه عند الأمراء لا يجاوز ما جعلوه له من الرزق فقال عطاء أرى أن يترك ذلك أما سمع قول موسى عليه الصلاة والسلام رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين وكان وهب بن منبه رحمه الله يقول اذا هم الوالي بالجور أدخل الله النقص في أهل مملكته حتى في الأسواق والأرزاق والزروع والثمار والضروع وفي كل شيء وكان أبو ذر رضي الله عنه يقول سيأتي على الناس زمان تكون أعطيتهم من الولاة أثمان أديانهم وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول من تبسم في وجه ظالم أو وسع له في المجلس أو أخذ من عطائه فقد نقض عرا الاسلام وكتب من جملة أعوان الظلمة والمراد بعرا الاسلام هنا مخالفة قواعد السلف وقد كان طاوس رحمه الله تعالى يكثر الجلوس في بيته فقيل له في ذلك فقال انما اخترت ذلك لحيف الأئمة وفساد الرعية وذهاب السنة فان من فرق بين ولده والعبد في اقامة الحق فهو جائر وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول لم يكن أحد أحب الي من عمر بن عبد العزيز ولأن أراه ميتا أحب الي من أن أراه ولي عملا وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول اذا سمعتم الأمير بعد العزل فاعلموا أنه قد خان رعيته وخان ربه قال ودخل أبو العالية يوما على الرشيد رحمهما الله تعالى فقال له احذر دعوة المظلوم فان الله لا يردها ولو من فاجر وفي رواية ولو من كافر انتهى فتأمل يا أخي في نفسك وانظر هل وفيت بحق رعيتك في زاويتك وحق جوارحك بحيث استعملتها في مرضاة الله تعالى ومنعتها معاصيه أو غششت نفسك وجوارحك فان كل راع مسؤول عن رعيته واياك يا أخي والدخول على الأمراء ولو بقصد أنك تأمرهم وتنهاهم فان ذلك لا يتم لك معهم والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم ﴾ غيرتهم لله تعالى اذا انتهكت حرماته نصرة للشريعة المطهرة فكانوا لا يفعلون فعلا ولا يصحبون أحدا الآن علموا رضا الله تعالى فيه فلا يحبون أحدا ولا يبغضونه لعلة دنيوية وقد ثبت في الحديث الحب في الله والبغض في الله من أوثق عرا الايمان فلو عبد الشخص ربه لعبادة الثقلين طلبا للثواب وهو غافل عن كون ذلك ضمن مرضاة الله تعالى فهو خارج عن الطريق وقد أوحى الله الى موسى عليه الصلاة والسلام هل عملت لي عملا فقال نعم يا رب صليت وصمت وتصدقت وذكر أشياء فقال الله تعالى هذا لك ولكن هل واليت لأجلي وليا أو عاديت لأجلي عدوا فعلم عند ذلك موسى أن الحب في الله والبغض في الله من أفضل الأعمال وكان علي بن الحسين رضي الله عنهما يقول لا يصطحب اثنان على غير طاعة الله الا تفرقوا على غير طاعة الله وقد كان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى يقول اذا دخلتم على الولاة فلا تخصوهم بالدعاء فانهم محاربو الله ورسوله ولكن ادعوا للمسلمين فان كانوا منهم لحقتهم الدعوة وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول اذا صحبت أحدا لا تسأل عن مودته لك ولكن انظر ما في قلبك له ونفسك فان ما عندك مثل الذي عنده على حد سواء انتهى وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول اذا أحدث الرجل حدثا ولم يبغضه من زعم أنه أخوه فمحبته لغير الله اذ لو كانت لله لغضب على من عصاه وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول يؤتى بالعبد يوم القيامة بين يدي الله تعالى فيقول الله عز وجل له هل أحببت لي وليا حتى أحبك له انتهى فأحبوا الصالحين واتخذوا عندهم أيادي فان لهم دولة يوم القيامة وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول مصارمة الفاسق قربة الى الله تعالى (قلت) ومراده مصارمته بالقلب وأما في الظاهر فلا تنبغي مصارمته لأجل تقويم عوجه وتبغيضه في صفات الفسق فان الفاسق ضالة كل داع الى الله تعالى فافهم ذلك والله أعلم وقد سئل سفيان الثوري رحمه الله تعالى هل تعزى الفاسق اذا مات له ميت قال لا وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يذكر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ويبكي ويترحم على معاوية رضي الله عنه ويقول انه كان من أكابر العلماء الا أنه ابتلي بحب الدنيا انتهى (قلت) الذي ينبغي حمل حبه للدنيا

تعالى من مكره فقال تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال تعالى فمهل الكافرين أمهلهم رويدا فمن أولاه الله نعمة فليحذر أن تكون نقمة

﴿ فصل ﴾ وأما غرور العصاة من المؤمنين فقولهم غفور رحيم وانما نرجو عفوه فاتكلوا على ذلك

على

على أنه يحبها العمل الآخرة كما غلبة السلف الصالح بل هو أولى بقصد ذلك من الأولياء لأنه صحابي جليل رضى الله عنه والله أعلم وكان الحسن البصري رحمه الله يقول من ادعى أنه يحب عبد الله تعالى ولم يبغضه اذا عصى الله تعالى فقد كذب في دعواه أنه يحبه لله وكان محمد بن الحنفية رضى الله عنه يقول من أحب رجلا من أهل النار لخير ظهر منه أجره الله على ذلك ومن أبغض رجلا من أهل الجنة لشر ظهر منه أجره الله على ذلك وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى لا يطرد الكلب اذا جلس بحذائه ويقول هو خير من قرين السوء وكفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا ويقع في الصالحين وكان أحمد بن حرب رحمه الله تعالى يقول ليس شيء أنفع لقلب العبد من مخالطة الصالحين والنظر الى أفعالهم وليس شيء أضر على القلب من مخالطة الفاسقين والنظر الى أفعالهم وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول أولياء الله ريحان في الارض فاذا شمه المريدون ووصلت رائحته الى قلوبهم اشتاقوا الى ربهم انتهى فتأمل يا أخي حالك هل أحببت أحدا لله وأبغضته كذلك لله تعالى أم أحببت بالهوى وأبغضت بالهوى وابك على نفسك وأكثر من الاستغفار ليلا ونهارا والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ قلة الضحك وعدم الفرح بشيء من الدنيا بل كانوا ينقضبون بكل شيء حصل لهم من ملابسها ومراكبها ومناكحها ومناصبها عكس ما غلبه أبناء الدنيا كل ذلك خوفا أن يكون من جملة ما عجل لهم من نعيم الآخرة وكيف يفرح بشيء من هو في السجن محبوس عن لقاء الله عز وجل فكما يحزن المحبوس عن داره وعياله ويتكدر كذلك يحزن أولياء الله تعالى على طول عمرهم وسجنهم في هذه الدار عن لقاء ربهم عز وجل وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله عز وجل وقد كان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول عجبت من ضاحك ومن ورائه النار ومن مسرور ومن ورائه الموت وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى لا يراه أحد الا ظن أنه قريب عهد بمصيبة لما يراه به من شدة الحزن والخوف وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول رب ضاحك وأكفانه قد خرجت من عند القصار وكان ابن مرزوق رحمه الله تعالى يقول من ادعى أن الذنوب غمته وأحزنته ثم جمع في ادامه بين عسل وسمن فهو كاذب وكان الأوزاعي رحمه الله تعالى يقول في قوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها الصغيرة هي التبسم في هذه الدار والكبيرة هي القهقهة فيها (قلت) ولعل مراده رحمه الله تعالى بالتبسم هنا الضحك بصوت يسمعه من في مجلسه اذ التبسم كان ضحكه ﷺ وكان ثابت البناني رحمه الله تعالى يقول ما ضحك مؤمن قط الا وهو في غفلة عن الموت وكان عامر بن قيس رحمه الله يقول أكثر الناس ضحكا في الدنيا أكثرهم بكاء في النار ومكث سعيد بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لم يضحك منذ أربعين سنة حتى مات وكذلك غزوان الرقاشي وكان أنس بن مالك رضى الله عنه يقول مع كل ضحاك في مجلس شيطان وقد مرت معاذة العدوية رحمها الله تعالى يوما على شبان يضحكون وعليهم ثياب صوف فقالت سبحان الله لباس الصالحين وضحك الغافلين وكان وهيب بن الورد رحمه الله يقول الضحك الذي لا اسراف فيه هو الذي يظهر به السن ولا يسمع له صوت واللباس الذي لا اسراف فيه هو ما وارى العورة ووقاك من الحر والبرد والطعام الذي لا اسراف فيه هو ما سد الجوع وكان دون الشبع وكان عون بن أبي زيد رحمه الله تعالى يقول صحبت عطاء السلمي رحمه الله خمسين سنة فما رأيته ضاحكا قط وقد كان عبد العزيز بن أبي داود رحمه الله تعالى يقول لما ظهر المزاح في أصحاب رسول الله ﷺ أنزل الله تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فتركوا المزاح حينئذ وخشعوا رضى الله عنهم انتهى والآثار في ذلك كثيرة مشهورة في كتاب الرقائق وما تميز أهل الله عز وجل عن غيرهم الا بالاقبال على الآخرة والتهيؤ لأحوالها فتأمل يا أخي في نفسك وما أنت منطو عليه من الغفلة والسهو عما يقربك الى الله تعالى وأكثر من الاستغفار والحمد لله رب العالمين

وأهملوا الأعمال وذلك من قبيل الرجاء محمود في الدين وان رحمة الله واسعة ونعمته شاملة وكرمه عميم وانا موحدون مؤمنون نرجو بوسيلة الايمان والكرم والاحسان وربما كان منشأ حالهم التمسك بصلاح الآباء والأمهات وذلك نهاية الغرور فان آباءهم مع صلاحهم وورعهم كانوا خائفين ونظم قياسهم

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ تمني الموت اذا خافوا على أنفسهم الوقوع فيما يسخط الله عز وجل عليهم وذلك بأمارات تظهر لهم من أنفسهم هي كالمقدمات للمعاصي والقرآن معدودة من الأدلة في كثير من المواضع وقد كان عابس الغفاري رضي الله عنه في أيام الطاعون يقول يا طاعون خذني ويكرر ذلك فقال له ابن عم له كيف تقول ذلك يا عابس وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يتمنى أحدكم الموت فانه انقطاع لعمله فقال عابس نعم سمعته يقول ذلك ولكني أخاف ستا سمعته صلى الله عليه وسلم يتخوفهن على أمته امارة السفهاء وكثرة الشرط وبيع الحكم وقطيعة الرحم والاستخفاف بالدم ونشوا يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأفصحهم في الدين ولكن يقدمونه ليغنيهم به غناء انتهى وكذلك تمنى أبو بكرة الموت رضي الله عنه فقيل له في ذلك فقال أخاف أن أدرك زمانا لا أمر فيه بالمعروف ولا نهي فيه عن المنكر وقد كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول سيأتي على الناس زمان يكون الموت أحب الى العلماء فيه من الذهب الأحمر حتى يأتي الرجل قبر أخيه فيقول ليتني كنت مكانك وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول من أطاع الله تعالى يتمنى الموت وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اذا رأى أحدا فيه خيرا قال له ادع لي بالموت وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول ما من مؤمن ولا كافر الا والموت خير له فان الله تعالى يقول وما عند الله خير للأبرار وقال انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين وقد كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول لقد أدركت مشايخنا وهم يتمنون الموت رضي الله عنهم فكنت أعجب منهم حتى صرت الآن أتعجب ممن لا يحب الموت وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول ذهب صفو الدنيا وبقي كدرها فالموت اليوم تحفة لكل مسلم وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول ما أحب أن يخفف عني الموت لانه آخر شيء يؤجر عليه المؤمن وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول ما أهدى الي أخ هدية هي أحب الي من السلام ولا بلغني خبر عنه قط أحب الي من موته وقد كان عطاء السلمي رحمه الله يتمنى الموت فقال له عطاء الأزرق رحمه الله كيف تتمنى ما نهى النبي ﷺ عنه فقال انما يريد الحياة من يزداد كل يوم خيرا وأما مثلي ومثلك فما يرجو بالحياة وكان أبو عتبة الخولاني رحمه الله تعالى يقول كان من صفة أصحاب رسول الله ﷺ ان لقاء الله تعالى أحب اليهم من الشهد ولم يكونوا يخافون عوزا من الدنيا بل كانوا واثقين برزق الله وكانوا يحبون الموت أكثر مما يحب أحدكم الصحة وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول قلت مرة لسهل التستري رحمه الله أتحب يا سهل أن تموت غدا فقال لا ولكن الساعة وكان سفيان الثوري رحمهم الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يخافون من الأمراض والبلايا خوفا على أنفسهم أن يقعوا في كراهة قضاء الله تعالى فلم يكن خوفهم من البلاء الا لما فيه ووالله ما أدري ماذا يقع مني لو ابتليت فلعلي أكفر ولا أشعر وقد بلغني أن لقمان عليه السلام قال لابنه يا بني اني حملت الصخر والحديد فلم أر شيئا أثقل من الدين وأكلت الطيبات وعانقت الحسان فلم أر شيئا ألذ من العافية وذقت المرارات كلها فلم أذق شيئا أمر من الحاجة الى الناس وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ابكوا على أهل البلاء وان كان جرمكم أعظم من جرمهم فيحتمل أنكم تعاقبون على ذنوبكم كما عوقبوا أو أشد وكان كثيرا ما يبعث الى أهل السجن بما عنده من الطعام والدراهم ويقول انهم مساكين وكان سهل بن سعد التستري رحمه الله تعالى يقول من أعظم ما يبتلى به العبد الفراغ من أعمال الدنيا والآخرة ولكن لا يشعر بأنه بلاء الا القليل من الناس وكان مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالى يقول من أعظم المروءة الصبر على أذى الرجال ولقد أدركنا الناس وهم يعدون الامارة أعظم بلاء ونراهم اليوم يطلبونها وكانوا اذا ولي صديقهم الامارة يقولون اللهم أنسه ذكرنا حتى يصير لا يعرفنا ولا نعرفه وكان يحيى بن الحسين رحمه الله تعالى يقول من طلب السلامة احتمل الملامة وكان يقول البلاء كله ينشأ من العافية ولو أن فرعون أصابه المرض ما قال الذي قاله وهو قوله أنا ربكم الأعلى وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من أعظم البلاء وقوع العبد في الرياء بعلمه وعمله لكن لا يشعر بذلك الا القليل من الناس فاعلم ذلك وفتش يا أخي نفسك واياك أن تقول كما قال بعض

الذي سول لهم الشيطان أن من أحب أنعاما أحب أولاده فان الله قد أحب آباءكم فهو يحبكم فلا تحتاجون الى الطاعات فاتكلوا على ذلك واغتروا بالله ولم يعلموا أن نوحا عليه السلام أراد أن يحمل ابنه في السفينة فمنع وأغرقه الله بأشد ما أغرق به قوم نوح وان النبي صلى الله عليه وسلم استأذن في زيارة قبر

المحبين حين ابتلى اللهم ان كان فى هذا رضاك فزدنى منه فان رجال البلاء اعلاهم الانبياء عليهم الصلاة
والسلام وقد كان الامام الشافعى رضى الله عنه مبتلى بمرض البواسير فكانت تنضح عليه دما ليلا ونهارا
حتى كان رضى الله عنه يجلس للحديث والطشت تحته يقطر فيه الدم فقال يوما اللهم ان كان فى هذا رضاك
فزدنى منه فسمعه شيخه الامام مسلم بن خالد الزنجى رحمه الله تعالى فزجره وقال له مه يا محمد سل الله العافية
فانا وانت لسنا من رجال البلاء وكان ابو بكر الصديق رضى الله عنه يقول فى خطبته ايها الناس سلوا الله
العفو والعافية فان المؤمن لم يعط بعد الاسلام افضل من العفو والعافية وسيأتى بسط الكلام على هذا الخلق
مفرقا فى الباب ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين

(ومن اخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) كثرة خوفهم من الله تعالى فى حال بدايتهم وحال نهايتهم لكن فى
حال بدايتهم من الذنوب وخوف العذاب وفى حال نهايتهم خوف الاجلال والتعظيم ومن لازم خوفهم الندم
ضرورة فى الحالتين وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا صفية عمة رسول الله ويا فاطمة بنت محمد انقذا
انفسكما من النار فانى لا اغنى عنكما من الله شيئا وفى الحديث البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يفنى
فكن كما شئت كما تدين تدان وقد كان ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه يقول اربع اذا افرط فيها الرجل
اهلكته واستهوته كثرة الجماع والصيد والقمار والذنوب وكان ابو تراب النخشبى رحمه الله تعالى يقول
اذا اجمع الرجل على ترك الذنوب اتته الامدادات من الله تعالى من كل جانب ومن علامة سواد القلب
ثلاث ان لا يجد للذنوب مفزعا ولا للطاعة موقعا ولا للموعظة منجعا وكان ابو محمد المروزى رحمه الله تعالى
يقول انما شقى ابليس بخمس خصال لانه لم يقر بذنبه ولم يندم عليه ولم يلم نفسه ولم يبادر الى التوبة وقنط من
رحمة الله تعالى قال وعكس ذلك آدم عليه الصلاة والسلام فانه سعد بخمس خصال اقر بذنبه وندم عليه
ولام نفسه وبادر الى التوبة ولم يقنط من رحمة الله تعالى وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول اذا عصيت
ربك فبادر بالتوبة والندم ولا تعتذر للناس فاعتذارك اليهم اعظم من معصيتك وكان ابراهيم ابن ادهم
رحمه الله تعالى يقول لان ادخل النار وقد اطعت الله تعالى احب الى من ان ادخل الجنة وقد عصيته وكان
الاوزاعى رحمه الله تعالى اذا رأى احدا من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معصية يقول له لا تغرنكم قرابتكم
من رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مخالفتكم هديه وامره فانه قال لابنته فاطمة رضى الله عنها انقذى نفسك من
النار فانى لا اغنى عنك من الله شيئا وكان احمد بن حرب يقول الم يأن للمذنب ان يتوب فان ذنبه فى
الديوان مكتوب وهو غدا فى قبره مكروب وبه الى النار مسحوب وكان عبد الله بن عباس رضى الله
عنهما يقول لا ينبغى لعاقل ان يؤذى محبوبه فقيل له وكيف ذلك قال يؤذى الرجل نفسه بعصيانه ربه وكان
جعفر بن محمد رضى الله عنهما يقول من اخرجه الله تعالى من ذل المعصية اغناه بلا مال واعزه بلا عشيرة
وآنسه بلا بشر وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول العمل الصالح مع قلة الذنوب احب الى الله
من كثرة العمل الصالح مع كثرة الذنوب وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول على قدر الخروج من
الذنوب تكون الاقالة للقلوب وقد كان الحسن البصرى رحمه الله يقول من علامة من غرق فى الذنوب عدم
انشراح صدره لصيام النهار وقيام الليل وكان محمد بن واسع رحمه الله تعالى يقول لاصحابه قد غرقنا فى الذنوب
ولو ان احدا منكم يجد منى ريح الذنوب لما استطاع ان يجلس الى وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى
يقول مساكين قتلة الحسين رضى الله عنه لو دخلوا الجنة بفضل الله تعالى كيف يتجرأ احدهم ان يمر بالنبى
صلى الله عليه وسلم وقد قتل ولده والله لو ان لى مدخلا فى قتله وخيرت بين الجنة والنار لاخترت دخول النار خوفا
ان ينظر الى النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة نظرة غضب تؤذينى وتؤذيه وكان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول
لو لم يكن فى الطاعة الا ظهور نور الوجه وبهاؤه والهيبة فى القلوب والقوة فى الجوارح والامن على النفس
والتجويز فى الشهادة على الناس لكان فى ذلك كفاية فى ترك الذنوب ولو لم يكن فى المعصية الا النكارة فى الوجه
والظلمة فى القلب واللعنة فى الذكر والاسقاط فى الشهادة والخوف على النفس لكان فى ذلك كفاية فيمحل الله

امه وفى الاستغفار لها فاذن
له فى الزيارة ولم يؤذن له فى
الاستغفار ونسوا قوله تعالى
ولا تزر وازرة وزر اخرى
وقوله تعالى وان ليس
للانسان الا ما سعى فان من
ظن انه ينجو بتقوى ابيه
كمن ظن انه يشبع باكل
ابيه او يروى بشرب ابيه
والتقوى فرض عين
لا يجزى فيها والد عن ولده
وعند جزاء التقوى يفر

٥ فجور ٣ في نسخة : صحوا

تعالى لكل من الطائع والعاصي أمارات ليفرح هذا ويحزن هذا قلت ولعل المراد بالعين المذكور السبب له حال التعيين او دخوله في عموم العصاة اذ اللعن المعين لا يجوز الا بنص والله أعلم وكان عطاء بن أبي رباح رحمه الله يقول في قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله فهو خير له هي المعاصي يعظمها حتى لا يقع فيها وكان كعب الأحبار رضي الله عنه يقول في قوله تعالى إن ابراهيم لأواه حليم قال كان يقول أوه قبل الوقوع في النار أوه قبل أن لا ينفع أوه وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول أبى الله الا أن يذل من عصاه في الدنيا والآخرة بين الناس وما أذنب عبد في الليل الا وأصبح ومذلته على وجهه وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول في قوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ضجوا من الصغائر قبل الكبائر وكان العوام بن حوشب رحمه الله تعالى يقول أربع بعد الذنب شر من الذنب وهي الاستغفار من غير اقلاع والاغترار بحلم الله والاصرار والاستبشار بالمغفرة اذا عمل بعده طاعة فقد لا يغفره الله بها وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول من أطاع الله فقد ذكره وان قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن ومن عصاه فقد نسيه ومن علامة العلماء العاملين بعلمهم أن لا يوجد أحدهم الا في عمل صالح وقد سئل سفيان بن عيينة رحمه الله عن الملائكة كيف تكتب ما هم به العبد ولم يعمله فقال الملكان الكاتبان عليهما الصلاة والسلام لا يعلمان الغيب ولكن اذا هم العبد بحسنة فقد فاح منه رائحة المسك فيعلمان أنه قد هم بالحسنة واذا هم العبد بالسيئة فاح منه رائحة النتن فيعلمان أنه قد هم بالسيئة (قلت) ولعل المراد بالهم هنا العزم المصمم ليوافق الأحاديث والقواعد الشرعية والله أعلم وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول إن الله أمر بالطاعة وأعان عليها ولم يجعل في تركها عذرا ونهى عن المعصية ولم يجعل لمن فعلها حجة ولو أراد سبحانه أن لا يعصى في الأرض أصلا لما خلق ابليس فانه رأس الخطيئة وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول ما أحب المتقون البقاء في هذه الدار الا ليطيعوه فيها وكان يقول أدخلهم الله الجنة قبل أن يطيعوه وقدر عليهم المعصية قبل أن يعصوه لما سبق في علمه عز وجل وقد كان بشر الحافي رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس ولهم أعمال صالحة كالجبال ومع ذلك كانوا لا يغترون وأنتم لا أعمال لكم ومع ذلك تغترون والله ان أقوالنا أقوال الزاهدين وأعمالنا أعمال الجبابرة والمنافقين وكان حاتم الأصم رحمه الله تعالى يقول اذا عصيت ربك وأصبحت رأيت نعمه سابغة عليك فاحذره فان ذلك استدراج ولقد أدركنا السلف وهم يستعظمون صغار الذنوب أكثر مما تستعظمون أنتم كبارها وكان الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى اذا ضحى في العيد يقول وعزتك وجلالك لو علمت رضاك في ذبح نفسي لذبحتها لك قال وقد مكث كهمش بن الحسن رحمه الله أربعين سنة يبكي على غسله يده بتراب جاره بغير اذنه وكان يقول ربما كان أحدكم يظن أن الله تعالى غفر له ذنبه حين يتقادم عهده وذلك غرور وقد بلغنا أن الله تعالى أوحى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود قل لبني اسرائيل بأي طريق وصل اليكم أني قد غفرت لأحدكم ذنبه حتى يترك الندم عليه وعزتي وجلالي لأوقفن كل مذنب على ذنبه يوم القيامة (قلت) ولعل معنى وقوف العبد على ذنبه ليريه تعالى فضله عليه فلا يلزم من ذلك عدم المغفرة والله أعلم وكان يزيد الحميري رحمه الله تعالى يقول قلت مرة لراهب لم اخترتم لبس السواد على البياض فقال لأنه شعار أهل المصائب ونحن أهل الذنوب وهي أعظم المصائب قال ومر عتبة الغلام رحمه الله يوما على مكان فارتعد ورشح عرقا فقالوا له في ذلك فقال هذا مكان عصيت الله فيه وأنا صغير وقد حج مالك بن دينار رحمه الله تعالى ماشيا من البصرة فقيل له ألا تركب فقال أما يرضى العبد العاصي الآبق أن يأتي الى صلح مولاه الا راكبا والله لو أني أتيت مكة على الجمر لكان ذلك قليلا انتهى فاعلم ذلك يا أخي واياك أن تتهاون بالاستغفار اذا تقادم عهد الذنب فانك من المعصية على يقين ومن المغفرة على شك وأكثر من الاستغفار ليلا ونهارا والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة الخوف من الله تعالى أن يعذبهم على ما جنوه من مظالم نفوسهم ومظالم العباد ولو نحو خلال لأحد أو ابرة يخيطون بها لا سيما ان كان أحدهم يستقل أعماله الصالحة

أكره من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه الا على سبيل الشفاعة ونسوا قوله ﷺ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقوله تعالى إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم وقال

فى عينه فانه يشتد خوفه وكربه لعدم أن يكون معه شيء من الحسنات يعطى منها الخصوم يوم القيامة وربما
شح أحد المظلومين يوم القيامة فلا يرضى بجميع أعمال الظالم الصالحة فى مظلمة واحدة من مال أو عرض أو
لطمة وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس من أمتى يوم القيامة فقالوا المفلس فينا من
لا درهم له ولا دينار ولا متاع فقال صلى الله عليه وسلم المفلس من يأتى يوم القيامة بصيام وصلاة وزكاة وحج ويأتى وقد
شتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت
قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم قذف فى النار وكان عبد الله بن أنيس رضى الله عنه يقول
ينادى رب العزة يوم القيامة أنا الملك الديان لا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولا ينبغى لأحد من
أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد عنده مظلمة حتى أقتصه له منه وقد كان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول
تاب شاب من بنى اسرائيل عن جميع المعاصى ثم صار يتعبد فعبد الله سبعين سنة لا يفطر ولا ينام ولا يستظل
ولا يأكل سمينا فلما مات رآه بعض اخوانه فى المنام فقال له ماذا فعل الله بك قال حاسبنى ثم غفر لى كل ذنب
الا عودا خللت به أسنانى بغير اذن صاحبه فأنا محبوس عن الجنة بسببه الى وقتى هذا (قلت) ويؤيد ذلك
حديث ان الله تعالى أخفى ثلاثا فى ثلاث أخفى رضاه فى طاعته وأخفى سخطه فى معصيته وأخفى أولياءه فى عباده
الحديث فربما علق الحق تعالى سخطه على عبد بوقوعه فى ذنب صغير فى عينه كأخذه الخلال الذى كوز لأسنانه
أو غسل يده بتراب جاره بغير اذنه كما مر آنفا والله أعلم وكان الحرث المحاسبى رحمه الله تعالى يقول بلغنا أنه تاب
كيال عن الكيل وأقبل على عبادة ربه عز وجل فلما مات رآه بعض أصحابه فى منامه فقال له ما فعل الله بك
يا فلان قال أحصى على خمسة عشر قفيزا من أنواع الحبوب التى كنت أكتالها فقال له كيف ذلك قال كنت
أغفل عن تعاهد الكيل بالنقص من الغبار فتراكم فى قعره من التراب فكان كل كيلة تنقص بقدر ما فى القعر
من التراب قال وكذلك وقع لشخص كان لا يتعاهد الميزان بمسحها من الغبار فكان يعذب فى قبره ويسمع
الناس صياحه فى القبر حتى شفع فيه بعض الصالحين رضى الله عنهم وكان أبو ميسرة رحمه الله تعالى يقول
بلغنا أن ميتا ضرب فى قبره ضربة التهب قبره منها نارا فقال على ماذا تضربونى فقالوا انك مررت على مظلوم
فاستغاث بك فلم تغثه وصليت مرة بغير وضوء أى وأنت متحقق وكان شريح القاضى رحمه الله تعالى يقول
اياكم والرشوة فانها تعمى عين الحكيم وفى رواية تعمى عين الحكم الحق وقد كان الحسن البصرى رحمه الله
تعالى اذا رأى أحدا من الولاة وأعوانهم يتصدق على أحد من الفقراء يقول له أيها المتصدق على المساكين
لترحمهم ارحم أنت الذى ظلمته ورد اليه ظلامته فانه أخلص لذمتك وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى
يقول من ظلم رجلا مظلمة وفاته أن يخرج من مظلمته فليستغفر له دبر كل صلاة فانه يخرج من مظلمته ان
شاء الله تعالى وكان حذيفة رضى الله عنه يقول من اقتراب الساعة أن يكون أمراء فجرة وعلماء فسقة وأمناء
خونة وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول ان الرجل ليلعن نفسه فى الصلاة ولا يشعر فقيل له وكيف
ذلك قال يقرأ ألا لعنة الله على الظالمين وهو قد ظلم نفسه بالمعاصى وظلم الناس بأخذ أموالهم والوقوع فى
أعراضهم وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول اياكم أن تكونوا أوصياء فان الوصى قد لا يقدر على
العدل فى وصيته ولو بالغ فى التحرز وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول أمين الخائن خائن وأمين
العشار عشار وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول اياك أن تكون وصيا فان الوصى يريد أن يستصلح
المال ويفسد عليك دينك فكن على دين نفسك أحرص منك على حفظ ماله وكان أبو يوسف صاحب
أبى حنيفة رضى الله عنهما يقول الدخول فى الوصية أول مرة غلط والمرة الثانية خيانة ولا كلام وقد رأى كعب
الأحبار رضى الله عنه رجلا يظلم الناس فى يوم الجمعة فقال له أما تخشى من ظلم الناس فى يوم تقوم فيه القيامة
وفيه خلق أبوك آدم عليه الصلاة والسلام وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول من أعان ظالما على ظلمه
أو لقنه حجة يدحض بها حق امرئ مسلم فقد باء بغضب من الله وكان الفضيل بن عياض رضى الله عنهما
يقول بلغنا أن الله تعالى اذا أراد أن يتحف عبده سلط عليه من يظلمه انتهى وفى الحديث من دعا على ظالم

تعالى بجزاء بما كانوا يعملون
وهل يصح الرجاء الا اذا
تقدمه عمل فان لم يتقدمه
عمل فهو غرور لا محالة
وانما ورد الرجاء ليبرد
حرارة الخوف واليأس
ولتلك الفائدة نطق به
القرآن والترغيب فى
الزيادة لا محالة
(فصل) ويقرب منهم
غرور طوائف لهم طاعات
ومعاص الا أن معاصيهم

فقد انتصر وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول لو ظلمنى أعدولم أكافئه كأن أحب الى وكان أمير المؤمنين
على رضى الله تعالى عنه يقول ما ظلم أحد أحدا ولا أساء أحد أحدا حقيقة لأن الله تعالى قال من عمل صالحا
فلنفسه ومن أساء فعليها وكان أحمد بن حرب رحمه الله تعالى يقول يخرج من الدنيا أقوام أغنياء من كثرة
الحسنات فيأتون يوم القيامة مفاليس من أجل تبعات الناس وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول لأن
تلقى الله تعالى بسبعين ذنبا فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد انتهى
فتأمل يا أخى فى خوف السلف واقتد بهم فى ذلك فانك على شفير الهلاك ومن خاف سلم والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) كثرة الخوف من الله تعالى اذا ذكروا أهوال يوم القيامة وكثرة
الغشيان والصعق اذا سمعوا القرآن والذكر وقد قرأ رسول الله ﷺ يوما قوله تعالى ان لدينا أنكالا وجحيما
وطعاما ذا غصة وعذابا أليما وكان وراءه حمران بن اعين فخر ميتا رضى الله عنه وقد دخل يزيد الرقاشى على عمر
ابن عبد العزيز رحمهما الله تعالى يوما فقال له عظنى يا يزيد فقال له يا أمير المؤمنين انك لست أول خليفة يموت فبكى
عمر وقال له زدنى فقال له ليس بينك وبين أبيك آدم أب حى فبكى عمر وقال له زدنى فقال له ليس بين الجنة
والنار منزلة أخرى فسقط عمر مغشيا عليه وكان الحسن بن صالح رحمه الله تعالى يؤذن مرة فقال أشهد أن
لا اله الا الله فغشى عليه فحملوه من المنارة ونزلوا به وصعد أخوه فأذن وصلى بالناس والحسن فى غشيته وكان أبو
سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول ما رأيت أحدا أكثر خشوعا من الحسن يعنى ابن صالح رحمه الله قام ليلة
الى الصباح بسورة عم يتساءلون يرددها ويغشى عليه الى الفجر ولم يتم السورة وكان كلما غشى عليه يجدد
طهارة وقد مر داود الطائى يوما على امرأة تبكى على قبر لها وتقول ليت شعرى بأى خديك بدأ الدود فخر داود
مغشيا عليه وقد كانت شعوانة العابدة رحمة الله عليها تقول فى مناجاتها الهى أنت أكرم الكرماء وسيد السادات
ورجاء المسلمين فأسألك أن تغفر اليوم لكل من تعرض لمعصيتك بعد معرفته بعفوك ثم تصرخ ويغشى
عليها وتقول هاه وقد قرأ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوما اذا الشمس كورت حتى بلغ قوله
تعالى واذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه وصار يضطرب على الأرض ساعة طويلة قال وسمع الربيع بن
خيثم رحمه الله تعالى قارئا يقرأ قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا فخر مغشيا عليه ثم
حمل الى بيته ففاته الظهر والعصر والمغرب والعشاء وكان هو الامام فى حارته وفى رواية كان القارى عبد الله بن
مسعود وقد كان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول صلى سفيان الثورى رحمه الله تعالى ركعتين خلف
المقام ثم نظر الى السماء فانقلب مغشيا عليه قال الدارانى وما فعل به ذلك مجرد نظره الى السماء وانما ذلك من
التفكر فى أهوال القيامة وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول كان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام
اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع وجيب قلبه من مسيرة ميل فيقال له تفعل ذلك وأنت خليل الرحمن فيقول
اذا ذكرت خطيئتى نسيت خلتى قال وصلى الفضيل بن عياض رحمه الله الفجر يوما فقرأ يس فلما بلغ قوله
تعالى ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون سقط ابنه على رحمه الله فلم يفق حتى طلعت
الشمس وقد كان على هذا اذا أراد أن يقرأ سورة لم يقدر أن يتمها وكان لا يقدر يسمع سورة اذا زلزلت
الأرض ولا سورة القارعة أبدا فقال ولما مات ضحك أبوه الفضيل فقيل له فى ذلك وكان كثير الحزن فقال ان
الله أحب موته فأحببت ذلك لحب الله وكان يقول لوالده ادع الله لى أن يقدرنى على سماع سورة كاملة أو على
ختم القرآن ولو مرة قبل موتى وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول كان أحدهم يقرأ القرآن فى
الليل فاذا أصبح عرف الناس ذلك فى وجهه من شدة التغير والاصفرار والنحول والذبول فصار الناس
اليوم يقرأ أحدهم القرآن كله فى الليل فاذا أصبح لا يظهر على وجهه منه شئ وكأنه حمل رداء وكان
ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول سمع سلمان الفارسى رضى الله عنه قارئا يقرأ قوله تعالى وان جهنم
لموعدهم أجمعين فصاح ووضع يده على رأسه وخرج هائما لا يدرى أين يتوجه مدة ثلاثة أيام فتأمل يا أخى

أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أن ترجح كفة حسناتهم وكفة سيئاتهم أكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم عديدة من الحلال والحرام ويكون ما يتناوله من أموال الناس والشبهات أضعافه فهو كمن وضع فى كفة الميزان عشرة دراهم ووضع فى الكفة الأخرى

ف

في أحوال سلفك فهل غشي عليك قط عند سماع كلام ربك عز وجل خالصا أم لم يغش عليك لا خالصا ولا
مرائيا لقسوة قلبك فخذ حذرك وعليك بالجوع فإنه يرقق القلب والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) انخلاع قلوبهم من أجسامهم في كل مرضة يمرضونها لاحتمال أن
تكون تلك المرضة آخر آجالهم فلا يمكنهم التوبة ولا تدارك الحقوق فيذهبون إلى الآخرة وهم عصاة كالعبد
المجرم الذي فسق في حريم سيده وأتوه به حال اشتداد غضبه عليه ولله المثل الأعلى وقد مرض مرة حسان
ابن سنان رحمه الله فدخل عليه أصحابه يعودونه فقالوا له كيف تجدك فقال بخير إن نجوت من النار فقالوا له
ماذا تشتهي فقال ليلة طويلة أحييها بالصلاة والاستغفار قبل أن أموت وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى
يقول دخلت على جار لي وهو في مرض موته وكان مسرفا على نفسه فقلت له ألا تعاهد الله تعالى على أنك
لا تعصيه فلعلك تموت على ذلك قال مالك فسمعت النداء من داخل البيت إن كان عهده مثل عهودك التي
تعاهدنا عليها ثم تنقضها فلا فائدة فيه بل يزاد مقتا وطردا فخرج مالك مغشيا عليه وقالوا للربيع بن خيثم في
مرض موته ألا ندعو لك طبيبا فسكت ساعة ثم قال أين عاد وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا
ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا مع أنهم كان فيهم المعالجون والاطباء ومع ذلك ماتوا أجمعين ثم قال والله
لا أدعو لي طبيبا أبدا ودخلوا على مغيرة الخراز في مرض موته فقالوا له كيف تجدك قال موقرا بالذنوب
فقالوا هل تشتهي شيئا فقال نعم أن يمن علي بالتوبة عن كل ما يكره قبل موتي ولما مرض وهيب بن الورد سير
إليه أمير مكة بطبيب نصراني فقال له ما تجد فقال معاذ الله أن أخبرك بما بي فقال له القوم أخبرنا ونحن نخبره
فقال سبحان الله تأمروني أن أشكو ربي إلى عدو من أعدائه فقوموا عني أجمعون وكان
سفيان بن عيينة يقول دخلنا على الفضيل بن عياض نعوده فقال لو لم تجيئوا لكان أحب إلي من مجيئكم إني
أخاف أن أشكو لكم ربي وكان يحيى بن معاذ يقول بعد ما مرض فقلنا له كيف تجدك فقال أخرجت إلى
الدنيا وأنا راغم وقد عشت فيها وأنا ظالم وأفارقها وأنا نادم ودخل الحسن البصري على عطاء السلمي وهو
مريض قد علاه الاصفار فقال له يا عطاء لو خرجت إلى صحن الدار فقال إني أستحي أن يراني ربي أسعى في حظ
نفسي ولما مرض عمر بن عبد العزيز أتوه بطبيب فنظر إليه الطبيب وقال هذا رجل قد قطع الخوف من الله
كبده فلا أقدر على دوائه ولما مرض أبو بكر بن عياش دخل عليه طبيب نصراني فمنعه أن يمس يده فلما قام
النصراني تبعه أبو بكر ببصره ثم قال يا رب كما عافيتني من بلائه الذي هو الكفر فعافني مما شئت وكان سفيان
الثوري يقول قل أن ينفك مريض من غير الاكابر عن هذه الأربع الطمع والكذب والشكوى والرياء وكان
شداد بن حكيم إذا أحس بالمرض يتصدق بمائة درهم شكرا لله تعالى على المرض وكان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه إذا مرض لا يتداوى بإشارة طبيب وقالوا له مرة ألا ندعو لك طبيبا فقال والله لو علمت أن شفائي في
مس أذني ما مسستها نعم ما يفعله بي عز وجل ولما عادوا يحيى بن معاذ قالوا له كيف تجدك قال عشت في
الدنيا ظالما وقيل للإمام الشافعي كيف تجدك قال أصبحت من الدنيا راحلا ولسوء أعمالي ملاقيا وعلى فضل
ربي معولا ودخل بعض الامراء على داود الطائي في مرضه فوضع إلى جنبه ألف دينار فقال له خذها عافاك
الله فقال له ألك من حاجة قال نعم أن لا تأتيني بعد اليوم ثم التفت للحاضرين وقال هذا يريد أن يزيد في دنياه
على دنيتي قبل موتي (ودخلوا) على الفضيل بن عياض يعودونه فقالوا أما تشتهي قال نظرة إلى أخي يوسف
ابن أسباط قبل موتي وكان حاتم الاصم إذا رأى بخيلا يتصدق في مرض موته يقول اللهم أدم مرضه فإنه
يكفر الخطايا وأفضل للفقراء وقالوا لمحمد بن سيرين في مرض موته كيف تجدك فقال أجدني في بلاء شديد
أجوع فلا أستطيع أن أشبع وأعطش فلا أستطيع أن أروى وأرقد فلا أذوق الكرى وقالوا وكان قليل
الشكوى في مرضه ولكنه لما اشتد عليه فلم يطق تحمله فشكى إلى اخوانه ليدعوا له بالالطف ومرض الفضيل بن
عياض مرة فقالوا له كيف تجدك فقال بخير ولكن أدعو إلي بطول المرض حتى لا أرى الناس ولا يروني
ودخلوا على أبي بكر بن عبد الله يعودونه فخرج إليهم يهادى بين رجلين فقالوا ادع الله لنا فقال رحم الله من

ألفا وأراد أن تميل الكفة
التي فيها العشرة وذلك
غاية الجهل

(فصل) ومنهم من يظن
أن طاعته أكثر من
معاصيه لأنه لا يحاسب
نفسه ولا يتفقد معاصيها
وإذا عمل طاعة حفظها
واعتد بها كالذي يستغفر
الله بلسانه ويسبح بالليل
والنهار مثلا مائة مرة أو
ألف مرة ثم يغتاب المسلمين

اشتغل بطاعة ربه قبل أن يصير الى مثل حالى هذا ودخلوا على المأمون فى مرضه الذى مات فيه فاذا هو قد أمر خدامه أن يفرشوا تحته جل الدابة و يبسطوا عليه الرماد وصار يتمرغ عليه وقال يامن لايزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ودخلوا على عتبة الغلام فى مرض موته فقالوا كيف تجدك فأنشد يقول

خرجت من الدنيا وقامت قيامتى * غداة يقل الحاملون جنازتى
وعجل أهلى حفر قبرى وصيروا * خروجى وتعجيل اليه كرامتى
كأنهم لم يعرفوا قط صورتى * غداة أتى يومى على وليلتى

قال عمر بن عبد العزيز ولما طعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه دعا بلبن فشرب منه فخرج اللبن من طعنته فقال الله أكبر فجعل جلساؤه يثنون عليه خيرا فقال والله لوددت أنى خرجت من الدنيا كفافا كما دخلت فيها ولو كان لى اليوم جميع ماطلعت عليه الشمس وما غربت لافتديت به من هول المطلع ولما حضرت الوفاة سلمان الفارسى بكى وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الينا وقال ليكن بلغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب وها أنا قد جمعت هذه الأمتعة وأشار اليها فلما مات قوموها بخمسة عشر درهما ولما حضرت ابراهيم النخعى الوفاة بكى فقيل له فى ذلك فقال انى أنتظر رسولا يأتينى من ربى لا أدرى هل يبشرنى بالجنة أو بالنار ولما حضرت محمد بن المنكدر الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال أبكى على ذنوبى التى رأيتها فى عينى هينة وهى عند الله عظيمة ولما حضرت محمد بن سيرين الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال أبكى على تفريطى فى الأيام الخالية وادخالى للنار الحامية ولما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قال اللهم انى أذنبت فان غفرت لى فقد مننت وان عذبتنى فقد عدلت وما ظلمت لكنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثم قضى نحبه رضى الله عنه ولما حضرت عامر بن قيس الوفاة بكى وقال انى لم أبك جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن أبكى على عدم قضاء وطرى من طاعة ربى وقيام الليل فى أيام الشتاء ولما حضرت عبد الله بن المبارك الوفاة قال لغلامه اجعل رأسى على التراب فبكى الغلام قال ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هو ذا تموت على هذا الحال فقال انى سألت ربى أن أموت على هذا الحال ثم قال لقنى يا أخى لا إله إلا الله اذا الحال تغير ولا تعد على ذلك الآن تكلمت بعده بكلام وكان عطاء بن يسار يقول وقف ابليس تجاه أحمد بن حنبل وقال يا أحمد خرجت من الدنيا وأنت آمن منى فقال له ما أمنتك بعد ودخل الحسن البصرى على رجل وهو يجود بنفسه فقال ان أمرا هذا آخره لحقيق أن يزهد فى أوله ولما حضرت أبا ذر الوفاة قال ياموت اخنق وعجل فانى أحب لقاء الله ودخل أبو الدرداء على محتضر فوجده يقول الحمد لله فقال له أصبت يا أخى ان الله اذا قضى أمرا أحب من عبده أن يحمده عليه (ودخل) سفيان الثورى على ولد يجود بنفسه وأبواه يبكيان عنده فقال لهما لا تبكيان فانى تقادم على من هو أرحم بى منكما (ولما حضرت) معاوية ابن أبى سفيان الوفاة قال اللهم ارحم الشيخ العاصى ذا القلب القاسى اللهم أقل عثرتى واغفر زلتى وعد بحلمك على جهل من لم يثق بأحد سواك ولم يرج غيرك ثم بكى حتى علا نحيبه ولما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظر الى أولاده وهم يبكون حوله فقال قد جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء وترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما اجترم لها أعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله له ولما حضرت أبا هريرة الوفاة بكى فقالوا له ما يبكيك فقال بعد السفر وقلة الزاد وضعف اليقين وخوف الوقوع من الصراط فى النار انتهى فتأمل يا أخى نفسك فانك محتضر على الدوام ليس فى يدك نفس واحد يطلع أو ينزل وأكثر من الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار فانك على شفا جرف هار والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين وعليه الاعتماد

(ومن أخلاقهم رضى الله عنهم) كثرة الاعتبار والبكاء والاهتمام بأمر الموت اذا رأوا جنازة وقد كان أبو هريرة رضى الله عنه اذا رأى أحدا يحمل جنازة يقول لها امض الى ربك فانا على أثرك ماضون وكان مكحول الدمشقى يقول اذا رأى جنازة اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة قليلة وغفلة شنيعة يذهب الأول والآخر لم يعتبر وكان يظل كأنه لا عقل له مدة أيام وكان أسيد بن حضير يقول ما حدثتنى نفسى قط عند رؤية الجنازة الا بما الميت صائر اليه ورد بما ترك الأكل والشرب أياما وخرج مرة فى جنازة فلما أدخلوا الميت القبر غشى عليه لما

ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار ويلتفت الى ماورد من فضل التسبيح ويغفل عما ورد فى عقوبة الكذابين والنمامين والمنافقين وذلك محض الغرور فحفظ لسانه عن المعاصى آكد من تسبيحه فسبحان من حدثنا عن التنبيه

(فصل) فى بيان أصناف المغرورين

رجعوا به الى بيته الا فى النعش وخرج مالك بن دينار فى جنازة أخ له فبكى وقال والله لا تقر عيني حتى أعلم ما صار اليه أخي وكان الأعمش يقول كنا نشهد الجنائز ولا نعرف من نعزي لأن الحزن قد عم الناس كلهم وكان ثابت البناني يقول كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا متلفعا باكيا ومر ابراهيم الزيات على جماعة يترحمون على ميت فقال لهم خافوا على أنفسكم خير لكم فان ميتكم قد جاوز ثلاثا رؤية ملك الموت وذوق مرارة الموت وأمن من سوء الخاتمة وحضر عمرو بن ذر جنازة رجل كان مسرفا على نفسه وتحاشى الناس أن يحضروا جنازته من شدة اسرافه فلما دلوه فى القبر قال له عمرو رحمك الله يا فلان تحييت التوحيد وعفرت وجهك بالتراب وان كانوا قالوا عليك انك مذنب كثير الخطايا فمن هو منا لم يذنب ولم يخطئ فبكى من كان حامل النعش فاعلم يا أخي ذلك واعتبر كما اعتبر هؤلاء وأكثر من البكاء والنحيب فان بين يديك من الأهوال ما لا يوصف والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ كثرة الحزن والهم كلما تذكروا الموت وسكراته وخوف سوء الخاتمة حتى تزلزل عقولهم من شدة الألم وقد كان كعب الأحبار يقول لما أتى البشير الى يعقوب عليه السلام قال يعقوب ما عندي شيء أكافئك به ولكن هون الله عليك سكرات الموت (قلت) فقد تقدم عن بعضهم أنه كان يقول لعلي أكره تخفيف طلوع روحي وأما أحب التشديد لانه آخر عمل يثاب عليه المؤمن لعله هذا في حق من يخاف عليه السخط اذا شدد الله عليه والله أعلم وكان يقول تمثيل الموت كشجرة الشوك أدخلت في جوف ابن آدم فأخذت كل شوكة بعرق ثم اجتذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى وكان سلمان الفارسي يقول اذا رشح جبين المؤمن عند الموت وذرفت عيناه وانتشر منخراه فهو بشرى رحمة الله قد نزل واذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه وازبدت شفتاه فهو في عذاب قد نزل وكان الحسن البصري اذا حضر قبض روح أحد من اخوانه يمكث أياما لا يذوق طعاما ولا شرابا انما هو البكاء والنحيب وكان يقول ثلاثة لا ينبغي للمؤمن أن يتساهل في الدنيا وتصرم أحوالها والموت وكان سفيان الثوري اذا ذكروا بين يديه الموت لا ينتفع به أحد أياما واذا سأله أحد عن شيء يقول لا أدري وكان شقيق الزاهد يقول قد خالف الناس في الستة أمور قالوا ان الله تعالى تكفل بأرزاقنا ثم لم تطمئن قلوبهم الا بشيء يجمعونه عندهم وقالوا ان الآخرة خير من الأولى وتراهم يجمعون المال ولا ينفقونه فكأنهم لم يدخلوا الدنيا الا ليحملوا الذنوب وقالوا لابد لنا من الموت وهم يعملون أعمال من ليس على باله موت ولما حضرت الوفاة عطاء السلمي نظر الى أصحابه وهم يدعون له بالتهوين فقال كفوا عن الدعاء فوالله اني أود أن روحي تتردد بين لهاتي وحنجرتي الى يوم القيامة خوفا مما هجم عليه بعد الموت وكان يقول من أراد أن ينظر الى الارض بعد أهلها فلينظر الى منازل الحجاج حين يرحلون عنها وأنشد أبو العتاهية

تفنى وتبقى الأرض بعدك مثل ما * يبقى المناخ وترحل الركبان

وكان الحسن بن عمران يقول للموت أشد من نشر المناشير ومن طبخ القدور ولو أن ألم شعرة واحدة من الميت وضع على أهل الدنيا لوجدوا من ذلك ألما يشغلهم عن الأكل والشرب ومر الحسن بن على رضى الله عنهما على باب دار فقال مالي أرى هذه الدار ساكتة بعد أن كانت ناطقة فأجابته امرأة من وراء الباب فصار أهلها يتامى وأيامى فبكى الحسن حتى بل لحيته ولما طعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قالوا له انا لنرجو أن لا تمسك النار فقال والله انكم لجاهلون اني لأخشى أن أصير فحمة من فحم جهنم ودخل عليه جماعة وهو مطعون قالوا له استخلف ولدك عبد الله بعدك فانه عبد صالح فقال رضى الله عنه أما يكفى من آل الخطاب واحد يأتي يوم القيامة ويداه مغلولتان الى عنقه وكان ابن أبي مليكة يقول لما قبض الخليل عليه الصلاة والسلام رآه بعض ولده فقال يا أبت كيف وجدت الموت فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام وجدت نفسي كأنها تنزع بالسلاسل وقد سألني ربي عن ذلك فأجبته بهذا فقال الله تعالى أما انا قد هوناه عليك وكان ابن عباس يقول لما جاء ملك الموت الى موسى عليه السلام ليقبض روحه قال يا موسى اشرب خمرا اليوم فقال

وأقسامهم كل صنف (الصنف الاول من المغرورين من العلماء) وهم فرق ففرقة منهم لما أحكمت العلوم الشرعية والعقلية تعمقوا فيها واشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا أنهم عند الله بمكان وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله

سبحان الله انى صائم فاستنكهه فقبض روحه فى نكهته فقيل له بعد موته كيف وجدت الموت يا موسى فقال كشاة يسلخ جلدها وهى حية وكان الربيع بن خثيم يقول تمنوا الموت فى هذه الدار جهدكم قبل أن تصيروا الى دار تتمنون الموت فيها فلا تجابون يعنى النار وكان ابن سيرين اذا ذكروا الموت عنده مات كل عضو منه وكان كعب الاحبار يقول لما أحيا عيسى بن مريم سام بن نوح قال له عيسى مذ كم أنت ميت قال منذ أربعة آلاف سنة قال كيف وجدت الموت قال الى الآن لم تذهب عنى سكرته ولا حرارته (وقيل) لرابعة العدوية أتحبين الموت فقالت لو عصيت آدميا ما أحببت لقاءه خجلا منه فكيف وقد عصيت ربى عز وجل (وسمع) يحيى بن معاذ نائحة فى دار رجل من الاغنياء فقال واعجبا للمغترين فى الدنيا الى متى يسمعون صيحة الآخرة فى دورهم فلا ينتهون وكان حامد اللفاف يقول من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء تعجيل التوبة وقناعة النفس والنشاط فى العبادة وقال وهب بن منبه لما مات موسى عليه الصلاة والسلام جاءت الملائكة فى السموات بعضهم الى بعض واضعى أيديهم على خدودهم وهم يقولون مات موسى كليم الله فأى الخلق لا يموت وكان رضى الله عنه يقول لا يموت عبد حتى يرى الملكين الكاتبين فان كان صحبهما بخير قالا له جزاك الله من صاحب خيرا فنعم الصاحب كنت فكم أحضرتنا معك فى مجالس الخير وكم شممنا منك الروائح الطيبة حال طاعتك الخالصة وان كان قد صحبهما بسوء قالا له لا جزاك الله عنا من صاحب خيرا فكم أحضرتنا معك حال معاصيك وكم شممنا منك رائحة النتن وكان رضى الله عنه يقول لا يقدر على رضا الله الا من يعلم أن الله تعالى يراه على الدوام (قلت) قد ذكر المحققون أن مراقبة الله تعالى مع الأنفاس ليست من مقدور البشر فليتأمل ما هنا وكان سفيان الثورى يقول ما استعد للموت من ظن أنه يعيش غدا وكان يقول الطاعات تتفرع من ذكر الموت والمعاصى تتفرع من نسيانه فاعلم يا أخى ذلك وعليك بالوحدة ومجالسة العباد والزهاد والعلماء العاملين وإياك ومجالسة الغافلين والراغبين فان مخالطتهم ظلمة على القلب وحجاب عن شهود أهوال يوم القيامة والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) النظر الى الدنيا بعين الاعتبار لا بعين المحبة لها وشهواتها كما قد درج عليه جمهور السلف الصالح رضى الله عنهم وقد جاء سعد بن أبى وقاص يوما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أين كنت يا سعد فقال كنت عند قوم فى البادية همتهم لذات بطونهم وفروجهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بما هو أعجب من ذلك فقال بلى فقال من عرف مثل هذا الذى أنكرت عليهم ثم فعل كفعلهم وكان سفيان الثورى رضى الله عنه يقول من لا يعمل الفكرة والعبرة فى الدنيا ثم ينقص له عمل صالح (وقيل) لحاتم الأصم متى يكون أحدنا من أهل الاعتبار فى الدنيا فقال اذا رأى كل شئ فى الدنيا عاقبته الى الخراب وصاحبه يذهب الى التراب وكان يحيى بن معاذ يقول ليكن نظرك الى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وكان حاتم الأصم يقول من خرجت من داره جنازة ولم يعتبر لها لم ينفعه علم ولا حكمة ولا موعظة وكان أحمد بن حرب يقول تعجب الأرض من رجلين ممن يمهد مضجعه للنوم ويوطئ فراشه تقول له الأرض يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلاك فى بلا فراش وتعجب ممن تشاجر مع أخيه فى قطعة منها تقول له الأرض لم لا تتفكر فى أربابها قبلك فكم مضى من الناس رجل ملكها ولم يقم فيها وكان مالك بن دينار يقول كل من لم يعتبر ببصره وبصيرته من هذه الدار الى الدار الآخرة فهو محجوب الفكر قليل العمل وقال ابراهيم بن أدهم كان ابراهيم التيمى يبول فى صحن داره فخرج ليلا من حجرته ليبول فيه فلم يزل شاخصا الى الصباح فقيل له فى ذلك فقال لما أردت أن أبول تذكرت أهل النار وما هم فيه لم يزالوا يعرضون على بسلاسلهم وقيودهم الى الصباح فلم يأخذنى نوم (وكانت) فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز تقول والله ما سم عمر ولا قتل كما قيل وانما مات فى خشية الله وخوف النار وكان ثابت البنانى يقول مر داود عليه السلام بتنور يوقد فتذكر النار الكبرى فاضطرب وصعق وكادت تخلص أعضاؤه وأوصاله وكانوا يشدونها بالحبال حتى يقدر على أن يحركها فلا يزال كذلك مشدودة أياما وكان يقول فى أيام الحزن الهى لا صبر لنا على

مثلهم بل يقبل شفاعتهم فى الخلق ولا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة لعلموا أن العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله تعالى وبصفاته فلابد من علوم المعاملة لتتم الحكمة المقصودة وهى المعاملة بمعرفة الحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس

حر شمسك فكيف نصبر على حر نارك وكان يزيد بن مرثد لا تزال عيناه تهملان بالدموع فقيل له فى ذلك فقال لو أذن الله تعالى على أن يدخلنى فى ماء الحمام إن عصيته لكان يحق لى أن أبكى الدم فكيف وقد وعد من عصاه أن يحرقه بالنار ومر عيسى عليه الصلاة والسلام على مقبرة فسمع قائلا يقول كم من بدن صحيح ووجه مليح ولسان فصيح بين أطباق الثرى يصيح وكان أحمد بن حرب يقول ما رأيت أسخف من عقولنا نؤثر الظل على الشمس ولا نؤثر الجنة على النار فاعلم ذلك يا أخى واجعل نظرك للوجود عبرة والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) تحذيرهم للناس أن يتبعوهم على أفعالهم الرديئة نصحا للعباد فى حياتهم وبعد مماتهم لئلا يلحقهم الاثم بسبب من اتبعهم على تلك الصفات الرديئة التى ربما تقع منهم فى غفلة أو سهو وقد بلغنا أن السيل كشف عن قبر أيام اسكندر ذى القرنين من ذهب طوله عشرة أذرع وعرضه كذلك فكشفوا الغطاء فاذا فى ذلك القبر شخص نائم على سرير قوائمه من ذهب وهو مغطى بالحرير وفى عنقه لوح من زبرجد مكتوب فيه اسم واجب الوجود وعلة العلل كل ماله ابتداء فله انتهاء قد ملكت الربع المسكون من الدنيا ألف سنة وبلغ عمرى كل يوم زنة قبرى هذا ذهبا وسخر لى الشمس والقمر والافلاك أطاعنى الريح والماء والنار والحديد ثم صعدت الى الجو العلوى وركب هذا الجسد بينكم يتلاشى ليعتبر به من بعدى فلا مخلوق الاسيفنى والباقى الله رب العالمين ذكره الغزالى فى ذلك تحذير هذا الملك للناس من أن يتبعوه فى الغفلة عن الموت اشتغالا بالدنيا وكان وهب بن منبه يقول دخل داود عليه السلام غارا من أغوار بيت المقدس فاذا فيه سرير عليه رجل ميت وعند رأسه لوح مكتوب فيه أنا فلان الملك ملكت الدنيا ألف عام وتزوجت ألف بكر وبنيت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وهذا مصرعى فاعتبروا بى يا أهل الدنيا وكان الفضيل بن عياض يقول كم أراد عدو الانسان أن يضره فيصرفه الله عنه ولا يشعر ثم يقرأ قوله تعالى اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم وكان أنس بن مالك يقول لا تذهب الايام والليالى حتى يكون سماع الشعر أحب الى الناس من سماع القرآن وكان يحيى بن معاذ يقول عجبت من أقوام يعيبون على الصالحين المباح ولم يعيبوا على أنفسهم الذنوب القباح فترى أحدهم يقع فى الغيبة والنميمة والحسد والحقد والغل والكبر والعجب ولا يستغفر من ذلك ثم ينكر على الصالحين لبس أحدهم الثوب المباح أو أكل الحلاوة أو السكر المباح وكان أبو حمزة البغدادى يقول لا تنظروا الى شكر العامة فى العلماء اذا ماتوا ولكن انظروا الى شكر الزهاد والعباد لهم وقال صالح المرى يوشك من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له فقالت امرأة وهل أغلق بابه تعالى قط فقال صالح امرأة عقلت وشيخ جهل وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول لا يسب النبى والصالح الا أهل مدينته أو جيرانه لانه ينصحهم فيكرهونه ويسبونه وكان يحيى بن معاذ يقول اذا رأيت العالم فى مكان من الاماكن التى تزرى به فلا تعجل باللوم عليه فربما كان تحذر منك فى حضوره وأقل لوما منك على لومك (قلت) وسيأتى فى هذا الكتاب أن من الصالحين من لا يفارق مواضع المعاصى يشفع فى أهلها ويحوطهم من أن ينزل عليهم بلاء ولا ينبغى المبادرة بالانكار عليه الا بعد الفحص عن حاله والله أعلم (وكان) يحيى بن معاذ يقول اذا صادفت النفس مالا فقد صادف الذئب غنما فى البرية وكان أبو الدرداء يقول لا تجعلوا عبادته تعالى بلاء عليكم فقيل كيف ذلك قال يوقف أحدكم على نفسه العمل ثم لا يفى به وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول كل كلام الله يرجع معناه الى أن الآخرة خير من الأولى ولا ينبغى لأحد أن يشك فى ذلك قال وكان حاتم الاصم يقول من أحب الدرهم لذاته فقد أحبه للآخرة فاعلم ذلك يا أخى وقل اللهم لا تجعلنا عبرة لغيرنا وبصرنا بعيوبنا والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله عنهم) رؤيتهم نفوسهم أنهم من أفسق الناس وأن مثلهم لا يستحق أن يجيب الله له دعاء ولذلك كان أحدهم يمتنع من أن يخرج مع الناس للاستسقاء ودفع الوباء وقد كان سعيد بن جبير يقول قحط الناس فى زمن ملك من ملوك بنى اسرائيل فاستسقوا فلم يسقوا فقال الملك ان لم يرسل الله علينا السماء والا آذيته قيل كيف تقدر أن تؤذيه وهو الحق تعالى مستحيل عليه أن يكون فى السماء لانه تعالى منزه

المذمومة والمحمودة ومثلهم مثل طبيب يطبب غيره وهو عليل قادر على طب نفسه فلم يفعل وهل ينفع الدواء بالوصف هيهات لا ينفع الدواء الا من شربه بعد الحمية وغفلوا عن قوله تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ولم يقل من يعلم تزكيتها وكتب علمها وعلمها الناس وغفلوا عن قوله

تعالى

عن المكان والزمان قال أقتل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك له أذى فأرسل الله تعالى عليهم السماء فضلا منه وحلما وقالوا لمالك بن دينار ألا تخرج معنا للاستسقاء فقال أخاف أن تمطر عليكم حجارة لأجلي وكان يقول إنكم تستبطئون المطر وأنا أستبطئ الحجر وكان وهب بن منبه يقول خرج عيسى عليه السلام يستسقي فخرج فضجر ولم يسق فقال من أذنب منكم ذنبا فليرجع فرجع الناس كلهم إلا واحدا فقال له أمالك ذنب فقال نعم نظرت مرة إلى امرأة فلما رأيت أدخلت أصبعي في عيني هذه فقلعتها فقال له عيسى عليه السلام فادع الله للقوم فدعا فجللت السماء لوقتها وأمطروا وخرج موسى عليه السلام ثلاثة أيام يستسقي فلم يسق فأوحى الله إليه أن فيكم رجلا نماما فلا أستجيب لكم وهو فيكم فقال موسى يارب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فقال موسى عليه السلام توبوا كلكم عن النميمة فتابوا فسقوا في الساعة وكان سفيان الثوري يقول قحط بنو اسرائيل سبع سنين حتى أكلوا الميتة والأطفال فكانوا يخرجون إلى الجبال ويتضرعون فلا يجابون فأوحى الله إلى موسى أن قل لهم لو عبدتموني حتى صرتم كالسوط البالي ما قبلت لكم دعاء حتى تردوا المظالم إلى أهلها وأصاب بني اسرائيل مرة أخرى قحط فاستسقوا فلم يسقوا فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام كيف أستجيب لهم وقد خرجوا بأبدان نجسة ورفعوا إلي أكفا قد أكلوا بها الحرام حتى ملؤا بطونهم فلا يزدادون مني إلا بعدا وقحطا فليتوبوا وأنا أرفع عنهم القحط وقحطوا مرة أخرى حتى أكلوا الكلاب والميتة وكانوا يستسقون فلا يسقون فأوحى الله تعالى إلى موسى قل لهم لو مشيتم بأقدامكم حتى تحفوا على ركبكم ويبلغ علمكم عنان السماء وتكل ألسنتكم من الدعاء فإني لا أجيب لكم داعيا ولا أرحم فيكم باكيا حتى تردوا المظالم لأهلها فقال موسى لهم ذلك فقالوا نحن لا نحصي عدد المظالم حتى نردها لماتوا عطشا وجوعا فانظر يا أخي إلى كثرة اتهام السلف أنفسهم وإياك والمبادرة إلى الخروج إلى الاستسقاء إلا إن كنت تظن أن الله غفر لك ذنوبك كلها فإن لم تظن ذلك فتربص ثم تب إلى الله تعالى واخرج والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة العفو والصفح عن كل من آذاهم بضرب أو أخذ مال أو وقوع في عرض أو نحو ذلك تخلقا بأخلاق رسول الله ﷺ فإنه ﷺ كان لا ينتقم لنفسه وإنما ينتقم إذا انتهكت حرمات الله وكان جعفر بن محمد يقول لأن أندم على العفو أحب إلي من أن أندم على العقوبة وكان حاتم الأصم يقول من عدم إنصافك أن تبغض الناس إذا عصوا ربهم ولا تبغض نفسك إذا عصت ربها فالمراد ببغض الإنسان نفسه معاقبتها بالجوع والعطش وعدم النوم على فراش ونحو ذلك فيعاملها معاملة الشخص لمن يكره بالغضب وعدم الشفقة لا كمعاملة المحب لمحبوبه وقد قال الشيخ أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه دعوت نفسي إلى العبادة مرة فأبت فعاقبتها فمنعتها الماء سنة وكان المدايني يقول أقبح المكافأة المجازاة بالإساءة وكان التيمي يقول كثرة الاحتمال تورث الهيبة قال وأدخلوا على ابن الزبير رجلا قد أحدث أي أذنب فدعا بالسياط ليضربه فقال له الرجل أسألك بمن تكون يوم القيامة بين يديه أذل مني بين يديك إلا عفوت عني فنزل ابن الزبير عن سريره وألصق خده بالأرض وقال قد عفوت قلت ولعل تركه للتأديب على من أقسم عليه لعذر شرعي كأن خاف من إقامته مفسدة أعظم من إقامته التأديب عليه والله أعلم وسئل قتادة من أعظم الناس قدرا قال أكثرهم عفوا * وسرقت امرأة مصحف مالك بن دينار وملحفته فجعل يتبعها أنا مالك خذي الملحفة وهاتي المصحف لا حاجة لي وكان أبو سعيد المقبري يقول من تمام العفو ترك مكافأة الظالم والترحم عليه وكثرة سؤال الله أن يعفو عنه ولما ضرب الإمام مالك جعل ضاربه في حل من أول سوط ضرب به وكذلك بلغنا عن الإمام أحمد لما ضرب وكان يقول وماذا علي في رجل أن لا يعذب الله أحدا بسببه وكان كعب الأحبار يقول من صبر على أذى امرأته أعطاه الله من الأجر ما أعطى أيوب عليه السلام ومن صبرت على أذى زوجها أعطاها الله تعالى من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم رضي الله عنها وسيأتي في أواخر هذا الكتاب بسط الكلام على هذا الخلق إن شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين

ومن

من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا وقوله ﷺ إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وغير ذلك كثير وهؤلاء مغرورون نعوذ بالله من حالهم وإنما غلب عليهم حب الدنيا وحب أنفسهم وطلب الراحة العاجلة وظنوا أن علمهم ينجيهم في الآخرة من

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ كثرة تعظيمهم حرمة المسلمين ومحبة الخير لهم لأنهامن جملة شعائر الله تعالى وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وكان عبد الله بن عباس يقول أفضل الحسنات اكرام الجليس وكان ينظر الى الكعبة و يقول ان الله حرمك وشرفك وكرمك والمؤمن أعظم حرمة عند الله تعالى منك وكان عكرمة رضى الله عنه يقول اياكم أن تؤذوا أحدا من العلماء فان من آذى عالما فقد آذى رسول الله ﷺ وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول المؤمن أكرم على الله تعالى من بعض الملائكة الذين عنده وقيل لحاتم الأصم لم كانت يد السارق المسلم تقطع فى خمسة دراهم مع أن ديتها خمسمائة دينار فقال لهتكه الستر وفعله الجور وتركه الحرمة فتأمل يا أخى فى نفسك هل عظمت حرمات المسلمين فضلا عن العلماء والصالحين كما ذكرنا أم احتقرتهم و وقعت فى أعراضهم وصرت من الفاسقين بذلك فاستغفر الله

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ صبرهم على أذى زوجاتهم وشهودهم أن كل ما بدا من زوجة أحدهم من المخالفات له صورة معاملته لربه فكلما خالف ربه كذلك خالفته زوجته وهى قاعدة أكثرية لا كلية فتخرج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من ذلك لعصمتهم وكان عوام السلف اذا لم يشهدوا ما ذكرناه صبروا على أذاها لشهودهم أن نفعها أكثر من ضررها وكانوا رضى الله عنهم يؤدون الى المرأة حقها على الكمال ولا يمنعهم مخالفتها لهم عن ذلك عملا بنحو حديث أد الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك وان كان على كل من الزوجين الحق للآخر كما هو مقرر فى كتب الحديث والفقه وتقدم فى الخلق قبله قول كعب الأحبار من صبر على أذى زوجته أعطاه من الاجر ما أعطى أيوب عليه السلام وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه يقول من جهاد المرأة حسن التبعل لزوجها وكان الحسن البصرى يقول أربعة من الشقاء كثرة العيال وقلة المال وجار السوء فى دار الاقامة وزوجة تخون زوجها وكان سفيان الثورى يقول من تزوج فقد أدخل الدنيا بيته ومن أدخل الدنيا بيته فقد تزوج ابنة ابليس ومن تزوج ابنة ابليس أكثر ابليس التردد الى بيته لأجل ابنته فاحذروا من التزويج قلت كلام سفيان رضى الله عنه فى حق من تزوج بغير نية صالحة فان فى الحديث من تزوج لله كفى و وقى لابد من هذا الحمل ليخرج من تزوج من الأنبياء والمحفوظين والأولياء والله أعلم وفى الحديث لولا أن الله ستر المرأة بالحياء لكانت لا تساوى كفا من تراب وكان على بن أبى طالب يقول من سعادة المرء خمسة أشياء أن تكون زوجته موافقة وأولاده أبرارا واخوانه أتقياء وجيرانه صالحين ورزقه فى بلده وقد كان ﷺ يقول اللهم انى أعوذ بك من صاحب غفلة ومن جار سوء ومن زوج يؤذى ولما ماتت زوجة مالك بن دينار لم يتزوج بعدها وكان يقول لو أنى قدرت على طلاق نفسى لطلقتها وكان أحمد بن حرب يقول اذا اجتمع فى المرأة ست خصال فقد كمل صلاحها المحافظة على الخمس وطواعية زوجها ومرضاة ربها وحفظ لسانها من الغيبة والنميمة و زهدها فى متاع الدنيا وصبرها عند المصيبة وكان عبد الله بن المبارك يقول من فتنة النساء التى حذر النبى ﷺ منها أنهن يدخلن على الأزواج القطيعة للقرابة و يحوجونهم لأدنى المكاسب الزائدة على فتنة الشهوة والميل وكان حاتم الأصم يقول المرأة الصالحة عماد الدين وعمارة البيت وعون على الطاعة والمرأة المخالفة تذيب قلب صاحبها وهى ضاحكة وكان عبد الله بن عمر يقول علامة كون المرأة من أهل النار أن تضحك لزوجها اذا أقبل وتخونه اذا أدبر وكان شقيق البلخى يقول لامرأته لو كان أهل بلخ كلهم مثلى وأنت على ما قدرت على حفظ دينى وكان المدائنى يقول شكا نبى من الأنبياء الى ربه سوء خلق امرأته فأوحى الله اليه انى جعلت ذلك حظك من العقاب وكان عبد الملك ابن عمير يقول اذا طعنت المرأة فى السن تعقم رحمها واختل لسانها وساء خلقها واذا طعن الرجل فى السن استحكم رأيه وذهبت حدته وحسن خلقه وكان حاتم الأصم يقول من علامة المرأة الصالحة أن يكون حسبها مخافة الله وغناها القناعة بقسمة الله وحليها السخاوة بما ملك وعبادتها حسن خدمة الزوج وهمتها الى استعداد الموت وكان يقول كن مع زوج ابنتك أو أختك تقم دينها بذلك ولا تكن مع ابنتك أو أختك

غير عمل (وفرقة أخرى) حكموا العلم والعمل الظاهر وتركوا المعاصى الظاهرة وغفلوا عن قلوبهم فلم يمحوا منها الصفات المذمومة عند الله كالكبر والرياء والحسد وطلب الرياسة والعلو وارادة السوء بالأقران والشركاء وطلب الشهرة فى البلاد والعباد وذلك غرور وسببه غفلتهم عن قوله ﷺ

على زوجها تفسد عليها دينها وشكا أبو مطيع البلخي الى أيوب بن خلف زوجته فقال له أيوب من لم يصبر على أذى زوجته كيف تدعي أن له درجة عليها وكان حاتم الأصم في بيته كالدابة المربوطة ان قدموا له شيئا أكل والا سكت وطوى وفي الحديث المرأة الفاجرة كألف فاجر وكان اياس بن معاوية يقول اثنان لا أدري لهما دواء تحاقن البول والمرأة السوء وسيأتي بسط هذا الخلق في مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقد درج السلف كلهم على الصبر على الزوجة وعدم مقابلتها أو أدبها الا لمصلحتها والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا به

* ومن أخلاقهم رضي الله عنهم * ترك طلب الرياسة حتى تفجأهم وتقديمهم الناس على أنفسهم ويصير أحدهم يقول ما أنا بأهل للامامة مثلا فيقول الناس له بل أنت أهل لذلك وزيادة وقد كان سفيان الثوري رضي الله عنه يقول من طلب الرياسة قبل مجيئها فرت منه وفاته علم كثير وكان يقول لا يطلب أحدكم الرياسة الا بعد مجاهدة نفسه سبعين سنة وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول اذا جعلكم الناس رؤسا فكونوا أذنابا وكان حجاج بن أرطاة يقول قد قتلني طلب الرياسة وحبها وكان الانطاكي يقول الرياسة رأس حب الريا ومعشوق النفس وقرة العين للشيطان وكان ابراهيم بن أدهم يقول كونوا أذنابا ولا تكونوا رؤسا فان الذنب ينجو والرأس يهلك وكان الفضيل بن عياض يقول ما أحب أحد الرياسة الا أحب ذكر الناس بالنقائص والعيوب ليتميز هو بالكمال ويكره أن يذكر الناس أحدا عنده بخير ومن عشق الرياسة فقد تودع من صلاحه وكان سفيان الثوري يقول ترك الرياسة وترك محبة المرأة أمر من الصبر وكان ميمون بن مهران يقول اياكم أن تدعوا أحدا يمشي معكم أو في ركابكم اذا ركبتم لقضاء حاجة فان ذلك معدود من الفتنة للمتبوع والذلة للتابع قال وأول من مشى معه الرجال يشيعونه من المسجد الى الدار الاشعث بن قيس فكان يركب والغلمان يجرون بين يديه فقال الناس قاتله الله من جبار فاياك يا أخي وحب الرياسة في شيء من أمور الدنيا أو ما يؤول اليها وسيأتي بسط ذلك في مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين

* ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم * نصح بعضهم بعضا فكان الكبير لا يتكدر من نصح الصغير له وبالعكس وهذا بخلاف ما غلب عليه أهل الرعونات اليوم وقد نصحت أنا مرة شيخا من مشايخ هذا الزمان فهجرني الى أن مات وكان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول ما من شيء أحب الى الله من شاب ينصح شيخا وشيخ ينصح شابا وبذلك صار الشاب التائب حبيب الله وقال صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالشباب خيرا فانهم أرق أفئدة ألا وان الله تعالى أرسلني شاهدا ومبشرا ونذيرا فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ وأنشدوا في ذلك

ان الغصون اذا لاينتها اعتدلت * ولن يلين اذا لاينته الخشب

قال أنس وكان الشباب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتعبدون الا قليلا فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم زادوا في العبادة وقالوا انما كنا في أمان من نزول العذاب بنا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب ذلك الأمان وكان أحمد بن حرب يقول ينبغي للرجل أن يرتدع عن اللهو والمعاصي اذا بلغ الأربعين سنة واذا طلع الشيب في رأسه واذا حج الى بيت الله الحرام واذا تزوج فان الزنا بعد التزويج أقبح من كل قبيح قلت والمعنى أن ما ذكر تشتد قبحه على من تخلق بهذه الصفات لأنها كانت مباحة لمن لم يبلغ الأربعين نظير ما قالوا يستحب للصائم ترك الغيبة وكان يحيى بن معاذ يقول ما عمر الانسان في هذه الدار ولو طال الا كنفس واحد فمن ضيع نفسا واحدا يعيش به عيش الأبد انه والله من الخاسرين وكان كعب الأحبار يقول الشاب المتعبد أحب الى الله من الشيخ المتعبد ومر رجل على حذيفة بن اليمان وحوله فتيان جلوس فقال ما هؤلاء الأحداث حولك فقال وهل الخير الا في الشباب أما سمعت قول الله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقوله تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وقوله تعالى قال لفتاه آتنا غداءنا وان الله لم يبعث نبيا الا وهو شاب وفي الزبور ما بلغ أحد سبعين سنة الا اشتكى من غير علة وكان محمد ابن حسان يقول لا تطلب من نفسك العمل في هذه السنة مثل عملها في السنة التي قبلها لأن الانسان كل يوم

الرياء الشرك الأصغر وقوله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقوله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الأخبار وغفلوا عن قوله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم فغفلوا عن قلوبهم واشتغلوا بظواهرهم ومن

في نقص وقد قيل لشيخ كيف حالك فقال صار يسبقني من هو مثلي ويدركني من هو خلفي وصرت أنسى كل شيء سمعته من الخير وصرت اذا قمت دنت مني الارض واذا قعدت تباعدت وصرت أبصر الواحد اثنين واسود مني ما كنت احب أنه يبيض وابيض مني ما كنت أحب أنه يسود واشتد مني ما كنت أحب أنه يلين ولان مني ما كنت أحب انه يشتد انتهى فتأمل يا أخي ما ذكرته لك واستغنم شبابك وارقع مشيبك بكثرة الاستغفار فمالك تحرر ما انصدع من دينك والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضي الله عنهم ﴾ حسن أدبهم مع الصغير فضلا عن الكبير ومع البعيد فضلا عن القريب ومع الجاهل فضلا عن العالم وقد قال تعالى لموسى وهرون فقولا له قولا لينا مع أن فرعون كان من أفسق الكفار وأجمعوا على أن علو الدرجات انما يكون بزيادة الأدب والأصل في الأدب شهود النقص في أنفسهم والكمال في غيرهم عكس من كان قليل الأدب وقد كان صلى الله عليه وسلم يكره للرجل أن يحد النظر الى أخيه وكان ميمون بن مهران اذا دعي الى وليمة جلس مع الصبيان والمساكين من الرجال وترك الأغنياء وكان سعيد بن عامر يقول سمعت وصف انسان اناء ابليس خوفه لعنته الملائكة فقال له رجل يوما وهو لا يعرفه يا أصلع فقال له يا أخي ان كنت لغنينا عن لعن الملائكة لك وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول أعلم الناس بالله أشدهم تعظيما لأهل لا إله إلا الله وكان بكر بن عبد الله المزني يقول اذا رأيت من هو أكبر منك فعظمه وقل انه سبقني الى الاسلام والعمل الصالح واذا رأيت من هو أصغر منك فعظمه وقل في نفسك اني قد سبقته الى الذنوب واذا أكرمك الناس فقل هذا من فضل الله علي لا أستحقه واذا أهانوك فقل هذا بذنب أحدثته واذا رميت كأن جارك بحصاة فقد آذيته وكان وهب بن منبه يقول لما أكثر بنو اسرائيل المسائل على موسى عليه الصلاة والسلام وأبرموه أوحى الله تعالى في يوم واحد الى ألف نبي ليكونوا أعوانا له تكرمة لموسى فمال الناس اليهم فوجد موسى من نفسه غيرة فأماتهم الله في يوم واحد قلت غيرة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام محمودة لخروجهم من حظ النفوس بالعصمة وليست اماتة الله تعالى لهؤلاء الأنبياء عقوبة واعاذ ذلك لما سبق في علمه تعالى من انتهاء آجالهم بعد معاونتهم موسى عليه الصلاة والسلام وكان محمد بن واسع يقول لا يبلغ العبد مقام الاحسان حتى يحسن الى كل من صحبه ولو ساعة وكان اذا باع شاة يوصي بها المشتري ويقول قد كان لها معنا صحبة وكان حاتم الأصم يقول قد قلت أخلاق الرجال في ثلاثة تعظيم أخلاق الاخوان وستر معايبهم واحتمال أذاهم وكان يحيى بن معاذ يقول بئس القوم قوم ان استغنى بينهم المؤمن حسدوه وان افتقر أذلوه وما مشى صغير قدام كبير الا عوقب بحرمان الخيرات ومدحوا عند الفضيل بن عياض رجلا وقالوا انه خلا يأكل الخبيص فقال وما ترك أكل الخبيص انظروا كيف صلته للرحم انظروا كيف كظمه للغيظ انظروا كيف عطفه على الجار والأرملة واليتيم انظروا كيف حسن خلقه مع اخوانه وكان أحمد بن حرب يقول مثل الذي يعلم الناس الخير ويرشدهم اليه مثل من استأجر أجراء يعملون له بأبدانهم وأموالهم الليل والنهار في حياته وبعد مماته وسمع يحيى بن معاذ رجلا يتمنى مالا فقال له ماذا تصنع به فقال أجود به على الثقلين فقال دع الثقلين تكون قد فوتهم على الله لتصير تحبهم فانهم اذا صارت قد فوتهم عليك أبغضتهم وثقلوا على قلبك وكان يقول من تعظيم أخيك المسلم اذا مات له ميت في بلد أخرى أن تسافر الى تعزيته وقد خرج أبو معاوية الأسود من الشام الى مكة ليعزي الفضل في ولده علي ولم يخرج لحج ولا عمرة وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول من سره أن يظله الله تعالى من نار جهنم يوم القيامة فليسكن بالمؤمن رحيما رقيق القلب وكان محمد بن المنكدر يقوم الليل واذا طلبت أمه أنه يغمز رجلها الى الصباح يرى ذلك أفضل من صلاته قلت وقد قالوا مثل ذلك في حق شيخ الانسان وكان كهمس بن الحسن يقول كنت أخدم أمي وأرفع القذر من تحتها فأرسل الي سليمان بن علي بصرة وقال اشتر بها خادما تخدم أمك فأبيت وقلت ان والدتي لم ترض غيرها لخدمتي وأنا صغير فكذلك لا أرضى غيري لخدمتها وأنا كبير وكان مورق العجلي رضي الله عنه يفلي رأس أمه ولا يدع أحدا يفليها غيره وكان الحسن البصري يقول في قوله تعالى فلا تقل لهما أف قال اذا بلغا سن الكبر وولي من قذرهما ما

لا يصفى قلبه لا تمنح طاعاته وهو بمنزلة مريض ظهر به الجرب فأمره الطبيب بالطلاء وشرب الدواء فاشتغل بالطلاء وترك شرب الدواء فأزال ما بظاهره ولم يزل ما بباطنه وأصل ما على ظاهره مما في باطنه فلا يزال الجرب يزداد أبدا مما في باطنه فلو زال مما في باطنه استراح الظاهر فكذلك الخبائث اذا كانت كامنة في القلب يظهر آثارها

كأن يليان من قذره فى الصغر فلا يقل لهما أف ولا ينهرهما ولا يمسك بأنفه من رائحة قذرهما كما كانا لا يمسكان أنفهما من رائحة قذره وسيأتى فى هذه الاخلاق بسط الادب مع الوالدين فى مواضع وأن من نادى أباه أو أمه باسمهما فقد عقهما الآن يقول يا أبى أو يا أماه وان مشى بين يدى والديه فقد عقهما الآن كان يميط الأذى بين يديهما كما قاله ابن محيريز رضى الله عنه فتأدب يا أخى مع جميع اخوانك المسلمين لا سيما الفقراء والمساكين والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ شدة خوفهم من الله تعالى أن يختم لهم بسوء فيكونوا من المحو بين عنه فى النار وكان أحدهم يأخذ فى التفكر والحزن حتى يغيب عن الحاضرين وكان الحسن البصرى رضى الله عنه اذا سمع بحديث آخر من يخرج من النار رجل يخرج بعد ألف سنة يقول الحسن ياليتنى كنت ذلك الرجل وقيل له يوما فى ذلك فقال أليس يخرج من النار وكان سفيان الثورى رضى الله عنه يقول ما أمن أحد على دينه يعنى الا غالبا الا سلبه وكان الامام أبو حنيفة رضى الله عنه يقول أكثر ما يسلب من الناس الايمان عند الموت وكان بشر الحافى رحمه الله تعالى يقول اذا صعدت الملائكة بروح المؤمن وقد مات على الاسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا كيف نجا هذا من الدنيا وقد هلك فيها خيارنا وكان الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى يقول نطلع روح العبد على ما كان غالبا عليه قبل موته قال وقد دخلت على محتضر فكنت كلما أقول لا إله إلا الله يحسب الدراهم وكان مطرف بن عبد الله يقول انى لا أعجب ممن هلك كيف هلك وانما أعجب ممن نجا كيف نجا وما من الله على عبد بنعمة أفضل من أن يميته على الاسلام وكان زيد بن أسلم يقول لو كان الموت بيدى لا ذقته نفسى وانما أحب الاسلام ولكنه ليس بيدى وبكى سفيان الثورى مرة حتى غشى عليه فقيل له علام تبكى فقال بكينا على الذنوب زمانا ونحن الآن نبكى على الاسلام أى خوفا أن يذهب منا وكان يقول ربما يعبد الرجل الاوثان وهو فى علم الله سعيد وربما يطيع وهو فى علم الله شقى الحديث ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها الحديث وهذا هو الذى أذهل العقول وفى الحديث أصدق المؤمنين ايمانا أكثرهم تفكرا فى الدنيا وأشد الناس فرحا فى الجنة أكثرهم بكاء فى الدنيا وكان يحيى بن معاذ يقول التفكر والاعتبار يخرجان من قلب المؤمن عجائب الحكمة فتسمع منه أقوالا ترضاها الحكماء وتخضع لها رقاب العلماء وتعجب منها الفقهاء ويسارع الى حفظها الادباء وكان سفيان الثورى يقول خوف المؤمن وحزنه على قدر نور بصيرته وكان وجه محمد بن واسع كأنه وجه ثكلا فقدت ولدها وكان لا يراه أحد الا زالت من قلبه القسوة وكان يقول لا تصحب من الناس الا من ينفعك برؤيته قبل كلامه وكان وهيب بن الورد يقول أوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام اغسل قلبك فقال يا رب الماء لا يصل اليه فكيف أغسله فقال اغسله بطول الهم والغم والحزن على ما فاتك منى وما يفوت وكان ابراهيم بن أدهم يقول ان الاسقام التى تصيب القلب أصلها من الذنوب كما أن الاسقام فى البدن تنشأ من الأمراض وقد جعل الله تعالى لكل داء دواء فاذا اشتد حزن الرجل رجعت دموع عينيه الى قلبه فأغلت بدنه وقيل لابراهيم الا تخضب شيب لحيتك فقال الخضاب معدود من الزينة ونحن فى مأتم وحزن ليلا ونهارا وقالوا لبشر بن الحرث ما لنا لم نزل نراك مهموما فقال لأنى رجل مطلوب من الحاكم بالحقوق وكان يقول كل حزن وخوف ينقضى الا حزن الذنوب فانه يتجدد مع الانفاس وكان حاتم الاصم يقول فى قوله تعالى أن لا تخافوا ولا تحزنوا انما يقال ذلك لمن طال خوفه وحزنه فى الدنيا وأما من أذنب وبطر ولم يندم فلا يقال له شىء من ذلك وكان معاذ بن جبل يقول لا ينبغى لعبد أن يظهر الفرح حتى يجاوز جسر جهنم يعنى الصراط وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه يبكى ويقول تسترع البهائم والطيور والحيتان وأنا مرتهن بعملى وكان صالح بن عبد الجليل رضى الله عنه يجمع عياله وأهله فى كل يوم عيد ويجلسون فيبكون فقيل له فى ذلك فقال انى عبد أمرنى الله تعالى بطاعته ونهانى عن معصيته فلا أدرى هل وفيت بهما أم لا وانما يليق الفرح والسرور يوم العيد لمن كان آمنا من عذاب الله وقد كان رسول الله ﷺ يقول ما أتانى جبريل عليه السلام

على الجوارح ( وفرقة أخرى ) علموا هذه الاخلاق الباطنة وعلموا أنها مذمومة من جهة الشرع الا أنهم لاجل تعجبهم بأنفسهم يظنون أنهم منفكون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم فى العلم فأما هم فهم أبلغ عند الله من أن يبتليهم بذلك وظهرت

قط الا وهو خائف يرعد من هيبة الله تعالى وكان وهب بن منبه يقول انما اتخذ الله ابراهيم خليلا لسكونه كان شديد الخوف منه وكانوا يسمعون خفقان قلبه من مسيرة ميل وكان موسى بن مسعود يقول كنا اذا جلسنا عند سفيان الثوري فكأنما نار أحاطت بنا لما نرى عليه من شدة الخوف والجزع وكان الفضيل بن عياض يقول ان لله عبادا اذا ذكروا عظمة الله تقطعت قلوبهم في بطونهم ثم تندمل ثم تتقطع ثم تندمل ثم تنقطع ثم تندمل أبدا أياما عاشوا وكان يقول يخوف العبد من الله على قدر معرفته به وكان ابراهيم بن الحرث لا يرفع طرفه الى السماء أبدا خوفا وحياء من الله تعالى من حيث ان السماء قبلة الدعاء قالوا وكان الخوف كثيرا ما يغلب على سفيان الثوري ومالك بن دينار والفضيل بن عياض فيخرجون على وجوههم لا يدرون أين يذهبون وكان عمران بن حصين يقول والله انى لأود أن أصير رمادا تنسفنى الريح في يوم عاصف وكان اسحق ابن خلف يقول ليس الخائف الذى يبكى ويمسح دموعه وانما الخائف من ترك فعل الأمور التى يخاف أن يعذبه الله عليها وكان الحسن البصرى يقول قرأت قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت وصرت أرددها فاذا بهاتف يهتف ويقول كم تردد هذه الآية وقد قتلت أربعة آلاف من الجن لما سمعوها فلم يرفعوا طرفهم الى السماء حتى ماتوا (ووقف الفضيل بن عياض) في يوم عرفة قابضا لحيته يبكى من الزوال الى غروب الشمس وهو يقول واسوأتاه وان غفرت لى وكان حماد بن زيد لا يجلس قط الا مستوفزا فقيل له فى ذلك فقال انما يجلس مطمئنا من كان آمنا من عذاب الله وأنا غير آمن من نزوله على ليلا ونهارا وكان عمر بن عبد العزيز يقول لولا أن المقلة تنشق لتشققت الحلق كلهم من خشية الله عز وجل وكان مالك بن دينار يقول والله لقد هممت أن أوصى أهلى اذا أنا مت أن يقيدونى ويغلونى ويدخلونى القبر كذلك كما يفعل بالعبد المجرم الآبق من سيده كيف يتمنى أحدكم نفسه بدخول الجنة والتنعم بالحور والقصور وهو مستوجب للسعير والثبور وكان الفضيل ابن عياض يقول والله انى لا أغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا الآن كل هؤلاء يشاهدون أهوال يوم القيامة وانما أغبط من لم يخلق بعد وتقدم قول سفيان بن عيينة ينبغى للعبد أن يكون عند الله من أجل عبيده وعند نفسه من أشر العبيد وعند الخلق من وسطهم وكان فرقد السنجى يقول دخل بيت المقدس خمسمائة بكر نقص عليهن بعض الأحبار شيئا من أمور الآخرة فمتن جميعا فى ساعة واحدة وكان لباسهن المسوح وكان عطاء السلمى رضى الله عنه يقول اللهم انى أسألك العفو والصفح ولا يتجرأ قط أن يقول اللهم أدخلنى الجنة قال فرقد السنجى ودخلنا مرة على عطاء السلمى فوجدناه قد وضع خده على الأرض فى الشمس فنظرنا اليه فاذا بجرى دموعه فى خده قد انسلخ من البكاء ورأينا ما تحت خده من الأرض قد صار طينا ووحلا وكان كثيرا ما يتلقى دموعه بيده ويرشها حوله حتى يظن الداخل أن ذلك ماء الوضوء وبلغنا أنه مكث لم يرفع طرفه الى السماء أربعين سنة فرفع طرفه يوما غفلة فوقع على بطنه فانفتق فى بطنه فتق فلم يزل ضرر يصابه الى أن مات وكان اذا أصاب أهل بلده بلاء يقول هذا كله بذنوب عطاء لو أنه خرج من بلادهم لما نزل عليهم بلاء وكان (١) غالب الليل يمس جلده مخافة أن يكون قد مسخ وكان يقول خرجنا مرة مع عتبة الغلام فمررت على مكان فسقط مغشيا عليه فلما أفاق قال هذا مكان عصيت الله فيه وأنا دون البلوغ وكان ذلك بعد أن صلى الصبح بوضوء العشاء عوارا بعين سنة هو وأصحابه حتى علت أبدانهم وتغيرت ألوانهم حتى صارت كأنها قشور البطيخ الهندي وسيأتى فى هذا الكتاب زيادة على ذلك وأنه كان يغشى على أحدهم من البكاء وبعضهم يبكى بكاء الميت الى أن مات رحمه الله والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله عنهم) مواظبتهم على قيام الليل صيفا وشتاء ورقيتهم تأكده عليهم كأنه فرض حتى قالوا كل فقير نام فى الليل من غير غلبة فلا يجيء منه شىء فى الطريق وقد أغفل هذا الخلق كثير من الفقراء فينامون فى الليل على طرا ريح كما ينام العامة وأبناء الدنيا وبعضهم يدخل كل يوم الحمام فلا يخرج منه حتى تطلع الشمس من غير ضرورة بل يرفهها وما أقبح الشيخ وهو ذاهب الى الحمام كل يوم بكرة النهار والعامة والمريدون يرونه وكان آخر من أدركت من فرسان الليل الشيخ محمد بن عنان كان ورده كل ليلة خمسمائة ركعة

عليهم تخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف وغرورهم بأنهم ظنوا أن ذلك ليس بكبر وانما هو عز الدين واظهار لشرف العلم ونصرة دين الله وغفلوا عن فرح ابليس به وعن نصرة النبى صلى الله عليه وسلم بماذا كانت وبماذا أرغم الكافرين وغفلوا عن تواضع الصحابة وتذللهم وفقرهم ومسكنتهم

(١) لعله : غالب الليل

وهي وِرد المهدي على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وكان الشيخ الصالح ذو الأحوال والكرامات الشيخ
فرج بناحية شان شلمون بالشرقية يجيء لسيدي محمد هذا ويقول له أهلا براعي الصهيب لأجل كونه كان
مواظبا على قيام الليل وكان لا يتهجد لليالي الشتاء إلا فوق السطح رضي الله عنه وفي الحديث عليكم بقيام الليل
فإنه دأب الصالحين قبلكم ومقربة إلى ربكم وتكفير لخطاياكم ومنهاة عن الإثم ومطردة للداء عن الجسد
وقالت أم سليمان بن داود يا بني لا تنم الليل فإن من نام الليل يجاء يوم القيامة وهو مفلس من الحسنات وأوحى
الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني وفي الحديث إن الله تعالى
يباهي ملائكته بالعبد إذا قام يتهجد من الليل في الليلة الباردة ويقول انظروا إلى عبدي خرج من تحت
لحافه وترك الدنيا وزعم أنه يخشى يناجيني بكلامي أشهدكم أني قد غفرت له قال نافع وكان عبد الله بن عمر
يقوم من الليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فيقول له لا فيقوم لصلاته ثم يقول يا نافع أسحرنا فيقول نعم فيقعد
فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر وكان الإمام زين العابدين رضي الله عنه يقول نام يحيى بن زكريا عليهما
السلام ليلة عن ورده وكان قد شبع من خبز الشعير فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى لو اطلعت على جنة الفردوس
اطلاعة لذاب جسمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولَلَبست الحديد بعد المسوح وكان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ربما يمر عليه الآية في ورده من الليل فيسقط مغشيا عليه حتى يصير يعاد أياما كما يعاد المريض
وكان رضي الله عنه أيام خلافته لا ينام ليلا ولا نهارا وإنما هي خفقات برأسه وهو جالس وكان يقول إذا نمت
في الليل ضيعت نفسي وإن نمت في النهار ضيعت رعيتي وأنا مسئول عنهم وكان عبد الله بن مسعود يقوم
للتهجد إذا هدأت العيون فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح وكان سفيان الثوري إذا غفل عن نفسه
فأكل كثيرا يقوم الليلة كلها ويقول إن الحمار إذا زيد في علفه زيد في تعبه في بقية الأحمال الشاقة وكان
طاوس رحمه الله يفرش فراشه من العشاء ويصير يتقلب عليه ويئن إلى الصباح لا ينام وكثيرا ما كان يقوم
من العشاء إلى الفجر شاخصا وكثيرا ما يمكث جالسا مطرقا إلى الفجر لا يتكلم وكان يقول إن خوف جهنم أطار
نوم العابدين وكان السلف الصالح رضي الله عنهم يعرفون وجه من نام عن قيام الليل ويقولون ما رأيناك
في الحضرة الإلهية وقد حضر فلان وفلان وفرقوا عليهم التحف وكان يعيب بعضهم على بعض النوم على
فراش وطيء له وكان بعضهم قعد على فراش لين قدم من سفر فنام عن ورده تلك الليلة فحلف أنه لا ينام على
فراش حتى يموت وكان عبد العزيز بن أبي داود يفرش له الفراش فيضع يده عليه ويقول ما ألينك ولكن
فراش الجنة ألين منك ثم يقوم إلى صلاته فلا يزال يصلي إلى الفجر وكان الفضيل بن عياض يقول إني لأقوم
الليلة فيطلع الفجر فيرجف قلبي وأقول جاء النهار بما فيه من الآفات وكان بشر الحافي وأبو حنيفة ويزيد
الرقاشي ومالك بن دينار وسفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم يقومون الليل كله على الدوام إلى أن ماتوا وقالوا
مرة لبشر الحافي ألا تستريح لك في الليل ساعة فقال إن رسول الله ﷺ قد قام حتى تورمت قدماه
وقطر منهما الدم مع أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف أنام أنا ولم أعلم أن الله
يغفر لي ذنبا واحدا وكان الحسن البصري يقول ما ترك أحد قيام ليلة إلا بذنب أذنبه تفقدوا أنفسكم كل ليلة
عند الغروب وتوبوا إلى ربكم لتقوموا الليل وكان كثيرا ما يقول إنما يثقل قيام الليل على من أثقلته الخطايا
وكان أبو الأحوص يقول أدركنا العلماء والعباد وهم لا ينامون الليل وكنت إذا طفت بدار أو مسجد في
الليل سمعت فيه دويا كدوي النحل فما بال هؤلاء أهل زماننا يأمنون مما كان أولئك يخافون منه وكان
صلة بن أشيم رضي الله عنه يصف قدميه للصلاة من العشاء إلى الفجر ثم يقول إذا فرغ من صلاته يا رب أجرني
من النار فإن مثلي لا ينبغي له سؤال الجنة وقال رجل لإبراهيم بن أدهم إني لا أقدر على قيام الليل فصف لي دواء
فقال له لا تعصه بالنهار وهو يقيمك بين يديه في الليل فإن وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشرف والعاصي
لا يستحق ذلك الشرف وكان عتبة الغلام يقول إذا توضأ من الليل فقبل أن ينتصب للصلاة اللهم إني
قد حملت نفسي ما لا أطيق من المعاصي والقبائح حتى استحققت الخسف والمسخ ودخول النار وها أنا أريد أن

حتى عوتب عمر رضي الله عنه على بذاذته عند قدومه الشام فقال إنا قوم أعزنا الله بالإسلام لا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرفيعة ويزعم أنه يطلب عز العلم وشرف الدين ومهما أطلق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يخطر بنفسه أن ذلك حسد

أقف بين يديك خلف كل عارض على وجه الأرض رجاء أن تغفر لأحد منهم فيصيبني شيء من المغفرة وكان الحسن بن صالح يقوم الليل هو وجارية له فباعها لقوم فلما صلت العشاء افتتحت الصلاة فما زالت تصلي الى الفجر وكانت تقول لأهل الدار كل ساعة تمضي من الليل يا أهل الدار قوموا يا أهل الدار صلوا فقالوا انما نحن لا نقوم الى الفجر فجاءت الى الحسن بن صالح وقالت بعتني لقوم ينامون الليل كله وأخاف أن أكسل من شهود نومهم فردها الحسن اليه رحمة بها ووفاء بحقها وكانت رابعة العدوية تتوضأ كل ليلة وتتطيب وتقول لزوجها ألك حاجة فان قال لا قامت الى الصباح وكانت تقول أول الليل الهي نامت العيون وغارت النجوم وأغلقت ملوك الدنيا أبوابها وبابك لا يغلق فاغفر لي ثم تصف قدميها للصلاة وتقول وعزتك وجلالك هذا موقفي بين يديك الى الصباح ما عشت وكان سفيان الثوري يقول عليكم بقلة الأكل تملكوا قيام الليل وكان ثابت البناني يصلي الليل كله ويقول لأهله قوموا فصلوا فان قيام الليل أهون من مكابدة أهوال يوم القيامة وكان أبو الجويرية يقول صحبت الامام أبا حنيفة لا أفارقه ستة أشهر فما رأيته وضع جنبه الى الأرض في ليلة منها قالوا ولم يكن لأبي حنيفة فراش في الليل وكان سفيان الثوري يقول ما رأيت أعبد من أبي حنيفة ولا أزهد ولا أورع منه وكان الفضيل بن عياض يقول بلغنا أن الله تعالى يقول حين يتجلى من الليل أين المدعون لمحبتي في النهار أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه فها أنا الآن مطلع على أحبابي يكلموني على الحضور ويخاطبوني على المشاهدة وغدا أقر أعينهم في جنتي وكان المغيرة بن حبيب يقول رمقت عيناي ليلة مالك بن دينار وقد انتصب بين يدي الله تعالى من العشاء قابضا على لحيته فما زال يبكي ويقول يا رب ارحم شيبة مالك الى أن طلع الفجر قال ورمقت عبد الواحد بن زيد شهرا فرأيته لا ينام من الليل شيئا وكان يقول لأهل الدار كل ساعة مضت من الليل يا أهل الدار انتبهوا فما هذه دار نوم عن قريب يأكلكم الدود وكان صهيب العابد رقيق الامرأة بالبصرة وكان يقوم الليل كله فقالت له سيدته يوما ان طول القيام بالليل يضر بخدمتك بالنهار فقال لها ماذا أصنع واذا ذكرت جهنم طار نومي وكان أزهر بن مغيث رضي الله عنه يقول رأيت ليلة حوراء من أجمل النساء فقلت لها لمن أنت فقالت لمن يقوم الليل في ليالي الشتاء وكان العلاء بن زياد يقوم الليل كله فقالت له امرأته ألا تستريح لك لحظة فأطاعها فأتاه آت في منامه وأخذ بمقدم شعر رأسه وقال قم فصل ولا تضع حظك من عبادة ربك فقام فوجد تلك الشعرات واقفة فلم تزل واقفة حتى مات ونام ابراهيم بن أدهم ليلة في بيت المقدس فسمع صوتا من جانب الصخرة يقول قيام الليل يطفي لهب النار ويثبت الأقدام على الصراط فلا تتساهل في قيام الليل فما تركه بعد ذلك حتى مات فاعلم ذلك يا أخي واعمل به والحمد لله رب العالمين

## (الباب الثاني في جملة أخرى من الأخلاق)

(فمن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) محبة هضمهم لنفوسهم بحيث يصير أحدهم يتبرك بتلميذه ويحمله الحاجة ولا ينظر الى كونه أعلم من مريده أو أكثر عملا منه بطريقه الشرعي اذا كان لا يخشى عليه فتنة بذلك وقد بلغنا أن الامام الشافعي رضي الله عنه لما أرسل قاصده للامام أحمد بن حنبل بأنه سيقع في محنة عظيمة ويخلص منها سالما يعني مسئلة هل القرآن مخلوق أو غير مخلوق فلما أخبره القاصد خلع الامام أحمد له قميصه سرورا بقدوم رسول الشافعي فلما رجع الرسول بالقميص وأخبر الشافعي به قال له هل كان هذا القميص على جسده من غير حائل قال نعم قال فقبله الامام الشافعي ووضعه على عينيه ثم صب عليه الماء في اناء وعركه فيه ثم عصره ووضع غسالته عنده في قارورة فكان كل من مرض من أصحابه يرسل له شيئا من تلك الغسالة فاذا مسح به جسده عوفي من مرضه لوقته فانظر يا أخي تواضع الامام الشافعي مع الامام أحمد مع كونه من تلامذته وهذا يدلك على أن القوم مع كثرة أعمالهم الصالحة كانوا رضي الله عنهم لا يرون نفوسهم على أحد من المسلمين عكس ما عليه المتمشيخون في هذا الزمان وكان آخر من أدركته يعتقد في تلميذه ويتبرك به ويرسل له الأرمد والمريض ليرقيه الشيخ محمد بن عنان والشيخ محمد السروي رحمهما الله تعالى فكان الشيخ محمد بن عنان يرسل من يريد الدعاء لمريضه الى الشيخ يوسف الحريثي رحمه الله وكان الشيخ محمد السروي

ويقول انما هو غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه وهذا مغرور فانه لو طعن على غيره من العلماء من أقرانه ربما لم يغضب بل ربما يفرح وان أظهر الغضب عند الناس فقلبه ربما يحبه وربما يظهر العلم ويقول غرضي به أن أفيد الخلق وهو به مراء لأنه لو كان غرضه صلاح الخلق

يُرسله الى الشيخ علي الحديدي رحمه الله مع أن الشيخ يوسف والشيخ علي المذكورين من تلامذة هذين الشيخين فرضي الله تعالى عن الصادقين فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة الغيرة على ذكر الله تعالى أن يذكره أحد وهو غافل وذلك كقصد الوالدة بالذكر تنويم ولدها اذا سهرت به في الليل فان ذكر الله يجل عن مثل ذلك وقد قال بعض الصالحين يوماً لمريض قل يا لطيف وهو متغافل عن كونه بين يدي الله تعالى فعاتبه ربه عز وجل على ذلك في المنام وقال له قد جعلت ذكر اسمي لعباً ولهواً انتهى فاعلم ذلك يا أخي واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) أن يكون أحدهم هيناً ليناً ينقاد للصغير كما ينقاد الجمل وفي الحديث الذي فيه الأمر بتسوية الصفوف ولينوا في أيدي اخوانكم وفي القرآن العظيم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك اذا علمت ذلك فاعلم أن من جملة لين الفقراء أن أحدهم اذا دخل على جماعة يذكرون الله تعالى كذكر الأعجام أو المغاربة أو الشناوية أو المطاوعة أو الرفاعية مثلاً أن يذكر معهم كهيئتهم في الصورة بطريقه الشرعي وكذلك يوافقهم في ذكرهم الذي لقنوه حين دخلوا في الطريق من نفي أو اثبات ولا يقول ان هذه الكيفية ليست طريقة شيخنا كما يقع في ذلك كثير من الناس فيفوتهم الأجر مع وقوعهم في الجفاء وغلظ الطبع فاعلم ذلك واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) شدة الجوع بطريقه الشرعي وان لم يجدوا شيئاً حلالاً يأكلونه طووا الأيام والليالي وقد جربوا فوجدوا النور كله والخير في خلو الباطن حتى قالوا في المثل السائر في الطبل انما كان صوته قوياً جهوراً لكونه خالي الجوف وقد قالوا ينبغي للعالم أن لا يشبع قط لا سيما أيام التأليف وذلك لئلا يحجب عن كمال الفهم في القرآن والحديث والفقه وغير ذلك وذلك لأن فهم الشبعان يكون ضعيفاً ومن شك فليجرب وقد أدركنا جماعة كثيرة من الفقراء كانوا رضي الله عنهم على قدم الصدق في الجوع حتى كان أحدهم لا يدخل الخلاء الا كل سبعة أيام مرة حياء من الله تعالى أن يكثر تردده للخلاء وهو مكشوف العورة وقد انتهى أمر سيدي الشيخ تاج الدين الذاكر رحمه الله تعالى الى أن صار يتوضأ في كل اثني عشر يوماً مرة وقد كان سيدي علي الشهاوي المشهور بالذويب رحمه الله تعالى يأمر كل من لقيه بالجوع ويقول انه سلاح المؤمن وصاحب الجوع ان لم يطع الله لم يعصه لعدم وجود داعية تدعوه الى المعاصي وممن صام الدهر كله أخي الشيخ عمر النبتيتي المكشوف الرأس وولد عمه الشيخ عبد القادر المكشوف الرأس أيضاً وصار كل منهما في غاية النورانية وعلو الهمة رحمهما الله تعالى فاتبع يا أخي سلفك في ذلك ولا تأكل الا بعد جوع شديد وهو أن تشتعل أمعاؤك وتصير تلذعك لعدم وجود طبيعة تشتغل بطبخها فاعلم ذلك يا أخي واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) اذا علموا بالقرائن عدم اخلاص من يتعلم منهم العلم أن يدوموا على تعليمه ولكن يتوجهوا الى الله تعالى في الدعاء له باصلاح النية فيؤجرون هم واياه ولا يتركون تعليمه فان ذلك تهجم على مراد الشارع وذلك لأن العلم يحمل الأمرين للعمل به ولاحياء الشريعة به فصاحبه مأجور على كل حال اما أجراً كاملاً أو أجراً ناقصاً وقد كان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول ما من حامل علم الا وهو يعمل به ولو في حق نفسه اذا ارتكب المعاصي لأنه يتوب ويندم اذا وقع فيها فلولا علمه بالحكم ما اهتدى ليكون ذلك ذنباً ولا تاب منه فقد عمل هذا بعلمه من تلك الحيثية وان كان من ارتكب المعاصي لم يعمل بعلمه على مصطلح الناس فافهم فالعلم نافع لصاحبه على كل حال ولم يزل علم كل انسان أكثر من عمله في كل عصر والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عزمهم على العمل بعلم كل عالم أو ولي لا يعتني بالعمل بما علم فيعملون بعلمه ثم يجعلون ثواب ذلك في صحائف هذا العالم ويطلبون أجرهم من الله تعالى من باب المنة والفضل كما أنهم اذا قرأوا في علم من العلوم يجعلون ثواب ذلك للمؤلف ولا يزاحمونه في ذلك لأن ثواب كل قول لقائله فافهم

ولكن

لاحت صلاحهم على يد غيره ممن هو مثله أو فوقه أو دونه وربما يدخل على السلاطين ويتودد اليهم ويثني عليهم فاذا سئل عن ذلك قال انما غرضي بأن أنفع المسلمين وادفع عنهم الضرر وهو مغرور فلو كان غرضه ذلك لفرح به اذا جرى على يد غيره ولو رأى من هو مثله عند السلطان يشفع في أحد

ولكن هذا الأمر لا يتحقق به الا من كان أشفق على المؤمنين من أنفسهم بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما بسطنا الكلام على ذلك في كتاب المنن الكبرى والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) مخالطتهم لمن كان عدوا لهم في السر ويدعي محبتهم ظاهرا وايهامهم ان أحدهم صدقه في دعواه المحبة له ولم يلحق لما عنده من عدم الصدق ولا يكذبونه قط في دعواه وكذلك لا يمتنع قط من تقريبه اذا طلب منه القرب فان ذلك تزيده عداوة وتعظيما للفتنة لكن يحتاج هذا المخالط للعدو الى حفظ جوارحه من سائر المخالفات لأن العدو ربما كان قصده من المخالطة الاطلاع على عورة أخيه ليصير يهجوه بذلك في المجالس أيام ظهور عداوته له كما هو واقع كثيرا فليكن المخالط لعدوه على حذر ولا يخالط الا من يعتقد فيه الصداقة والمحبة فان البعد من العدو أولى لكل من لم يكن عنده كمال سياسة وكثرة دين فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) رؤية محاسن الناس والتعامي عن مساويهم حتى ان أحدهم لا يكاد يرى في أخيه المسلم عيبا يهجوه به أبدا ويصير الناس كلهم عنده صالحين فعلم أن الصالحين لا يعادون أحدا لحظ نفس وانما الناس هم الذين يعادونهم حسدا وعدوانا فان قيل ان صاحب هذا المقام تقل نفعه لأصحابه من حيث عدم النصح والتحذير من المنكر فيصير هذا أمر تسكنا للمعاصي على الدوام ولا يهتدي لتحذيره عنها لعدم شهوده فيه اذا حمله على المحامل الحسنة فالجواب أنه يهتدي للتحذير بالالهام الصحيح بواسطة رابطته به أو بقياسه على نفسه ويقول كما أني ارتكب المعاصي مثلا فكذلك أخي قد لا يخلو منها فان ما جاز في حقي جاز في حق غيري ومعلوم عند القوم ان ذكرهم نقائص اخوانهم لا يكون الا على وجه التحذير دون التشفي لبراءتهم عن مثل هذا الفعل لأن الكامل يكنى عند القوم أبا العيون فلكل شيء عنده عين يراه بها فيشهد سلامة أخيه من النقائص كالرياء والنفاق ونحوهما بعين ويحتاط له كاحتياط من يتهمه بالنقائص فلا او تقدرا بالعين الأخرى ويحذره منها بالعين الأخرى والله أعلم

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة شكرهم لله تعالى اذا كثر حسادهم وأعداؤهم ثم كثرة استغفارهم بعد ذلك فيشكرون الله تعالى على تلك النعمة التي حسدهم الناس عليها ويستغفرونه عز وجل من حيث أنه لولا وجودهم ووجود النعمة التي عليهم ما وقع أحد في حسدهم المحرم فاستغفارهم المذكور انما هو تورع من حيث اللازم للنعمة والا فوجود النعمة ليس بيدهم ويسمى هذا استغفار الأكابر وكذلك كثرة استغفارهم لمن يحسدهم ورحمتهم له وشفقتهم عليه لكونه أهلك دينه بكثرة حسده لهم فيقول أحدهم اللهم اغفر لحاسدينا فانهم لما عندهم من الضيق لا يحتملون رؤية النعم التي علينا دونهم ولو اتسعت نفوسهم لم يقعوا في حسدنا وهذا الخلق لا يكاد يتخلق به الا قليل من الناس بل غالبهم يتمنى لحاسده كل سوء والله أعلم

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) انصافهم لكل من سعى لهم عند الأكابر والأمراء في تحصيل رزقه أو جوالي أو هدية ونحو ذلك فيقاسمونه بالنصف أو الربع بقدر ما يرضونه برضيه لا سيما ان وصف أحدهم بالصلاح والزهد والورع حتى أعطوه ما أعطوه فان ذلك من باب النصب والتلبيس فلا ينبغي للشيخ أن يشح عليه بما يطلبه من ذلك لأنه معدود من كسب ذلك الناصب حقيقة فالأولى له عدم أخذ شيء منه مطلقا الا بطريق شرعي وقد كثر النصب في أهل هذا الزمان فصار أحدهم يوقف النقيب مثلا ينصب له عند الأمراء أو مشايخ العرب ثم اذا أتاه به يختص به ولا يعطي النقيب الذي نصب وتعب شيئا وذلك خيف عظيم وقد رأيت بعضهم رفع الشيخ الى الحاكم وذكر فيه الفجر والبحر حتى قال القاضي وجماعته للشيخ انك يا رجل طماع عظيم فاياك يا أخي أن تظن في مشايخ العصور المتقدمة انهم كانوا كذلك فتسيء بهم الظن بل كانوا على جانب عظيم من الزهد والورع فاعلم ذلك يا أخي والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عملهم بالسنة اذا خطبوا امرأة فيرون منها الوجه والكفين قال بعضهم ويكون ذلك بغير شهوة لأنها ليست بمحل الاستمتاع بها الآن ولكن الجمهور على خلافه لاذن

لغضب وربما أخذ من أموالهم فاذا خطر بباله انه حرام قال له الشيطان هذا مال بلا مالك وهو لمصالح المسلمين وأنت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام الدين وهذه ثلاث تلبيسات أحدها انه مال لا مالك له والثاني انه لمصالح المسلمين والثالث انه امام وهل يكون اماما الا من أعرض عن الدنيا كالأنبياء

الشارع له فى النظر ولا يتعلل أحدهم بالحياء فان فى ترك النظر مفاسد وحصول شرور اذا لم تعجبه ثم اذا رأى أحدهم المخطوبة لا يرى منها الا بقدر الحاجة فان علم من نفسه الطغيان فلينظر دون القدر المأذون فيه ويفوض أمره الى الله تعالى أو يأذن لامرأة يثق بها تنظر هاله بحكم النيابة فعلم أن من ترك النظر وتعلل بالحياء فهو جاهل بالسنة مجافى الطبع وان حياءه الذى تعلل به طبيعى لا شرعى والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) كثرة أدبهم مع من علمهم سورة أو آية من القرآن وهم أطفال فلم يزل أحدهم يتأدب مع من علمه السورة أو الآية أو الباب من العلم حتى انه لا يقدر يمر عليه راكبا ولا يتزوج له مطلقة ولو صار من مشايخ الاسلام أو من مشايخ الطريق ومن جملة أدبهم معه أيضا افتقاده بالهدايا والكسوة له ولعياله ومن يلوذ به اكراما له وكذلك من أخلاقهم عدم البخل على الفقيه الذى يعلم أطفالهم القرآن ولا يستكثرون عليه شيئا يعطونه له من الدنيا وقد حكى عن ابن أبى زيد القيروانى صاحب الرسالة رحمه الله تعالى أنه أعطى فقيه ولده لما علمه حزبا من القرآن مائة دينار فقال له الفقيه أنا يا سيدى ما عملت شيئا أستحق به هذا كله قال فحول الشيخ ولده من عنده الى فقيه آخر وقال هذا رجل مستهين بالقرآن (قلت) وقد عملت أنا بهذا الخلق بحمد الله تعالى مع فقيهى الشيخ حسن الحلبى رحمه الله تعالى فكنت أكسوه هو وأولاده الى أن مات ولم أر أننى قمت بواجب حقه رحمه الله وقد كنت مارا يوما مع الشيخ شمس الدين الديالمى رحمه الله تعالى فى سنة ثمان عشرة وتسعمائة فرأى الشيخ رجلا أعمى تقوده ابنته فنزل الشيخ من على دابته وقبل يده وما شاه طويلا فلما رجع سألته عنه فقال هذا رجل قرأت عليه وأنا صبى شيئا من القرآن فلا أقدر أمر عليه وأنا راكب مع ان الشيخ شمس الدين المذكور كان قد أعطى من الجاه والاعتقاد والعلم والصلاح عند الملوك فمن دونهم ما لم أر أحدا أعطى مثله من أقرانه حتى انى رأيته بين القصرين يوما والناس يزدحمون عليه لتقبيل يده ومن لم يصل اليه نشر رداءه فحذفه عليه حتى يصيب من ثياب الشيخ ثم يصير يقبل ذلك الرداء كما يفعل الناس ذلك بكسوة الكعبة حين تمر عليهم بالقاهرة فرضى الله تعالى عن أهل الأدب فاعلم ذلك واقتد بهم والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) عدم شهودهم فى نفوسهم ان لهم نوافل من العبادات ولو قاموا حتى تورمت أقدامهم وانما يرون ذلك كالجابر لبعض النقص الحاصل فى فرائضهم اذ النوافل حقيقة انما تكون لمن كملت فرائضه كما أشار اليه قوله سبحانه وتعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك فذكر تعالى أنها نافلة له لكمال فرائضه صلى الله عليه وسلم اذ هو معصوم من النقص فى عباداته كما ذكره الحافظ الجلال السيوطى رحمه الله فى الخصائص وغيره أيضا وان قدر أن أحدا من الأولياء أتى بعباداته على الكمال فذلك بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأيت فى كلام بعض العلماء ان الملائكة عليهم الصلاة والسلام لا تعرض على الله تعالى صلاة أحد الا بعد تكملتها له من نوافله أدبا مع الله تعالى وقد فعل جماعة الملوك مثل ذلك فيمن كان ببدنه عاهة مثلا فلا يعرضونه على السلطان أبدا صيانة له أن يقع بصره على ناقص وان حدث ذلك فى وزير أو دفتردار أو نحوهما عزلوه واستنابوا غيره وما جعله الناس أدبا مع الملوك فهو أدب مع الله تعالى فان الشرع قد يتبع العرف فى كثير من المسائل كما هو معلوم فاعلم ذلك يا أخى واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) عدم استشراف نفوسهم الى هدية أحد جاء من الحجاز أو من الشام مثلا فلا تحدث أحدهم نفسه بأن فلانا يهدى الى شاشا أو ميداسا أو فاكهة أو نحو ذلك أبدا بل هم غافلون عن مثل ذلك وكذلك اذا أهدوا هم الى أحد جاء من السفر المذكور شيئا ابتداء لا تحدثهم أنفسهم بأنه سيكافئهم على ذلك بل هم غافلون عن ذلك بالكلية وليس ذلك من باب سوء الظن بأخيهم انما هو من باب ترك الطمع فهو وان لزم من ظنهم بأخيهم انه لا يكافئهم سوء الظن فليس ذلك مقصودا لهم ولا يؤاخذ الشخص الا بما قصده وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى اذا سمع أحدا يذكر أشعب الطماع وانه كان يفتش على الدخان يترحم عليه ويقول انه كان حسن الظن بجيرانه فجزاه الله تعالى خيرا يعنى انه معدود فى طبقة الخير بالجيران

والصحابة وأفاضل علماء هذه الامة ومثله كما قال عيسى عليه السلام العالم السوء كصخرة وقعت فى فم الوادى فلاهى تشرب الماء ولاهى تترك الماء يخلص الى الزرع وأصناف غرور أهل العلم كثيرة وما يفسد هؤلاء أكثر مما يصلحونه (وفرقة أخرى) أحكموا العلوم وطهروا الجوارح زينوها بالطاعات واجتنبوا

بالجيران وان لزم منه الطمع فافهم واعلم أنه ينبغى لك اذا أرسلت هدية وعلمت من أخيك المكافأة عليها لما هو عليه من المعروف أن تخبره بذلك على لسان القاصد وتقول له قل لأخى فلان أن هذا أمر لا يستحق مكافأة عليك وقد أقسم عليك أخوك بعدم المكافأة فيه جبرا الخاطره وذلك لأجل أن يستريح من تعب المكافأة ولو لحظة وقد أرسلت مرة لأخى الشيخ شمس الدين البرهمتوشى رحمه الله تعالى هدية قليلة فأرسل الى أضعافها ففعلت بذلك كبر مروءته لكن لا يخفى أن البداءة بالهدية مطلوبة شرعا لاسيما لمن بينهما عداوة فى السر لخبر تهادوا تحابوا وخبر الهدية يذهب وحر الصدر أى غشه وشؤمه فابدأ بالهدية يا أخى بطريقه الشرعى واحذر من استشراف نفسك الى هدية ممن جاء من سفر أو الى مكافأة ممن أهديت أنت اليه ومتى خالفت ذلك فقد خرجت عن طريق سلفك فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ أن يشددوا فى العزومة على الضيف فانه لا يأكل بعد ذلك الا رزقه الذى قسمه الله له وقد كان الشيخ عبد الحليم بن مصلح رحمه الله تعالى يحلف على الضيف أنه لا يأكل عند أحد غيره مادام فى بلده فكان الضيف بعد ذلك لا يأتيه الا نادرا وقد قلت له مرة فى ذلك فقال لى قد استفدنا فى التشديد على العزومة بياض الوجه ولم يأكل الا ما قسم له ولو أنى لم أشدد فى العزومة لربما أكل عندى على رغم أنفى وأكون مذموما عنده وعند الله وعند الخلق وقد فعلت أنا بذلك مع أولاد سيدى الشيخ محمد الشناوى وأولاد الشيخ عبد الرزاق البخارى رحمهما الله تعالى لما أقاموا عندى مرة نحو ثلاثة أشهر فكنت أغضب منهم اذا أكلوا عند غيرى وكان يحصل لهم بذلك انشراح قلب ويزول ما كانوا يتوهمونه من حصول ثقل عندى أو حصول ثقل منهم فاعلم ذلك يا أخى والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ شدة ورعهم فى أمر الطعام والشراب حتى ان أحدهم كان لا يأكل الا بعد أن يرى سبعة أيد قد تداولت على ذلك الطعام أو ثلاثة أيد فى الحل فان لم يجدوا ذلك طووا حتى يجدوا حلالا يناسبهم وقد كان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى ممن آخر من رأيته من المتورعين فكان لا يأكل من طعام الا ان تداولت عليه سبعة أيد فى الحل وكان ان لم يجد طعاما على هذا الحكم طوى الايام المتوالية حتى تأكل الامعاء بعضها ويخاف على عقله ودينه فهناك يأكل كالمضطر وكان رحمه الله تعالى يعرف تداول تلك الايدى من طريق الكشف وقد من الله تعالى على باقتفاء أثره لكن بتداول ثلاثة أيد فقط ثم ان حصل عندى شك فى ذلك تقايأته وتارة يطلع هو بنفسه فالحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ تفقد نفوسهم كل ساعة ليخرجوا منها صفات المنافقين ويدخلوا فيها صفات المؤمنين لأنها عكسها فمن جملة صفات المؤمنين ما ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله عز وجل التائبون العابدون الى آخر الآية ومنها قوله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون الخ ونحوهما من الآيات وفى الحديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وفى حديث آخر لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه يا رسول الله قال غشه وظلمه وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول اذا رأيتمونى زغت عن الطريق فقومونى وانصحونى فان المؤمن لا يكون الا ناصحا لأخيه وقد جمع يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى جملة من صفات المؤمن فى بعض رسائله فقال أن يكون كثير الحياء قليل الأذى كثير الخير قليل الفساد صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول كثير البر للرحم وصولا وقورا شكورا كثير الرضا عن الله اذا ضيق عليه الرزق حليما رفيقا باخوانه عفيفا شفوقا لا لعانا ولا سبابا ولا عيابا ولا مغتابا ولا نماما ولا عجولا ولا حسودا ولا حقودا ولا متكبرا ولا معجبا ولا راغبا فى الدنيا ولا طويل الامل ولا كثير النوم والغفلة ولا مرائيا ولا منافقا ولا بخيلا هشاشا بشاشا لا حساسا ولا جساسا يحب فى الله ويبغض فى الله ويرضى فى الله ويغضب لله زاده تقواه وهمه عقباه وجليسه ذكراه وحبيبه مولاه وسعيه لأخراه وذكر نحو ثلاثمائة وصف وكان مالك بن دينار رحمه الله يقول لو نبت للمنافقين أذناب ما وجد المؤمنون أرضا يمشون عليها يعنى لكثرتهم وكان حذيفة رضى الله عنه يقول

ظاهر المعاصى وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والكبر والحقد وطلب العلو وجاهدوا أنفسهم فى التبرى منها وقلعوا من القلب منابتها الجلية القوية ولكنهم مغرورون اذ فى زوايا القلب بقايا من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خدع النفس ما دق وغمض فلم يتفطنوا لها وأهملوها

كان الرجل يتكلم بالكلمة الواحدة على عهد رسول الله ﷺ فيصير بها منافقا وانى لأسمعها من أحدكم فى المجلس الواحد عشر مرات وهو لا ينتبه لها وفى الحديث المنافق همته فى الطعام والشراب والمؤمن همته فى الصيام والصلاة وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول قوة المؤمن فى قلبه وقوة الكافر والمنافق فى يده وكان حاتم الأصم رحمه الله تعالى يقول من علامة المؤمن أن يفعل الطاعات ومع ذلك يبكى ومن علامة المنافق أن ينسى العمل ثم يضحك وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول المؤمن يزرع نخلا ويخاف أن يثمر شوكا والمنافق يزرع شوكا ويطلب أن يثمر رطبا اه فاعلم ذلك يا أخى وفتش نفسك قبل موتك وابك عليها ان وجدت فيها أخلاق المنافقين وأكثر من الاستغفار والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) عدم امساك الدينار والدرهم فى بداية أمرهم ثم جمعهما للانفاق فى نهاية أمرهم وذلك لأن الشخص فى بداية أمره فى الطريق فى حكم الطفل الرضيع فيحتاج عند الفطام الى وضع الصبر ونحوه على الثدى ليصير يكره الرضاع من اللبن الذى يضره فاذا ذاقتنا كراهية مصه لذلك صار هو يكره شرب اللبن وتعافه نفسه وكذلك الفقير فى حال نهايته يصير يعاف الدنيا وهناك يكون الكمال فى امساكها ليعف بها نفسه عن سؤال الناس وينفق منها فى سبيل الله كما أمره الله وعلى هذا التقدير ينزل قول من نهى عن الدنيا من السلف ومن أمر بامساكها وقد كان مسلم النحات رحمه الله يقول لما ضرب الدينار والدرهم وضعهما ابليس على جبهته وقبلهما وقال من أحبكما فهو عبدى حقا (قلت) لا بد من استثناء من أحب الدنيا للانفاق من هذا الاطلاق والله أعلم لانه اطلاق فى محل تفصيل وقد كان كهمس بن الحسن رحمه الله تعالى لا يمسك بيده دينارا ولا درهما ويقول والله لجرات تتزاحم الى من جراب ذهب وقد كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول لا يكمل مقام الفقير الا برفض الدنيا وعدم تقديم نفسه فيها على اخوانه الا أن يكون أحوج منهم وقد طلب رجل صحبة ابراهيم بن أدهم رحمه الله فقال له بشرط أن لا تكون أحق بمالك منى فقال لا طاقة لى على ذلك ثم ذهب وفى التوراة حرام على قلب يحب الدنيا أن يقول الحق وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول اعلموا ان الدرهم عقرب فمن لم يحسن رقيته قتله سمه فقيل له وما رقيته قال أن يؤخذ من حله ويوضع فى محله وقد كان سميط بن عجلان رحمه الله تعالى يقول الدراهم ازمة المنافقين يقادون بها الى المهالك وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول لا يكون الرجل صالحا حتى يتساوى عنده الذهب والتراب وكان شقيق البلخى رحمه الله تعالى يقول من انشرح لدخول الدنيا عليه فهو منافق يعنى بذلك من تظاهر للناس بالزهد فى الدنيا وأما من لم يتظاهر بذلك فلا والله أعلم وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يضع الدرهم فى كفه ويقول أف لك من درهم لا تنفعنى الا ان خرجت عنى وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اذا دخل الدرهم الحرام من الباب خرج الحق من الكوة فقيل له فان سدت الكوة فقال يخرج من حيث يأتى ملك الموت وكان العلاء بن زياد رحمه الله يقول لا يكمل العالم الا ان عف عن الدنيا وعن النساء وقد كان سفيان الثورى رحمه الله كثيرا ما ينشد قوله

انى وجدت فلا تظنوا غيره * ان التورع عند هذا الدرهم

فاذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بان تقاك تقوى المسلم

اه فاحذر يا أخى من فضول الدنيا واقتد بسلفك الطاهر فى الزهد تسلم من آفاتها والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) محبتهم لتقديم مريدهم خدمة الله تعالى على خدمتهم فاذا دعوا أحدا الى حاجتهم ولم يأت لاشتغاله بتلاوة القرآن مثلا أو بذكر الله تعالى كان ذلك أرجح عندهم من حاجتهم ولو كانت ضرورية كطحن القمح وطبخ الطعام ونحو ذلك وهذا الخلق لا يعمل به الا من خلص من رعونات النفس وصحت له محبة مرضاة الله تعالى حتى صار يقدمها على جميع أهوية نفسه وقد كان لى ورد فى الصلاة على النبى ﷺ فطاب لى الذكر ليلة واستمريت فيه حتى فاتنى وردى فى الصلاة

على

ومثلهم كمثل الزرع ومن نبر بذ تنقيته من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش فقلعه الا انه لم يفتش عالما يخرج رأسه بعد من تحت الارض وظن ان الكل قد ظهر وبرز فلما غفل عنها ظهرت وأفسدت عليه الزرع فهؤلاء ان غيروا تغيروا وربما تركوا مخالطة الخلق استكبارا عنهم وربما نظروا الى الخلق بعين

على النبي صلى الله عليه وسلم فخجلت بعد ذلك منه عليه الصلاة والسلام حياء منه فلما أصبحت عرضت ذلك على شيخنا سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى فقال لي لا ينبغي الخجل منه ﷺ لأجل ذلك فانه صلى الله عليه وسلم يحب ربه سبحانه وتعالى أكثر من نفسه بيقين فلا ينبغي أن يتوهم فيه ﷺ أنه يتكدر منه لأجل ذلك بل هو ﷺ أفرح بذكر الله عز وجل من الصلاة عليه على أن الصلاة عليه ﷺ لا بد فيها من ذكر الله تعالى اه والله أعلم وكذلك ينبغي أن يكون الشيخ ينشرح لاشتغال المريد بالصلاة على رسول الله ﷺ أكثر مما ينشرح اذا صار المريد يقول اللهم ارحم شيخي واغفر له ونحو ذلك ليكون النبي ﷺ أحب الى كل شيخ من نفسه ومن أهله فافهم ذلك يا أخي والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) تقديم أعمال الآخرة دائما على أعمال الدنيا فيقدم أحدهم ورده بعد صلاة الصبح على سائر مهماته كما يقدم التهجد في الليلة الباردة على نومه تحت اللحاف وعلى ذلك درج السلف الصالح كلهم رضي الله عنهم ومن أصبح وهمته الدنيا فهو خارج عن طريقهم وقد رأيت مرة شيخنا أراد التنزه في بستان فترك ذلك اليوم الورد وصلاة الصبح مع الجماعة وكان له عمامة صوف وعذبة فقلت له يا أخي لو لبست لك عمامة مخططة وثوبا مخططا مما يلبسه العياق وصليت الصبح في جماعة وقرأت الورد لكان ذلك أفضل لك عند الله تعالى فلم يرد جوابا وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول من لم تكن عنده تسبيحة أو تهليلة واحدة خيرا من الدنيا وما فيها فهو ممن آثر دنياه على آخرته وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول ومن خطب الدنيا طلبت منه دينه كله في صداقها الا رضيها منه الا ذلك وكان سيدي الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى يقول الدنيا ابنة ابليس فمن خطبها كثر ترداد أبيها اليه فان دخل بها أقام عنده بالكلية (قلت) المراد بخطبته الدنيا تمنيها او بالدخول بها امساكها أي امساك الفاضل منها عن حاجته لغير غرض شرعي فعلم أن من أراد أن ابليس لا يسكن عنده مع زوجه ابنته فقد رام المحال ولذلك كان يتوسوس في الصلاة والوضوء والنيات كلها كثير من الناس الذين يحبون الدنيا بقلوبهم والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم خوفهم من ضياع ذريتهم من بعدهم ولذلك كانوا ينفقون كل ما دخل يدهم من الدنيا ولا يدخرون شيئا ولو أنهم خافوا على ذريتهم الضياع لحكم عليهم الحرص والبخل والشح وخرجوا عن صفات القوم وفي الحديث الولد مبخلة مجبنة أي يدع أباه بخيلا جبانا عن الجهاد وغيره وفي الحديث أيضا مالك ما قدمت ومال وارثك ما أخرت وكان الحسن البصري رحمه الله يقول أنفق يا ابن آدم ولا يغرنك من حولك من هذه السباع الضارية ابنك وحلائلك وكلالتك وخادمك فان ابنك مثل الاسد ينازعك فيما في يدك ليختص به دونك فلا هو يتصدق به عنك ولا هو يدعك في يدك لتنفق منه في مرضاة الله تعالى وأما حلائلك فهن مثل الكلبة في البصبصة والهرير وأما كلالتك فوالله لدرهم يصل اليهم بعد موتك أحب اليهم من حياتك وأما خادمك فمثل الثعلب في الحيل والسرقة فلا تطلب المحبة من هؤلاء وتدخر مالك لهم وتوفر ظهرك فانهم ما عاهم معك على غلالة فاذا وضعوك في اللحد رجعوا الى بيوتهم فبخروا الثياب وعانقوا النساء وأكلوا وشربوا وبطروا بمالك وأنت المحاسب بذلك وكان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول أنفقوا ولا تخشوا الضيعة على أولادكم فانهم ان كانوا مؤمنين فان الله يرزقهم بغير حساب وان كانوا فاسقين فلا تساعدوهم على الفسق بأموالكم وكان سالم بن أبي الجعد رحمه الله تعالى ينفق كل ما دخل يده أولا فأولا فلامته امرأته على ذلك فقال لها لأن أذهب بخير وأترككم بشر أحب الي من أن أذهب بشر وأترككم بخير وكان محمد بن يوسف رحمه الله يقول أنفق على أخيك الصالح فانه خير لك من ورثتك وذلك لانه يدعو لك وأنت بين أطباق الثرى حتى ربما تخرج من قبرك وليس عليك ذنب بدعائه وأما ورثتك فانهم يقتسمون مالك وينسونك ولا يرون لك فضلا عليهم ويقولون ان الله تعالى جعل لنا ذلك وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى لا يقتني في بيته شيئا سوى الحصير والمصحف والابريق وقد أعطاه شخص مرة ركوة جديدة فلما أصبح

الحقارة وربما يجتهد بعضهم في تحسين منظره كيلا ينظر اليه بعين الركاكة (وفرقة أخرى) زكوا اللهم من العلوم واقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش وخصصوا اسم الفقيه وسموه الفقه وعلم

أعطاها مالك لشخص من أصحابه وقال له خذها يا أخي فإنها شغلت قلبي خوفا أن يسرقها أحد من بيتي وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول دخلت يوما على أخ لي أزوره فرأيت عينيه قد غارتا من الجوع فأخرجت له درهمين وقلت له خذهما واشتر لك بهما شيئا تقتات به يقويك على العبادة فأبى أن يقبلهما وقال في قدرة الله تعالى أن يقويني على عبادة هذه الليلة بلا طعام ولا شراب وأني أخاف أن آخذهما منك فيبيتان عندي فأموت ولم أشتر بهما شيئا وان رسول الله ﷺ قبض ولم يجدوا في بيته دينارا ولا درهما قال ولما حضرت الوفاة محمد ابن كعب القرظي رحمه الله تعالى أنفق ماله كله فقالوا له هلا ادخرت شيئا منه لذريتك فقال ادخاره لنفسي أولى وأما ذريتي فادخرت لهم فضل ربي وقد كان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول يخاف أحدنا من فضيحة الدنيا وفقرها ولا يخاف من فضيحة الآخرة وفقرها مع أن فقر الشخص من الأعمال الصالحة في الآخرة يكون به أشد خجلا من الناس فتبين ما قلناه وكان يقول ان هم النفقة والأكل والشرب قد منع قلوب الغافلين عن كل خير ولدرهم واحد يتصدق به العبد في حياته خير له من ألف دينار بعد موته وكان المدايني رحمه الله تعالى يقول توريث الأولاد الأدب خير لهم من توريث المال لان الأدب يكسبهم المال والجاه والمحبة للاخوان ويجمع لهم بين خيري الدنيا والآخرة وأما المال فانه يعدم سريعا ويصيرون بلا دنيا ولا آخرة وقد جربنا المال الموروث غالبا فوجدناه لا خير فيه ولا بركة لكونه ليس هو بكسب الوارث وربما كان المورث بخيلا به على ورثته وغيرهم فاعلم يا أخي ذلك والحمد لله رب العالمين

✱ ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم ✱ زيارتهم لقبور المسلمين كل قليل عملا بقوله صلى الله عليه وسلم زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة وهذا الخلق قل من يعمل به الآن من الناس وان وقع أنهم دخلوا تربة فليس في دخولهم اعتبار وانما ذلك لأمر عادي كزيارتهم للميت في أول جمعة أو عند تمام الشهر خوفا من تغير خاطر أهل الميت مثلا لا سيما ان كان لهم عليه حق في زيارتهم ولده أو والده للمنامات وهو غرض آخر أجنبي عما قلناه وكان آخر من رأيته عاملا بهذا الخلق سيدي الشيخ محمد بن عنان كان رحمه الله تعالى يزور القرافة كل يوم جمعة فكان يزور من عرف من الأموات ومن لم يعرف وكان عندما يرى القبور يبكي ويقول الذكر الوارد في ذلك ثم يقول ما منهم أحد الا وهو يشتهي أن يصلي ركعتين أو يقول لا اله الا الله ولو مرة واحدة فاستغنموا عمركم وكان يزيد الرقاشي رحمه الله تعالى اذا زار المقبرة يبكي ويقول ليت شعري بأي أعمالكم اغتبطتم واستبشرتم ثم يصرخ كما يصرخ الثور وكان هشام الدستوائي رحمه الله تعالى اذا زار المقابر ورجع الى داره يمكث أياما لا يستضيء بسراج ويقول أتذكر ظلمة القبر وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يزور قبور آبائه من بني أمية ويقول كأنكم يا آبائي لم تشاركوا أهل الدنيا في لذة ولا نعيم وكان يقول ما أحسن ظواهر هذه القبور وانما الدواهي في بواطنها وقد رأى الحسن البصري رحمه الله تعالى رجلا يضحك في المقابر فقال له أما يكفيك أن رسول الله ﷺ كان يكره ذلك وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول ان الميت يفتن في قبره سبعة أيام ولذلك استحبوا التصدق عنه تلك المدة مساعدة له حتى يلقن حجته وكان عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما يقول مررت على مقبرة فرأيت شخصا خارجا من قبر وهو يلتهب نارا من فرقه الى قدمه فقال لي يا عبد الله اسقني ماء فلا أدري أعرفني باسمي أم ناداني كما ينادي الرجل من لا يعرفه فأردت أن أسقيه فقال لي الموكل به لا تسقه ولا زال يضربه بالسوط حتى رجع الى قبره فانطبق عليه وكان عطاء السلمي رحمه الله تعالى كثيرا ما يخرج بعد العشاء الى المقابر فلا يزال يناجيهم الى الصباح ويرجع وكان يقول يا أهل المقابر متم فواموتاه وعاينتم أعمالكم فواعملاه اه وقد مر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يوما على مقبرة ففرش رداءه وصلى ركعتين هناك فقيل له في ذلك فقال ذكرت أهل القبور وقد حيل بينهم وبين العبادة فأحببت أن أتقرب الى الله تعالى بركعتين بينهم وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول ان أعمالكم تعرض على موتاكم فتارة يسرون وتارة يحزنون وكان كثيرا ما يقول اللهم اني أعوذ بك أن أعمل عملا تخزى به أمواتي بين الأموات وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى اذا حضر دفن ميت يكاد

الذهب وربما استمعوا مع ذلك على الاعمال الظاهرة والباطنة ولم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة والبطن عن الحرام والرجل عن السعي الى السلاطين وكذا اعضاء الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والرياء والحسد وسائر المهلكات وهؤلاء مغرورون من وجهين

يغشى عليه ويقول والله ان أمرا هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله ويخاف من آخره * واعلم يا أخي أنه ليس من أخلاق القوم حفر قبورهم في حال حياتهم أدبا مع الله سبحانه وتعالى في قوله عز وجل وما تدري نفس بأي أرض تموت أي وتدفن ولكن قد بلغنا أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى حفر قبره بدير سمعان هو وفتيانه فجعل يحفر والفتيان ينقلون التراب حتى فرغ من حفره فدفن فيه يوم السابع وكذلك قد بلغنا عن رجلين من بني خولان أنهما حفرا قبريهما بباب القرافة بمصر ونقشا اسميهما على لوح رخام هناك وأنهما يشهدان أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقد قرأته أيام سياحتي ولم يكن أحدهم يبني على قبره قبة ولا يعمل له مقصورة ولا يزخرف له حائطا ولا يعمل له في طبقات قبته قمرية خلاف ما حدث من بعض متصوفة زماننا ونور بما كان من مال بعض الظلمة فاحذر أيها الأخ الصالح من مثل ذلك فقد قالوا كم من ضريح يزار وصاحبه في النار وقد رأيت شيخا من مشايخ العجم باع كتبه وثيابه وأمتعة داره وعمل له قبة وتابوتا وسترا وشخاشيخ ونحو ذلك صرف عليها جملة كثيرة ثم كتب على بابها يقول

قف على الباب خاضعا * وأحسن الظن وارتج * فهو باب مجرب * لقضاء الحوائج

وصار كل من رأى تلك القبة وتلك الكتابة يضحك على ذلك الفقير ويقول انه خاف أن لا يعتني به أحد بعد موته فعمل هو ذلك حتى يقال شيخ وهذا كله غرور وفتح باب للاستهزاء بالصالحين فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم غفلتهم عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة على رسول الله ﷺ في كل مجلس جلسوه عملا بقوله ﷺ لا يجلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم محمد ﷺ الا كان عليهم ترة أي تبعة ونقصا يوم القيامة وأيضا عملا بقوله ﷺ ليس يتحسر أهل الجنة الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها اه وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول قد خفف الله تعالى علينا بقوله عز وجل اذكروني أذكركم ولم يخص مكانا دون مكان ولو أنه تعالى عين لنا مكانا نذكره فيه لكان الواجب علينا السعي له ولو كان مسيرة مائة سنة كما صنع في دعاء الناس الى الكعبة فله الحمد والمنة وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول اذا ذكرتم الخلق في مجالسكم فاذكروا الله تعالى فان ذكره دواء لداء ذكر الخلق وقد كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يشترط على من يريد مجالسته أن لا يغفل عن ذكر الله سبحانه وتعالى وكان عطاء السلمي رحمه الله تعالى يقول لا ينبغي لمن ظلم نفسه أن يذكر الله تعالى الا بعد التوبة والاستغفار فان الله تعالى يلعن الظالم اذا ذكره ما دام مصرا (قلت) وهو يريد ما ذهب اليه القوم من التوبة كلما أرادوا أن يذكروا ربهم عز وجل احتياطا لنفوسهم ولاحتمال ظلمهم لها ولو بارتكاب مكروه أو غفلة أو خاطر مذموم ونحو ذلك اه والله أعلم وكان داود الطائي رحمه الله تعالى يقول كل نفس تخرج من الدنيا عطشانة الا نفس الذاكرين وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول ان أولى الناس بالله من افتتح المجلس بالذكر وكان ثابت البناني رحمه الله تعالى يقول اني لأعرف متى يذكرني الله تعالى قيل له وكيف ذلك قال اذا ذكرته سبحانه وتعالى ذكرني قال تعالى فاذكروني أذكركم وكان أبو المليح رحمه الله تعالى اذا ذكر الله تعالى يحصل له طرب ويقول ما أطربني بذكر الله تعالى لي فانه سبحانه وتعالى يقول فاذكروني أذكركم وكان اذا مشى في طريق وهو غافل عن ذكر الله تعالى رجع ثانيا وذكر الله تعالى فيها ولو مرحلة ويقول اني أحب أن تشهد لي البقاع التي أمر فيها كلها يوم القيامة وقد كان داود عليه الصلاة والسلام يقول اللهم اجعلني من الذاكرين لك واذا رأيتني جاوزت مجلس الذاكرين الى مجلس الغافلين فاكسر رجلي فانها نعمة منك علي وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول حادثوا القلوب بذكر الله تعالى فانها سريعة الغفلة وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول واعجبا من الناس يبكون على من مات جسده ولا يبكون على من مات قلبه وهو أشد وقد كان بشر بن منصور رحمه الله تعالى يقلل من مجالسة الناس ويقول الاجتماع بالناس محل الغفلات ووالله ما جلس عندي أحد الا ورأيت ترك مجالسته أفضل لأنها

أحدهما من حيث العمل وقد ذكرنا وجه علاجه في كتاب الاحياء وان مثلهم كمثل المريض الذي تعلم الدواء من الحكماء ولم يعلمه أو يعمله فهؤلاء مشرفون على الهلاك من حيث انهم تركوا تزكية أنفسهم وتحليها واشتغلوا بكتاب الحيض والديات واللعان والظهار وضيعوا

تصير خيرا لي وله انتهى فاعلم ذلك يا أخي والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم وضع جنبهم في الأرض الا عند العجز عن الجلوس وعليهم بالقرآن أن الله سبحانه وتعالى يسامحهم بمثل ذلك وكان آخر من أدركته على هذا القدم سيدي الشيخ تاج الدين الذاكر رحمه الله تعالى فانه أخبر أصحابه ليلة وفاته أن له سبعا وعشرين سنة ما وضع جنبه الى الارض وكذلك سيدي الشيخ أبو السعود الجارحي رحمه الله وقد كان على هذا القدم من السلف عمر بن عبد العزيز وبشر الحافي ومحمد بن اسمعيل البخاري والامام أحمد بن حنبل والامام أبو حنيفة ورابعة العدوية والأوزاعي وجماعة ذكرناهم في الطبقات رضي الله عنهم وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله اذا غلبه النوم يقوم فيجول في الدار وينشد قوله

وكيف تنام العين وهي قريرة * ولم تدر في أي المحلين تنزل

وكذلك كانت رابعة العدوية وشعوانة وفاطمة الرملية رحمة الله عليهن كن يقلن نخاف أن نؤخذ على بغتة فعلم أن كل من ادعى الصلاح ونام في الأسحار بلا عذر فهو كاذب فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) رقة قلوبهم وكثرة بكائهم على تفريطهم في حقوق الله تعالى لعل الله يرحمهم وكان على هذا المقام الامام أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب وأبو الدرداء رضي الله عنهم وكان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه خطان أسودان في وجهه من مجرى الدموع وكذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وكذلك كان لعمر بن عبد العزيز ويزيد الرقاشي والفضيل بن عياض وبشر الحافي ومعروف الكرخي رضي الله عنهم وكان يزيد الرقاشي رحمه الله اذا دخل بيته يبكي واذا قدم اليه الطعام بكى واذا جلس اليه اخوانه بكى وأبكاهم ويقول وهل خلقت النار الا لمثلي وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله طول ليله يبكي ويجول في داره ويصرخ الى الصباح وكثيرا ما يقع مغشيا عليه وكان يصلي في سطح غرفته فيبكي في سجوده حتى تجري دموعه وتتقاطر من الميزاب على النائمين تحته حتى كانوا يظنون أنها سحابة مارة فأمطرت عليهم وقد كانت رابعة العدوية رحمة الله عليها تبكي وترش دمعها حولها حتى كان يظن الداخل اليها أن ذلك من ماء الوضوء وكان ابن السماك رحمه الله تعالى اذا حمي مجلسه وتباكى الناس يذكرهم بكاء داود عليه الصلاة والسلام وبكاء سفيان الثوري وداود الطائي والفضيل بن عياض وعمر بن عبد العزيز وأضرابهم فيستصغر الناس عند ذلك بكاءهم وكان كعب الأحبار رضي الله عنه يقول لأن أبكي من خشية الله حتى تخرج من عيني قطرة واحدة أحب الي من أن أتصدق بجبل من ذهب ولو أنا غليظ القلب وكان علي رضي الله عنه يقول علامة الصالحين صفرة الألوان وعمش العيون وذبول الشفاه أي من كثرة سهرهم وبكائهم وجوعهم وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ليس البكاء بكاء العين انما البكاء بكاء القلب فان الرجل قد تبكي عيناه وقلبه قاس لأن بكاء المنافق يكون من رأسه لا من قلبه وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول البكاء عشرة أجزاء فواحد منها لله تعالى والتسعة كلها رياء فاذا جاء ذلك الجزء الذي لله تعالى في السنة مرة واحدة نجا صاحبه من النار ان شاء الله تعالى (قلت) لا يكمل مقام الرجل في البكاء الا ببكاء عينيه وقلبه وأما الباكي بأحدهما فناقص لاسيما ان كان له أتباع فان بكاءه بالقلب لا يذوقه أتباعه فيحتاج الى بكاء العين ضرورة ان كان مقامه قد ارتقى عن ذلك والله تعالى أعلم وقد بكى رجل رياء في مجلس صلة بن أشيم فرحمه الناس فقيل له في المنام خذ أجر بكائك ممن أحببت الى أن يراك باكيا وكان شميط بن عجلان رحمه الله تعالى يقول كان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى اذا بكى يردد الدمع في عينه ويقول انه أبقى للكمد وكان عمر ابن عبد العزيز رحمه الله تعالى اذا بكى بكت زوجته وعياله وخدمه ولا يدرون لم ذلك البكاء وكان صالح المري رحمه الله تعالى يقول الذنوب تطمس القلوب ولا يزيل ذلك الا البكاء وقد بكى شعيب بن حرب رحمه الله تعالى في مجلس طاوس رحمه الله تعالى حتى أبكى الناس وظن أنه فعل أمرا عظيما فقال له طاوس اعلم يا أخي أنه لو بكى معك أهل السماء وأهل الأرض لأجل ذنب واحد فعلته لكان ذلك قليلا فكيف تظن أن ذنوبك تمحى لبكائك وحدك وقد قيل لمالك بن دينار رحمه الله تعالى ألا نأتيك بقارئ يسمعك القرآن

فقال

أعمارهم فيها وانما غرهم تعظيم الخلق لهم واكرامهم ورجوع أحدهم قاضيا ومفتيا ويطعن كل واحد منهم في صاحبه فاذا اجتمعوا زال الطعن والثاني من حب العلم وذلك لظنهم أنه لا علم الا ذلك وانه الموصل المنجي وانما الموصل المنجي حب الله تعالى ولا يتصور حب الله تعالى الا بمعرفته

فقال البكاء لا تحتاج الى نائحة وكان الضحاك رحمه الله تعالى يبكى كل عشية حتى يغشى عليه و يقول انى لا أدرى ما صعد اليوم من عملى القبيح هل غفر لى أو هو باق فى صحيفتى حتى أقف عليه غدا وكان مكحول الدمشقى رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم أحدا يبكى فابكوا ولا تظنوا به الرياء فانى ظننت ذلك مرة برجل فحرمت البكاء سنة اه فعلم أن كل من ادعى الصلاح ولم يبك بقلبه عند سماع القرآن فهو كاذب لأن قسوة القلب تنافى أخلاق الصالحين فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ ظنهم بأنفسهم الهلاك بسبب تقصيرهم فى الطاعات فضلا عن وقوعهم فى المعاصى و يقولون الرجاء فى الله سبحانه وتعالى أن يعفو عنا هو تحصيل الحاصل وانما الشأن فى ظن أحدهم أن الله تعالى يؤاخذه على النقير والقطمير ليخف وقوفه للحساب يوم القيامة فان من لم يحاسب نفسه هنا يطول وقوفه للحساب هناك نسأل الله تعالى اللطف وقد كان عبد الرحمن بن هرمز الأعرج رحمه الله تعالى يقول ونبئوا أنفسكم فيما هى عليه من القبائح فان كل أحد يحشر غدا مع جنسه فمن وقع فى سائر المعاصى فله مع كل قوم حشر وكان رحمه الله تعالى كثيرا ما يعاتب نفسه و يوبخها و يقول لها ان المنادى ينادى يوم القيامة يا أهل خطيئة كذا قوموا فتقوم يا أعرج معهم ثم ينادى يا أهل خطيئة كذا قوموا فتقوم يا أعرج معهم ثم ينادى يا أهل خطيئة كذا قوموا فتقوم يا أعرج معهم فأراك يا أعرج تقوم مع كل طائفة وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يكمل الفقير حتى يكون ليلا ونهارا كأن أهوال القيامة نصب عينيه لأجل أن يستعد لها من هذه الدار وكان رحمه الله تعالى كثيرا يقول من أراد هدو السير فى القبر فلا يعمل له سريرة يفتضح بها يوم القيامة وما دام له سريرة سيئة فالرعب من لازمه الى أن يبعث من قبره مرعوبا ولذلك كان لقمان عليه السلام يقول لابنه يا بنى كما تنام كذلك تموت وكما تستيقظ كذلك تبعث فاعمل عملا صالحا لأجل أن تنام وتستيقظ كالعروس ولا تعمل سوأ فتنم وتستيقظ مرعوبا كالمجرم الذى طلبه السلطان ليسفك دمه وكان أويس القرنى رحمه الله يقول استعمل الخوف فى هذه الدار فانه ينجى لك من العذاب وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول اعمل لنفسك ولا تعول على غيرك من صاحب وشيخ فان لكل منهم يومئذ شأنا يغنيه وصف أعمالك من الرعونات فان نورها يوم القيامة على قدر اخلاصك فيها واعلم أنه لا يستضىء منافق فى نور مؤمن كما لا يستضىء الأعمى بنور البصير وكان كعب الأحبار رضى الله عنه يقول من أغلق بابه وعصى الله تعالى واستحيا من المخلوقين دونه عز وجل حاسبه الله تعالى حسابا شديدا و وبخه توبيخا منكرا ثم نظر اليه نظر الغضب و يقول للملائكة خذوه فيبتدره ألف ملك أو يزيدون و يسحبونه على وجهه قال فيتفتت فى أيديهم فانظر يا ابن آدم هل وقعت فى ذلك وتشفع بأنبياء الله و رسله عسى أن يغفر لك لأجل من استشفعت بهم وكان الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى يقول لنفسه كيف بك يا ربيع اذا حملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة وقد كان أبو عمران الجونى رحمه الله تعالى يقول ان البهائم اذا رأت ما يصنع ببنى آدم يوم القيامة تقول الحمد لله الذى لم يجعلنا من بنى آدم وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول لا تكن ممن يفضحه الميزان والحساب يوم القيامة فقد بلغنى أن أهل الجمع يعضون كلهم أناملهم خجلا وحياء من الله تعالى كل واحد حزنه على قدر ما فرط فى جنب الله وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول يسهل الله تعالى على العبد طلوع روحه بقدر ما ذاق من الغصص فى مرضاة الله تعالى فقلت له يا سيدى ان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أكثر الناس بلاء ومع ذلك فقد ورد أن أحدهم يشدد عليه المرض وغيره فقال تشديد المرض على الأكابر قد يكون تعظيما لأجورهم لا لعلاقة ذنوبية تجذبهم اليها بل لا يجوز حملهم على ذلك و بعضهم تصعب عليه طلوع روحه لأجل تلامذته فيريد عدم الخروج من الدنيا حتى يكملهم و يرشدهم الى كمال مقام المعرفة مع محبته للقاء الله تعالى أيضا فلما تجاذبت عنده الأمران تحصل بذلك صعوبة طلوع الروح ولولا ما عنده من كمال الشفقة على تلامذته لكان أسرع الناس خروجا لروحه طلبا للقاء الله تعالى اه وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول سأل بنو اسرائيل عيسى صلى الله عليه وسلم أن يحيى لهم سام بن نوح

ومعرفته ثلاث معرفة الذات ومعرفة الصفات ومعرفة الأفعال وهؤلاء تمثل من اقتصر على بيع الزاد فى طريق الحاج ولم يعلموا أن الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والزاجرة ليستشعر القلب الخوف و يلازم التقوى كما قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة الآية

عليهما الصلاة والسلام فقال ارونى قبره فذهبوا به اليه فوقف على قبره وقال يا سام قم باذن الله تعالى قال فقام حيا واذا رأسه ولحيته بيضاء فقال له عيسى يا سام انك قد مت وشعرك أسود فقال سام نعم ولكنى لما سمعت النداء ظننت أنها القيامة فلذلك شاب شعر رأسى ولحيتى الآن فقال له عيسى كم لك من السنين ميت فقال له خمسة آلاف سنة والى الآن لم تذهب عنى حرارة طلوع الروح وقد كان عيسى ﷺ اذا ذكر يوم القيامة بين يديه يصيح كصياح الثكلاء ويقول لا ينبغى لابن مريم أن يسكت عند ذكر القيامة وكان وهيب المكى رحمه الله تعالى يقول كيف ينبغى لأحد أن يضحك فى الدنيا وهو يعلم أن بين يديه يوم القيامة صرخات وجولات ووقفات يكاد الانسان أن تنقطع مفاصله من شدة الرعب والخوف وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول فى قوله تعالى فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال هو من طلوع شمس يوم السبت الى نصف النهار فلا ينتصف النهار حتى يفرغ الخلائق من الحساب ويستقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول من وجد فى نفسه داعية للتفرج فى البساتين والنوم مع النساء الحسان فى الفرش الوطيئة ولبس الثياب المبخرة فهو غافل عن أهوال القيامة الآن يكون من كمل الأولياء الذين لا يشغلهم عن الله تعالى شاغل فى الدارين فاعلم ذلك يا أخى والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) عدم الاعتناء ببناء الدور ونحوها ثم ان وقع أن أحدهم بنى دارا اقتصر منها على ما يدفع الضرورة من غير زخرفة وذلك لعدم وجود ما يكفى ذلك من الحلال وعدم طول أمل فلا يدعهم قصر أملهم يفعلون ذلك وقد بنى سيدى أحمد الزاهد رحمه الله تعالى جامعه وداره بطين وطوب وسقف ذلك بالجريد فعلم أن كل من ادعى الصلاح وبنى البناء المحكم فرحا بالدنيا فهو كاذب فى دعواه لاسيما من ادعى الانقطاع الى الله تعالى فان ذلك لا يليق به بحال الا ان كان يرصد ذلك عن جهات بر وصدقة ونحو ذلك فيكون الباعث له على احكام البناء دوام الصدقة بعد موته كما وقع لسيدى مدين وسيدى أبى العباس الغمرى وأضرابهما رحمهما الله تعالى فلا حرج على مثل ذلك اه وقد مر سيدى الشيخ عبد القادر الجيلى رحمه الله على شخص يبنى دارا ويحكمها فانشد يقول

أتبنى بناء الخالدين وانما * مقامك فيها لو عقلت قليل
لقد كان فى ظل الأراك كفاية * لمن كان يوما يقتفيه رحيل

وممن أدركته على هذا القدم شيخنا سيدى على الخواص رحمه الله تعالى كان يعيب على الفقير اذا رآه يبنى دارا ويقول له ان الذى تصرفه على هذا البناء لا تلحق تسكن به ولما بنى أخى أبو العباس رحمه الله بيتا فى جامع البشير صرف عليه سبعمائة دينار زجره الشيخ وقال له لو سكنت بأجرة لكفاك العشر مما صرفته فى هذا البناء وكنت تتصدق بالباقى ثم مات أخى أبو العباس بعد سبع سنين أو نحو ذلك وكان الشيخ رحمه الله تعالى يقول اذا عمر الفقير بيتا من أموال اخوانه فمن الأولى له نصحهم فى عدم صرفهم ما لهم فى ذلك وارشادهم الى ما يكون أثقل فى ميزانهم يوم القيامة هذا لو أنهم شاوروه فى ذلك فكيف لو فعلوا ذلك عن سؤال منه تعريضا أو تصريحا وقد درج السلف الصالح كلهم على عدم الحرص وطول الأمل حتى ان رسول الله ﷺ بلغه ان أسامة بن زيد رضى الله عنهما اشترى وليدة الى شهر فقال ﷺ يقول ألا تعجبون من أسامة المشترى الى شهر والله ان أسامة لطويل الأمل ثم قال ﷺ والله ما رفعت قدمى وظننت أنى أضعها حتى أقبض ولا فتحت عينى وظننت أنى أغمضها حتى أقبض ولا لقمت لقمة وظننت أنى أسيغها حتى أقبض وفى رواية حتى أغص بالموت وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول من جاع وقصر أمله لم يجد الشيطان محلا من قلبه وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول يا ابن آدم انما أنت أيام فى كل يوم يمضى فقد مضى بعضك وقد أقاموا الصلاة مرة بحضرة معروف الكرخى رحمه الله تعالى فقدموا فقيرا ليصلى بهم فأبى وقال أخاف أن أموت فى الصلاة فأشوش على الناس صلاتهم فعزموا

عليه

ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الآن تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصم ودفع الحق لأجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار فى التفتيش فى مناقضات أرباب المذاهب والتفقد لعيوب الأقران وهؤلاء لم يقصدوا العلم وانما قصدوا مباهاة

عليه فقال بشرط أن لا أصلي بكم صلاة أخرى فقال له معروف عند ذلك تأخر يا أخي فإنك رجل تخاف تخاط
أولا أنك تموت في الصلاة ثم تحدثك نفسك أنك تعيش إلى صلاة أخرى ثم قدم غيره فصلى بالناس وكان داود
الطائي رحمه الله تعالى يقول من لازم من طال أمله أن ينسى العمل غالبا ويسوف بالتوبة وكان الحسن
البصري رحمه الله تعالى يقول من شأن قصير الأمل أن يظن في كل شيء أكله أنه لا يخرج من بطنه الأعلى بد
الغاسل بعد موته وأن ما جمعه لا ينتفع به إلا غيره ومتى ظن خلاف ذلك فهو طويل الأمل وكان أبو عثمان
النهدي رحمه الله يقول إن عمري الآن ثمانة وثلاثون سنة لم أمر شيء إلا وتغير على إلا أملي فإني أجده كما هو
فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وكان يحيي بن معاذ رحمه الله تعالى يقول الدنيا مطلقة الزهاد لا تنقضي
عدتها منهم أبدا وكل من طلق الدنيا تزوجته الأخرى على الفور وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه
الله تعالى يقول لا يسلم أنسان منا من طول أمله لكن ركل بمقامه فأعلاهم من كان أمله نفسا وأحدا فطول
الأمل من رحمة الله لكل أحد ولولاه ما هنأ أحدا منهم العيش وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول
مكتوب على ظهر الحوت في البحر وعلى ظهر النواة من التمر هذا رزق فلان بن فلان لا يأكله غيره ومع ذلك
فالحريص يجتهد ويخاف على رزقه أن يأخذه غيره فاعلم ذلك يا أخي والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) كثرة الشفقة على المسلمين الطائع والعاصي وعلى سائر الحيوانات
والعمل على حصول عدم نقص لدين أحد بسببهم وهذا من أشرف أخلاقهم ولا يقدر على العمل به إلا من
نور الله تعالى بصيرته وكان أشفق على الناس من أنفسهم بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهناك
رغب الناس في القرب منه حتى ربما زادوا في الدار المجاورة له أكثر من المجاورة لأهلهم وكان عبد الله
ابن عمر رضى الله عنهما يقول يزاد في ثمن الدار إذا كان جارها طلق الوجه حلو اللسان وقد كان أبو مسلم
الخولاني رحمه الله تعالى من المبالغين في التخلق بالرحمة حتى أنه ربما كان يمر بالقوم فلا يسلم عليهم ويقول
أخاف أن يحتقروني فلا يردوا على السلام فيأثموا بسببي وكان أبو عبد الله الأنطاكي رحمه الله يقول إذا علمت
من الناس الوقوع في عرضك إذا رأوك فلا تجتمع بهم رحمة لهم إلا في أوقات الصلاة وكان أبو عبد الله المغاربي
رحمه الله تعالى يقول من لم ينظر للعصاة بعين الرحمة فقد خرج عن الطريق وقد كان معروف الكرخي رحمه
الله تعالى إذا رأى عاصيا دعا له بالمغفرة ورجا له الرحمة ويقول إن الله تعالى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم
وبعثه لنجاة الناس والرحمة لهم والشيطان لعنه الله يبعث لإهلاكهم والشماتة فيهم قال ومر على معروف
رحمه الله قوم في زورق في الدجلة وبين أيديهم الخمر ونحوه فقيل له ألا تدعو الله على هؤلاء القوم العصاة
فقال اللهم كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة فقالوا له إنما سألناك أن تدعو عليهم وها أنت تدعو لهم
فقال معاذ الله أن أدعو على مسلم وإن الله تعالى لا يفرحهم في الآخرة إلا إن تاب عليهم في الدنيا وغفر لهم
وهذا من حسن سياسته رحمه الله وكان ابراهيم التيمي رحمه الله لا يدعو قط على من ظلمه ويقول يكفيه
ما حل عليه من وزر ظلمه وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى إذا نزل بفناء داره رفقة وناموا يسهر يحرس
متاعهم إلى الصباح من غير علمهم بذلك وقد روى أن موسى عليه الصلاة والسلام قال يا رب دلني على أحب
الخلق إليك فقال الله تعالى يا موسى أحب الخلق إلي من إذا سمع بأن أخاه المؤمن شاكته شوكة يحزن لها
كأنها شاكته هو اه وكان سالم بن أبي الجعد رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
جلس يوما في الظل وأصحابه رضى الله عنهم في الشمس فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد تجلس
في الظل وأصحابك في الشمس أي عاتبه صلى الله عليه وسلم على ذلك تشريعا لأمته وكان أبو عبد الله بن عون
رحمه الله تعالى يقول أول ما يرفع من هذه الأمة الرحمة والشفقة وقد كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى إذا
حصل لأحد من المسلمين أمر يهتم به سفيان حتى ربما يبول الدم من شدة الحصر وكان الحسن البصري
رحمه الله تعالى يقول من علامة الأبدال كثرة الشفقة والرحمة لعامة المسلمين وكان معروف الكرخي رحمه

الأقران ولو اشتغلوا
بتصفية قلبهم لكان خيرا لهم
من علم لا ينفع إلا في الدنيا
ونفعه في الدنيا التكبر وذلك
ينقلب في الآخرة نارا
تلظى وأما أدلة المذهب
فيشتمل عليها كتاب الله
وسنة رسوله صلى الله عليه
وسلم فما أقبح غرور هؤلاء.
(وفرقة أخرى) اشتغلوا
بعلم الكلام والمجادلة والرد

الله تعالى يقول من قال كل يوم اللهم ارحم أمة محمد اللهم أصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد كتبه الله من الابدال اه فاعلم ذلك يا أخى واقتد بسلفك فى الرحمة والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ موافقة الفقيه إذا أنكر شيئا من أحوال أهل الطريق أو أمرهم بشىء ولا يقيم أحدهم عليه الحجة الا ان علم أنه يرجع الى قوله وذلك لأن الفقيه فى دائرة لا يعرف غيرها فاذا قال ان القطب مثلا أو البدل أو الوتد لا حقيقة له فقل له نعم واقصد بذلك أنه ليس له حقيقة عنده واذا قال أن الأولياء قد انقرضوا ولم يبق منهم أحد فقل له صدقت أى على معتقده هو وكذا ان قال الخضر لا وجود له فقل له نعم لاسيما ان أتى بكلام أحد ممن ينكر ذلك كابن تيمية وقد خالف جماعة هذا الخلق وخالف الفقيه فوقع بينهم شرور وقذف أعراض وسب للطائفة وما هكذا كان الأشياخ السابقون وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى اذا جلس اليه فقيه وأراد أن يبحث معه فى علم يقول له قال الامام الغزالى كذا وكذا فقلت له فى ذلك فقال انما نقل لهؤلاء الفقهاء عن الغزالى لانه من دائرتهم فى الأصل قبل التصوف ولو أنى نقلت لهم شيئا عن أحد ممن ليس هو من دائرتهم لما قبلوه منا (قلت) ومما يدل على وجود الابدال قوله ﷺ ان بدلاء أمتى لم يدخلوا الجنة بكثرة صوم ولا صلاة وانما دخلوها بسخاوة النفوس والنصح للأمة وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول الأبدال بالشام والنقباء بالعراق والنجباء بمصر وقد سئل الامام أبو عبد الله بن ماجد الجريمى رحمه الله تعالى أيكون من النساء أبدال قال نعم وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لولا الابدال لخسفت الأرض بمن فيها ولولا الصالحون لفسدت الأرض ولولا العلماء لكان الناس كالبهائم ولولا السلطان لأهلك الناس بعضهم بعضا ولولا الحمقى لخربت الدنيا ولولا الريح لأنتن ما بين السماء والأرض وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول ما من نبى الا وله نظير من أمته اه والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ كثرة رياضة نفوسهم حتى يصير أحدهم ينظر الذى عليه بادى الرأى دون الذى له فاذا سمع نحو قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون يرى نفسه جاهلا ويرى جميع أقرانه علماء ببادى الرأى وأنه لا يستوى مع واحد منهم ولا يقاربه فى مقام ولا حال بعكس ما يتبادر الى الذهن لاسيما ذهن من لم يجاهد نفسه فاعلم ذلك واعمل عليه تجد فيه راحة عظيمة والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ كثرة عملهم على رقة الحجاب حتى يروا كل شىء فى الوجود حيا ويعاملونه معاملة الأحياء فلذلك كانوا لا يتخذ أحدهم له خلوة يعصى الله فيها أبدا لأنه يرى كل شىء ناظرا اليه بعينيه فيستحى منه ويصير يعطيه حقه من الأدب وذلك لأن كل أحد يعلم أن المكان الذى عصى الله تعالى فيه لابد أن يشهد عليه بين يدى الله يوم القيامة فاذا عصى فى محل فقد عرضه لوجوب الشهادة عليه ولو ذكر أحدهم كلاما قبيحا يكاد أن يذوب من شدة الحياء ويود أن الارض تبلعه ولا كان يتلفظ بذلك وهذا خلق غريب والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ أنهم لا يطلبون من الله تعالى اجابة دعائهم فى حق أنفسهم أو فى حق أحد من الخلق الا ان كان أحدهم مستقيم القلب مع الله تعالى الاستقامة الممكنة فى حقه بحيث لا يصير له سريرة يفتضح بها فى أحد الدارين أو فيهما ليأتى للاجابة من بابها وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول من أراد أن لا يرد له دعاء فليكن على قدم الملائكة عليهم الصلاة والسلام فى عدم العصيان وقد كان أبو نجيح رحمه الله تعالى يقول لو أن المؤمن لم يعص ربه عز وجل لكان اذا أقسم على الله تعالى أن يزيل له الجبل لأجابه وكان خالد الربعى رحمه الله تعالى يقول كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى جالسا فى ظل الكعبة يوما فقام اليه رجل وقال يا أبا اسحق ما علامة المستقيم فقال علامته لو أومأ الى جبل أبى قبيس أن زل عن مكانك لأزاله الله تعالى له قال فعند ذلك تحرك أبو قبيس للازالة فأومأ اليه ابراهيم أن قف فانى لم أعنك بهذا فوقف وقد بلغنا عن الجنيد رحمه الله تعالى أنه كان يقول شهد شخص على الوليد زورا فقال الوليد

على المخالفين وتتبع منافضاتهم واستكثروا من علم المقولات المختلفة واشتغلوا بتعليم الطريق فى مناظرة أولئك والحامهم ولكنهم على فرقتين احداهما ضالة مضلة والأخرى محقة أما غرور الفرقة الضالة فلغفلتها عن ضلالتها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة

اللهم ان كان كاذباً علىّ فأمته الساعة قال فانكب الرجل على وجهه ولا زال يضطرب حتى مات فى الوقت وكان الأعمش رحمه الله تعالى يقول نعم الرب ربنا عز وجل لو أنا أطعناه فى كل ما أمرنا لأجابنا فى كل ما سألناه سبحانه وتعالى قال وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يوماً جالساً تحت قنطرة فى بلد تسمى مرو الروذ فوقع رجل من أعلى القنطرة فقال ابراهيم اللهم أمسكه فى الهواء حتى يأتى من ينقذه من الهلاك قال فوقف فى الهواء حتى أتاه الناس فأنزلوه سالماً اه وضرب رجل من أعوان الولاة مالك بن دينار بالسوط فقال مالك اللهم اقطع يده فقطعت يد الرجل من الغد ومر عليه وهى معلقة قال وكذب رجل على مطرف بن عبد الله رحمه الله تعالى فقال مطرف اللهم ان كان كاذباً فأمته الساعة قال فوقع الرجل ميتاً فى الحال والناس ينظرونه فتعلق الناس بمطرف وأخذوه الى والى البصرة وقصوا عليه القصة فلما سمع الوالى ذلك قال ان هى الا دعوة رجل صالح صادفت منية الرجل والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ أن لا يدعى أحد منهم محبة أحد الا بعد أن يعرض على نفسه مقاسمته فى ماله واذا أصابه بلاء فى جسده يتألم كما يتألم المصاب فان طابت النفس بما ذكر فليقل له انى محب والا فليسكت عن الكذب فانه نفاق وهذا الخلق قل من يتخلق به الآن وقد تعلقت أنا به فى حق بعض أصحابى دون البعض فاعلم ذلك يا أخى والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ رحمة العصاة وعدم ازدرائهم وفداؤهم بأنفسهم حتى يود أحدهم أن جلده يقرض بالمقاريض ولا يعصى أحد منهم ربه وكانوا يرون كثرة الشفقة على العصاة أفضل من الدعاء عليهم وكان مطرف بن عبد الله رحمه الله تعالى يقول من لم يجد عنده رحمة للعصاة فليدع لهم بالتوبة والمغفرة فان من أخلاق الملائكة عليهم الصلاة والسلام أنهم يستغفرون لمن فى الأرض وكان زهير بن نعيم رحمه الله تعالى يقول وددت والله أن جلدى يقرض بالمقاريض ولا يعصى أحد ربه تبارك وتعالى وكان حبيب العجمى رحمه الله تعالى اذا قرأ آية فيها ان الله غضب على قوم يبكى عند قراءتها ويقول يا رب انك قد أدخلت قلبى الرحمة لهم فان شئت فاغفر لهم وان شئت عذبنى عنهم (قلت) ولعل مراده رحمه الله بالرحمة التى دخلت قلبه تحتح باب سؤاله ربه أن يرضى عنهم لا التحجير على الحق تعالى فى غضبه عليهم فان الكامل من تمام انه أن يغضب لغضب الحق ويرضى لرضاه عز وجل وقد كان حبيب هذا رحمه الله معدوداً عند التابعين ممن غلبت عليه أحوال الفقراء وأرباب الأحوال لا يقتدى بأفعالهم عند أهل الطريق فان الله تعالى أرحم بعباده من حبيب هذا والله أعلم وكان منصور بن محمد رحمه الله تعالى يرحم الرجل أن يأمره بأمر ويقول أخاف أن يخالف أمرى فيأثم ويقع فى العقوبة وأكون أنا السبب وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول لولا أن يأثم الناس فى لكنت أحب الى من يعيبنى ويذمنى أحب الى ممن يمدحنى لان المادح لى قد يكذب وقد كان شقيق البلخى رحمه الله تعالى يقول من لم يرحم الرجل السوء فهو أسوأ حالاً منه ومن ذكر عنده رجل صالح فلم يجد لذكره حلاوة فهو رجل سوء وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى اذا سمع بقوم ظلموا فى بعض أقطار الأرض يمرض لأجلهم حتى يصير يعاد كما تعاد المرضى فاذا قيل له قد فرج الله عنهم يزول مرضه لوقته وقد كان ثابت البنانى رحمه الله تعالى اذا سأله أحد حاجة يصير لا يصلى صلاة الا دعا له فى سجوده حتى تقضى حاجته وقد ردّ شريك رحمه الله تعالى علة فارسية راهاى سفرته من مقدار أربع فراسخ رحمة لها وكان رحمه الله تعالى يفت الخبز للنمل ويذره لهم الدقيق على بيوتهم وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يشترى العصافير الصغار التى تمسكها الأطفال ويرسلها الى عشها وكذلك الامهات يرسلها الى أولادها اذا صيدت قلت وليس هذا من باب تسيب السوائب وانما كان الغرض رحمة الأم أو الولد والله أعلم وكان معاوية اذا سأله أحد فى حاجة فقضى بعضها يحس بتخفيف الهم بقدرها من شدة ارتباطه باخوانه رحمه الله تعالى اه ففتش يا أخى نفسك هل وجدت شيئاً من ذلك لأجل اخوانك وابك على نفسك حيث لم يكن لك نصيب فى مقام الصالحين والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله عنهم ﴾ القناعة بالموجود وعدم طلبهم الزيادة فى الدنيا من مطعم أو مشرب

يكفر بعضهم بعضاً وانما ضلوا من حيث انهم لم يحكموا لشروط الأدلة ومناهجها فرأوا الشبهة دليلاً والدليل شبهة وأما غرور الفرقة المحقة لمن حيث انهم ظنوا بالجدل أنه أهم الأمور وأفضل القربات فى دين الله وزعموا أنه لا يتم لأحد دينه ما لم يفحص ويبحث وان من

أو ملبس أو مركب أو منكح أو مسكن أو غير ذلك وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول خرج الغنى والعز يجولان يطلبان من يقيمان عنده فلقيا القانع فاستقرا عنده وكان محمد بن واسع رحمه الله تعالى يأكل الخبز بالملح أو الخل ويقول من رضى من الدنيا بمثل هذا لم يذل نفسه للناس وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول من لم يقنع بخبز الشعير فى هذا الزمان ابتلى بالذل والهوان وقد استأذنه مرة شخص فى جمع المال فقال له من جمع المال ابتلى بخمس خصال طول الأمل وشدة الحرص وكثرة الشح ونسيان الآخرة وقلة الورع وقد كان حامد اللفاف رحمه الله تعالى يقول من طلب الغنى بالقناعة فقد أصاب الطريق ومن طلبه بالمال فقد أخطأ الطريق وقد أدركت بحمد الله تعالى من أصحاب هذا المقام خلقا كثيرا منهم شيخنا شيخ الاسلام زكريا وشيخنا الشيخ أمين الدين امام جامع الغمرى والشيخ عبد الحليم بن مصلح والشيخ على النبتيتى والشيخ على البحيرى والشيخ محمد بن عنان والشيخ محمد المنير والشيخ محمد العدل وغيرهم رضى الله عنهم ورأيتهم يفتون الخبز اليابس فى الماء ويكتفون به وكان الشيخ تاج الدين الذاكر رحمه الله تعالى يقول ليس القناعة بأن يأكل الشخص كل ما وجد من غير كلفة وانما القناعة أن يكون عنده المال الكثير والطعام ومع ذلك لا يأكل الا كل خمسة أيام أكلة صغيرة أو ثلاثة أيام وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله اذا أكل لا يجاوز تسع لقم ويقول قال رسول الله ﷺ حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه واللقيمات من الثلاث الى التسع وقوله ﷺ حق وصدق فمن آمن به ﷺ الايمان الكامل كفته التسع لقم ولا يحتاج الى زيادة عليها وقد سمعته رحمه الله مرة يقول من لم يكتف بالتسع اللقم فى اليوم والليلة فهو لم يؤمن الايمان الكامل لقوله ﷺ حسب ابن آدم الخ (قلت) وينبغى حمل ذلك على غير أصحاب الأعمال الشاقة أما أصحابها كالحراث والحصاد والتراس والنوتى والفاعل ونحوهم فلا يكفيه مثل ذلك الآن كان سيدنا جبريل مثلا ملكية وغلبت روحانيته على جسمانيته كما قلع جبريل عليه الصلاة والسلام مدائن قوم لوط عليه الصلاة والسلام ورفعها الى نحو السماء حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب كما ورد مع أن جبريل عليه الصلاة والسلام لا يأكل ولا يشرب فافهم والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ شدة عملهم على رقة حجابهم حتى يصير أحدهم يرى الآخرة ونعيمها بعين قلبه وذلك ليصح زهده فى الدنيا ويتفرغ للآخرة والا فمن حجب رؤية الآخرة فبعيد عليه الزهد فى الدنيا وكان عبد الله بن سلام رضى الله عنه يقول من أراد أن يزهد فى الدنيا من غير أن يرى الآخرة بين يديه فقد رام المحال وكان أبو واقد الليثى رحمه الله تعالى يقول لقد كابدنا الأعمال فلم نجد فى أعمال الآخرة عملا أبلغ من الزهد فى الدنيا وقد سمع مالك بن دينار رحمه الله تعالى رجلا يقول لو أعطانى الله تعالى فى الجنة بيتا صغيرا لرضيت به فقال له مالك ليتك يا أخى زهدت فى الدنيا كما زهدت فى الجنة وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ما طلب سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ملكا لا ينبغى لأحد من بعده الا ليتحقق بمقام الزهد لأن الزهد مع وجود الدنيا أعظم ممن كان زهده فيها مع الفقد وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول لو حلف حالف أن الزاهد فى الدنيا خير الناس لقلت له صدقت لا تكفر عن يمينك وكان الامام الشافعى رضى الله عنه يقول لو أوصى رجل بمال الى أعقل الناس لصرفته الى الزاهد فى الدنيا اه وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول يحشر الناس كلهم عراة الا الزاهد فى الدنيا وكان شقيق البلخى رحمه الله تعالى يقول الزاهد الصادق يقيم زهده بفعله والمتفصل يقيم زهده بقوله من غير فعل وقد قال رجل لسفيان بن عيينة رحمه الله تعالى أشتهى أن أرى عالما زاهدا فى الدنيا فقال له تلك ضالة لا توجد الآن لأن الزهد لا يكون الا فى الحلال المحض وأين يوجد ذلك حتى ان الانسان يزهد فيه (قلت) ان الحلال موجود والمقامات موجودة ولكن حلال كل انسان ومقامه على قدر حاله ولذلك طلب الشارع صلى الله عليه وسلم منا أن نأكل حلالا ونتأسى به فى الاخلاق والمقامات ولولا وجود الحلال وامكان الترقى لبطلت الأحكام الشرعية من قرون

صدق الله من غير بحث ونحر الدليل فليس بمؤمن ولا بكامل ولا بمقرب عند الله تعالى ولم يلتفتوا الى القرن الأول وان النبى صلى الله عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق ولم يطلب منهم الدليل وروى أبو أمامة الباهلى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نقال ما ضل قوم قط الا أوتوا

متعددة فما تم الآن من يأكل حلالا ويخاف الله عز وجل ويزهد ويتورع ولكن على قدر حظه ونصيبه فلعل قوله لم توجد الحلال محمول على سبيل المبالغة والله أعلم وقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول من كان أكثر الناس زهدا في الدنيا فهو أكثرهم عملا صالحا اه وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول من ادعى الزهد في الدنيا ثم غضب ممن ينقصه عند أهلها فهو كاذب في دعواه وكان حماد بن زيد رحمه الله تعالى يقول ليس شيء أقطع لظهر ابليس من الزهد في الدنيا وكان ابن السماك رحمه الله يقول قد صار الزهد في الدنيا مذكورا في الكتب ولا تجد له فاعلا وقد سئل يونس بن عبيد الله رحمه الله تعالى عن غاية الزهد في الدنيا فقال هو عدم الراحة فيها بالكلية (قلت) وممن أدركته من رجال هذا المقام شيخنا سيدي علي الخواص والشيخ عبد الله الفيومي المدفون بتربة الامير يشبك خارج مصر والشيخ علي المفتي بالصالحية بمصر والشيخ شمس الدين السمنودي والشيخ محمد المنير والشيخ أبو الحسن الغمري والشيخ عبد الحليم بن مصلح والشيخ محمد بن داود وشيخنا الشيخ امين الدين امام جامع الغمري فكل هؤلاء رضي الله عنهم كانت الدنيا في أيديهم لا في قلوبهم وكانوا لا يردون سائلا ولو طلب عمامة أحدهم أعطاها له وقد لقي الشيخ محمد المنير رحمه الله تعالى شخصا هربت جماله في طريق الحج فأعطاه خمسمائة دينار فلما وصل الرجل الى مكة أتاه بعوضها فأبى الشيخ أن يأخذها وقال له اني لم أعطها لك وأخذ بذلك مع أنه لم يكن بينهما معرفة قبل ذلك فانظر يا أخي في فقراء زمانك هل يفعل أحد منهم مثل ذلك مع صاحبه الاكيد في طريق الحج من غير رجوع عليه مع أن أحدهم ربما يقول أو يظن أن الشيخ محمد المنير دونه في المقام فابك على نفسك في تخلفها عن مقامات الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) سرعة المبادرة للاحرام خلف الامام ان كان اذ في ذلك تعظيم لأمر الله عز وجل أن يتهاون أحد منهم في تأخيره لكن لا لعلة ثواب ولا للذة مجالسة للحق عز وجل في تلك الصلاة فان المبادر لأجل ذلك انما هو ساع في حظ نفسه بخلاف من كان الباعث له على تلك المبادرة تعظيم أمر الله سبحانه وتعالى وعدم التهاون به ولذلك لما أمر ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالاختتان ولم يجد الموسى اختتن بالقدوم فقيل له هلا صبرت حتى تجد الموسى فقال ان تأخير أمر الله عز وجل لعظيم فاعلم ذلك يا أخي واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) هوان الدنيا عندهم وشدة رفضهم لها عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للدنيا بنين وللآخرة بنين فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا وقد روى الطبراني وغيره عن أنس رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فوجدته يدفع شيئا بيديه فقلت يا رسول الله ما هذا الذي تدفعه فقال الدنيا تطاولت لي فقلت لها اليك عني وفي الحديث أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة قوم فرأى شاة ميتة فمسك باذنها وقال أترون هذه هانت على أهلها قالوا من هوانها عندهم ألقوها يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها وفي حديث آخر لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وكان محمد بن المنكدر رحمه الله تعالى يقول تجيء الدنيا يوم القيامة فتتبختر في زينتها فتقول يا رب اجعلني لأحسن عبادك دارا فيقول الله تعالى لا أرضاك له اذهبي يا لا شيء كوني هباء منثورا وفي رواية فيقول لها اذهبي الى النار فتقول يا رب ومن يحبني مني فيقول لها ومن يحبك فتأخذهم جميعا الى النار وكان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول يوقف من يعظم الدنيا بين يدي الله فيقال له هذا الذي عظم ما حقره الله فيسقط لحم وجهه من الخجل لمن ادعى أنه يحب الله تعالى وهو يحب الدنيا فهو كاذب لأن من شرط المحب أن يكره ما كرهه محبوبه وان الله يكره الدنيا وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن الله تعالى يقول ان أهون ما أنا صانع بالعالم اذا آثر شهوته على طاعتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي وقد كان وهب بن منبه رحمه الله يقول لأصحابه تعالوا بنا نتوب من الذنب الذي ترك الناس التوبة منه فيقولون وما هو فيقول حب الدنيا وسوف يعب الدنيا رجال حتى

الجدل (وفرقة أخرى) اشتغلوا بالوعظ واعلاء رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق وهم مغرورون لأنهم يظنون أنهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد

يعبدوها و يعبدوا أهلها وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول من لم يجعل حب الدنيا من الكبائر فقد أخطأ الطريق وذلك لأن الكفر مبني على الرغبة في الدنيا (قلت) وذلك لأن سبب الكفر بالله تعالى عصيان ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام حسداً أو كبراً وكلاهما من حب الدنيا والله أعلم وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول للحواريين بحق أقول لكم إن حب الدنيا رأس كل خطيئة وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول اتقوا السحارة التي تسحر قلوب العلماء وتلهيهم عن الله تعالى يعني الدنيا وهي أسحر وأقبح من سحر هاروت وماروت لان ذاك يفرق بين المرء وزوجه وهذا يفرق بين العبد وربه وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يرون الدنيا عندهم كوديعة يؤدونها الى صاحبها ليس لهم فيها ملك ولذلك ذهبوا الى الآخرة خفافا وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله يقول كل الخبز الجاف وأنت خائف من الدنيا واياك أن تمد نفسك بعد ذلك أنك من الزاهدين فان صغير الدنيا يجر الى كبيرها من حيث لا يشعر العبد وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول انما كثر القوم من ذكر الله تعالى لتبعد عنهم الدنيا فانهم اذا ذكروا الله بعدت واذا تفرقوا عن الذكر أخذت باعناقهم فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ استحياؤهم من كثرة ترددهم الى الخلاء وذلك بدوام الجوع الشرعي مع الجدة اقتداء برسول الله ﷺ فقد كان ﷺ يشد الحجر على بطنه الشريف من الجوع قالت عائشة رضي الله عنها ولو شاء ﷺ لأكل ولكنه كان يؤثر على نفسه (قلت) قد كان له ﷺ مقام آخر أكمل من هذا وهو أنه كان يبدأ بنفسه ولا يجوع الاضطرارا لان الكامل من شأنه أن يوفي طبيعته حقها الا انه مشغول عنها لما جاع ﷺ اختيارا أو آثر على نفسه الا ليقتدى به في ذلك فافهم وكان عبد الرحمن بن أبي نعيم رحمه الله لا يأكل الأكل خمسة عشر يوما أكلة فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فدعاه ثم أمر به فوضع في بيت وأغلق عليه الباب خمسة عشر يوما ثم فتح عليه فاذا هو قائم يصلي وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما يطوي الاسبوع فكان لا يأكل الا يوم السبت وكان الامام أبو حنيفة رضي الله عنه مقللا في الأكل جدا كان يأكل كما يأكل الطير في القلة ولم يكن في بيته الا الحصير وقد كان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول أحلى ما تكون لي العبادة اذا ألصقت بطني بظهري فان الحكمة كالعروس تطلب البيت الخالي تنام فيه لتخلو فيه بصاحبها وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لا تجمعوا بين أدمين فانه طعام المنافقين وقد رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا قد تدلت جلدة بطنه فعلاه بالدرة وقال ان هذه تشبه جلدة بطن كافر وكان رضي الله عنه اذا رأى رجلا يشتري اللحم كثيرا يضربه بالدرة ويقول له أما علمت أن لهذا اللحم ضراوة كضراوة الخمر وقد كان الامام الأوزاعي رحمه الله تعالى يدخل الخلاء كل شهر مرة فصار يدخل في الشهر مرتين فكانت أمه تقول لأصحابه ادعوا لعبد الرحمن فانه قد صار مبطونا وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول والله قد استحييت من ترددي الى الخلاء كل ثلاثة أيام مرة وكذلك كان الامام مالك بن أنس والامام البخاري رضي الله عنهما وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن رسول الله ﷺ قال شرار أمتي الذين يأكلون مخ الحنطة ووالله لقد خلطت دقيقي بالرماد وأكلته مدة حتى ضعف جسدي ولو أني قويت عليه ما تركته أبدا وكان سفيان الثوري وابراهيم بن أدهم رضي الله عنهما اذا لم يجدا طعاما حلالا استفا الرمل خمسة عشر يوما أو أكثر وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول بت عند الحجاج بن فرافصة رحمه الله أحد عشر يوما فما رأيته ذاق طعاما ولا شرابا ولا قام لشيء سوى الصلاة اهـ فان قيل أن ما ذكرتموه في هذا الخلق من الطي أكثر من ثلاثة أيام لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيدتم هذا الخلق أولا بالجوع الشرعي فما وجه الزيادة على ثلاثة أيام فأجاب بعضهم بقوله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رحمة على أمته وكان يقول اقدروا القوم بأضعفهم مع أنه صلى الله عليه وسلم قد ورد أنه كان يواصل الصوم فيحتمل أن هؤلاء القوم الذين جاعوا تلك المدد الطويلة كانوا من الورثة له صلى الله عليه وسلم ويحمل نهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال على من لم يطق ذلك فنهاه عن

ان

---

اتصفوا بها وهم منفكون عنها الآن فدرسيسر لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء أشد الغرور لأنهم يعجبون بأنفسهم غاية الاعجاب و يظنون أنهم ما تبحروا في علم المحبة الا وهم من الناجين عند الله وأنهم مغفور لهم بحفظهم كلام الزهاد مع خلوهم من العمل وهؤلاء أشد غرورا ممن

أن يعذب نفسه لئلا تصير نفسه تكره العبادة وقد بلغنا أن أبا عقال المغربي رحمه الله تعالى كان يأكل في كل ستة أشهر أكلة وقد سمعت سيدي عليا المرصفي رحمه الله يقول قد وقع لسيدي عيسى بن نجم المدفون بساحل بحر البرلس رحمه الله تعالى أنه مكث سبعة عشر سنة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام وهو على وضوء واحد اهـ وقد أجاب أيضا بعض المحققين أن هؤلاء الذين كانوا يطوون تلك المدد الطوال أن أحدهم كان يتناول نحو الزبيبة ونحو القطرة من الماء ليخرج بذلك عن الوصال المنهي عنه وذلك هو الظن بهم والله أعلم وقد أجمع القوم على أن الجوع من أعظم أركان الطريق حتى قالوا اذا طلب المريد الأكل بعد خمسة أيام فأمروه بالكسب فانه لا يصح منه في الطريق وكان أبو عثمان الجبري رحمه الله تعالى يقول كنت أمكث السنة كاملة في بداية أمري وسياحتي لا يخطر الأكل على بالي الآن حضر بين يدي اهـ فانظر يا أخي جوعك تجده كلا شيء بالنسبة لجوع هؤلاء القوم رضي الله عنهم مع أن جوعهم لم يخرج عن السنة كما مر تقريره لقوتهم عليه وانما نهي عن الجوع بالأصالة لأجل خوف الضرر على النفس وكان سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى يقسم عقله وقوته ومعرفته الى سبعة أجزاء فكان لا يأكل حتى يذهب من كل واحد ستة ويقول لولا أخاف الهلاك كنت لا آكل حتى تفنى السبعة أجزاء فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ تقديمهم السلامة على الغنيمة من حيث رفض الدنيا وفراغ يدهم منها فكانوا يقدمون فراغ يدهم من الدنيا على جمعها وانفاقها في سبيل الله تعالى خوفا أن يمنعوا منها حقها حتى كان أحدهم يقول يا طالب الدنيا لتبر بها غيرك تركك لها أبر وأبر وكان الجنيد رحمه الله يقول تجريد العبد من الدنيا أفضل من جمعها وانفاقها وقد كانوا اذا قيل لأحدهم خذ هذه الدراهم ففرقها على المساكين يأبى ذلك ويقول ان من جمعها أولى بتفرقتها وربما يكون فيها حرام وشبهة فتكون المناداة للفقراء والتبعة على من فرق وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول ان من تفرغ لعبادة ربه أفضل ممن تركها وسعى على عياله وقد كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول ان بينكم وبين القوم بعدا أقبلت عليهم الدنيا ففروا منها وأدبرت عنكم فتبعتموها وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول تجرع مرارة الدنيا أشد من تجرع مرارة الصبر وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول لا يبلغ أحد منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة وأولاده كأنهم يتامى وقد بلغنا أن عيسى عليه الصلاة والسلام مر ليلة على شخص نائم والناس قائمون يصلون فقال له قم فصل قال له اني قد عبدت الله تعالى بأفضل العبادة فقال له عيسى وما هي قال قد عبدت الله بأفضل العبادة وهو أني زهدت في الدنيا فقال له عيسى نم فقد فقت العابدين ومن أدلة القوم في هذا الخلق ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما على أهل الصفة رضي الله عنهم فقال أيكم يحب أن يغدو كل يوم الى بطحان فيأتي بناقتين كوماوين فقالوا كلنا نحب ذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لأن يترك أحدكم ذلك ثم يذهب الى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خير له من اثنين وثلاث خير من ثلاث وأربع خير من أربع من أعدادهن من الابل اهـ ولكل مقام رجال ومن شأن الشارع أن يرغب كل أحد فيما أقامه الله تعالى فيه لئلا تتعطل المراتب والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ اذا رأوا شخصا انقطع عن الناس في الجبل مثلا ثم رأوه صار ينزل للناس ويحضر ولائمهم ويزورهم أن لا يحملوه على علة فاسدة كأن يقولوا عنه انه لا يقدر على الوحدة التي شهر نفسه بها أو يقولوا انه يفعل ذلك مع الناس لأجل أن يصيروا يحضروا مولده أو نحو ذلك بل يجب حمله على أنه يفعل ذلك خالصا لوجه الله من باب حسن الظن وحسن الخلق مع اخوانه المسلمين فاياك يا أخي أن تظن في أحد من عباد الله المنقطعين في تربة أو جبل سوءا اذا رأيت أحدهم خالط الناس وتقول ان هذا قد انقطع عن الناس ثم صار له ولمخالطتهم بل الواجب أن تظن به خيرا فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ عدم اهتمامهم بأمر الرزق وانشراح صدورهم اذا لم يبت عند أحدهم دينار ولا درهم وكانوا يكرهون ادخار قوت غد واذا وقع أن أحدهم ادخر قوت الغد أو الجمعة أو الشهر

كان قبلهم لأنهم يظنون أنهم يحبون في الله ورسوله وما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص الأوهم مخلصون ولا وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون وكذلك بجميع الصفات وهم أحب في الدنيا من كل أحد ويظهرون الزهد في الدنيا لشدة حرصهم عليها وقوة

أو نحو ذلك كان ذلك على اسم العائلة لا على اسم نفسه تسكينا للاضطراب الذى ربما يقع فى قلب العائلة اذا لم يكن عندهم شىء يأكلونه فربما وقع أحدهم فى سوء الظن بربه عز وجل وقال بعضهم ربما ادخر القوت الذى علم من طريق كشفه أنه رزقه ولا يصح لأحد غيره أن يتناول منه شيئا ولكن قد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من كمال العارف اذا اطلع على أن الشىء الفلانى من رزقه أن لا يخزنه بل يصبر حتى يأتيه فى الوقت الذى جعله الله تعالى فيه إيثارا لفراغ اليد من الدنيا على امساكها اذ لا فائدة للادخار اه وقد سمعت الشيخ عليا النبتيتى البصير رحمه الله تعالى يقول من شرط من يجتمع بالخضر عليه السلام من الأولياء أن لا يدخر قوت غد فمن خبأ قوت غد لم يجتمع به ولو كان على عبادة الثقلين قال ومن شأن الخضر عليه السلام أن يأتى للعارفين فى اليقظة وللمريدين فى المنام لأن المريد لا يقدر على صحبته يقظة فلذلك يأتيه مناما يعلمه الآداب التى جهلها وقد كان أبو عبد الله اليسرى أحد رجال الرسالة رحمه الله تعالى يجتمع به يقظة ويحادثه طويلا ثم انقطع عنه بعد ذلك فى اليقظة وصار يأتيه فى المنام قال فسأله عن سبب انقطاعه عنه يقظة فقال له نحن لا نصحب من يخبأ رزق غد وأنت قد قلت لزوجتك فى الوقت الفلانى خذى هذا الدرهم فاجعليه على الرف الى غد فقال أبو عبد الله صحيح ذلك ولكنى تبت الى الله تعالى عن الادخار قال وبعد ذلك لم يأته فى اليقظة الى أن مات كما أخبر عن نفسه فى مرض موته رحمه الله تعالى وكان أويس القرنى رحمه الله تعالى يقول لا يقبل الله من عبده عملا وهو يهتم بأمر رزقه اذ المهتم بأمر رزقه متهم لله عز وجل والمتهم لربه لا يرفع له عمل (قلت) قد يهتم العبد لرزقه ويسعى فى طلبه بكل وجه اهتماما بأمر الله تعالى بالكسب لا شكا فى أنه يضيعه وعلى ضد ذلك يحمل كلام أويس رضى الله عنه (وقد قيل) مرة لأبى يزيد البسطامى رحمه الله تعالى أنت من أين تأكل وتشرب فقال من حيث يرزق الله الذبابة والبعوضة أفتراه يطعمها وينسى أبا يزيد قال وصلى خلف امام مدة فسأله الامام يوما وقال له انى أراك لا تكسب لك فمن أين تأكل فقال له أبو يزيد دعنى أعيد الصلاة التى صليتها خلفك ثم أجيبك فانك لا تعرف الله تعالى ولا تصح صلاة من لم يعرف الله سبحانه وتعالى (قلت) وهذا لا ينافى حديث صلوا خلف كل بر وفاجر لأن الحديث ورد فى سد باب الخروج على الأئمة وهذا فى مقام الكمال للامام واعلم أن دليل القوم فى عدم الادخار ما روى أن شخصا أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر فأطعم خادمه طائرا منها فلما كان الغد أتته بها فقال صلى الله عليه وسلم ألم أنهك أن ترفعى شيئا لغد فان الله يأتى برزق كل غد اه فامتحن نفسك يا أخى لعدم ادخار شىء لغد فان رأيتها مضطربة فقل لها ليس لك فى مقام الصالحين نصيب والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ اختيارهم الشدة والبلاء على النعمة والرخاء لأن بذلك يدوم توجههم الى الله تعالى ومن أحب الله أحب ما يقربه اليه ويذكره به وكان وهب بن منبه رحمه الله يقول من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة فليس هو بفقيه وقد دخل جماعة على مالك بن دينار رحمه الله تعالى وهو جالس فى بيت مظلم وفى يده رغيف فقالوا له يا مالك ألا سراج ألا شىء تضع عليه الرغيف فقال دعونى فانى والله نادم على ما مضى وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول من وسع الله عليه فى الدنيا ولم يخف أن يكون ذلك مكرا به فقد أمن مكر الله تعالى وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول من وجد كل ليلة كسرة يابسة يأكلها فليس هو بفقير انما الفقير من لم يجد شيئا وقد كان الربيع بن أنس رحمه الله تعالى يقول ان البعوضة تحيا ما جاعت فاذا شبعت سمنت واذا سمنت ماتت وكذا ابن آدم اذا امتلأ من الدنيا مات قلبه وكان حفص بن حيدر رحمه الله يقول أجمع العلماء والفقهاء والحكماء والشعراء على أن كمال النعيم فى الآخرة لا يدرك الا بنقص النعيم فى الدنيا اه واعلم أن من أدلة القوم على هذا الخلق ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه وأصغى بسمعه وحنى بجبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ اه فعلم أن الكاملين ينظرون الى أهوال يوم القيامة من هذه الدار وذلك هو الذى منعهم لذة الأكل والشرب والنوم والجماع وغير ذلك فافهم والحمد لله رب العالمين

رغبتهم فيها ويحثون على الاخلاص وهم غير مخلصين ويظهرون الدعاء الى الله وهم منه فارون ويخوفون بالله وهم منه آمنون ويذكرون بالله وهم له ناسون ويقربون الى الله وهم منه متباعدون ويذمون الصفات المذمومة وهم بها متصفون ويصرفون الناس

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) اذا سألهم أحد فى حاجة وهو فى حارة شيخ من مشايخ عصرهم أن يردوا صاحب تلك الحاجة الى ذلك الشيخ الذى هو فى حارته و يحسنوا اعتقاد صاحب تلك الحاجة فيه ومتى قضوا لذلك المحتاج حاجته فقد أساءوا الأدب مع ذلك الشيخ وقد كان ذلك دأب شيخنا سيدى على الخواص كان رحمه الله تعالى اذا جاءه أحد وسأله فى حاجة يقول له أنت من أى حارة فاذا أخبره قال له ارجع الى شيخ حارتك فان الله تعالى لم يجعله فى حارتك الا ليتحمل هموم أهلها فاعلم ذلك يا أخى واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) انشراح صدورهم اذا صرف الله تعالى عنهم الدنيا وذلك لأنهم يحبون الله ورسوله ومن أحب الله تعالى ورسوله ﷺ كره الدنيا ضرورة لأنها تشغل عن كمال العبادة فلذلك كان من أكرم أخلاقهم انقباض قلوبهم من اقبال الدنيا عليهم وتأمل يا أخى لما كان الصحابة رضى الله عنهم أكثر الناس محبة لرسول الله ﷺ كيف كان أكثرهم يبيت و يصبح وليس عنده دينار ولا درهم وقد دعا ﷺ لأهل بيته رضى الله عنهم لشدة محبته لهم ومحبتهم له فقال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وذلك ليكون العبد مقبلا على الله تعالى لا يعوقه عنه عائق لا سيما ان كان ليس عنده صبر على الجوع مثلا فانه يصير مقبلا على الله تعالى ليلا ونهارا يسأله قوته لا يفتر عن ذلك وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول الدنيا سجن المؤمن وأعظم أعماله فى السجن الصبر وكظم الغيظ وليس للمؤمن فى الدنيا دولة وانما دولته غدا فى الآخرة وقد كان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول سيأتى على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذل من الأمة فيعيش كدود الخل فى الخل وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول من حبس الله عنه الدنيا ثلاثة أيام وهو عنه راض وجبت له الجنة وكان عبد الله بن بكر المزنى رحمه الله تعالى يقول ان الله عز وجل ليجرع عبده المؤمن و يذيقه مرارة الدنيا محبة فيه كما تجرع المرأة ولدها الصبر لأجل العافية اه ومن أدلة القوم فى هذا الخلق ما ورد أن رجلا قال لرسول الله ﷺ انى أحبك يا رسول الله فقال له النبى ﷺ ان كنت تحبنى فأعد للفقر تجفافا فان الفقر أسرع الى من يحبنى من السيل الى منتهاه وقد كانت عائشة رضى الله عنها تقول ما زالت الدنيا علينا عسرة كدرة حتى قبض النبى ﷺ فصبت علينا الدنيا صبا أى لانا كنا ببركته ﷺ فى حماية من الدنيا فلما توفى النبى ﷺ ذهبت تلك الحماية ودخل علينا النقص وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اذا رقى العبد فى مقامات العرفان صارت الدنيا تزداد منه نفرة ولو أنه طلبها لما أجابته وذلك لعدم رؤيتها محلا من قلبه تمكث فيه اه فعلم أن من علامة من ادعى الفقر كذبا أن يزداد من أمتعة الدنيا وزينتها كما طعن فى السن فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) شدة الفرح فى الدنيا كلما حيل بينهم و بين الوصول الى شهواتهم فيها فيقولون لولا أن الله تعالى يحبنا ما حال بيننا و بين ما يحجبنا عنه وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول قال لى معلمى عبد الله الرازى رحمه الله تعالى ان أردت القرب من الله تعالى فاجعل بينك و بين الشهوات حائطا من حديد وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام حرام على قلب أحب الشهوات أن أجعله اماما للمتقين وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول أميتوا الشهوات فى أنفسكم ولا تميتوا أنفسكم فى الشهوات فان من جعل شهوته تحت رجليه فر الشيطان من ظله كما أن من جعلها فى قلبه ركبه الشيطان فصرفه كيف شاء بتسليط الله تعالى وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول الجنة ترجع بحملتها الى شيئين الراحات والشهوات ولا يدخل أحد الجنة الا بترك الراحات والشهوات فى الدنيا وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول سيأتى على الناس زمان يكون همة أحدهم بطنه ودينه هواه وسيفه لسانه وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول ليست الدابة الجموح بأحوج الى اللجام من نفسك وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول ما عالجت شيئا أشد من نفسى مرة مرة لى ومرة على وكان يقول كفوا أنفسكم عن الشهوات قبل أن يخاصم بعضكم بعضا ومن أدلة القوم فى هذا الخلق قول النبى ﷺ حفت الجنة بالمكاره وحفت النار

عن الحلق وهم على الحلق
أشدهم حرصا ولو منعوا عن
مجالستهم التى يدعون فيها
الناس الى الله لضاقت
عليهم الارض بما رحبت
و يزعمون أن غرضهم
اصلاح الخلق ولو ظهر من
أقران أحدهم من أقبل
الخلق عليه ومن صلحوا
على يديه لمات غما وحسدا
ولو أنى واحد من المترددين اليه

بالشهوات وفجور وقد ورد أنه قدم الى رسول الله ﷺ مرة سويق اللوز فرده وقال هذا طعام المترفهين في الدنيا وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول ما زاد على لون واحد فهو طعام الفساق اه وسيأتي زيادة على ذلك في محله ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم التغالي في الثياب بل كانوا يلبسون ما وجدوا من الحلال ولو خشنة واذا لبس أحدهم جبة أو عمامة صوف لا يتغالى في ثمنها عكس ما عليه فقراء هذا الزمان فربما تكون جبة أحدهم أو عمامته الصوف أغلى ثمنا من ثياب التجار اللهم الا أن يكون أحدهم ممن لا تدبير له مع الله تعالى فهذا يلبس ما شاء من المباح وقد كان حاتم الأصم وأصحابه رضي الله عنهم لا يلبسون من الدنيا الا ما خلق من الثياب وصارت فيه رقع كثيرة وقد كان أويس القرني رضي الله عنه يلتقط الخرق من المزابل ثم يخيطها بعد غسلها ويلبسها وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يلبس الجبة السوداء حتى تنشق عليه وقالوا له مرة كم لهذه الجبة عليك فقال تسع سنين ما نزعتها قط وقد كان الحسن البصري رحمه الله يلبس الثوب حتى يتسخ جدا فاذا قيل له ألا تغسل ثوبك يقول الأمر أعجل من ذلك وقد قال علي بن أبي طالب لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ان أردت اللحوق بصاحبيك فرقع قميصك واخصف نعلك وقصر أملك وكل دون الشبع وقد كان أبو ذر رضي الله عنه بيته خال من المتاع ليس فيه سوى المطهرة التي يتوضأ منها فقيل له يوما ألا تجعل في بيتك متاعا فقال ان رب البيت لا يدعنا نقيم فيه وان لنا بيتا آخر سنتوجه اليه بصالح أعمالنا ان شاء الله تعالى وكان أبو ادريس الخولاني رحمه الله تعالى يقول لأصحابه لا تعتنوا بغسل ثيابكم فلقلب نقي في ثوب دنس أحب الى الله تعالى من قلب دنس في ثوب نقي (وكان عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه يقول كان أصحاب رسول الله ﷺ أخشن منكم ثيابا وأرق قلوبا وسيأتي زمان يكون أهله أرق ثيابا وأخشن قلوبا وكان أبو عبيدة رضي الله عنه يقول رب مبيض لثيابه مدنس لدينه وقد قيل مرة لأبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى ألا تسرح لحيتك فقال له اني اذا لفارغ القلب وقيل لابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى ألا تخضب لحيتك فقال الخضاب زينة وما نحن من أهلها الآن وكان ثابت البناني رحمه الله تعالى يقول ربما أريد أن أغسل ثوبي فأفكر في قلبي فأتركه وكان يغسل ثوبه بالأشنان فقط دون الصابون وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى لا يزيد على العباءة صيفا وشتاء ليلا ونهارا وكان أبو اسحق السبيعي رحمه الله تعالى يقول كانت طيالس الناس في بيوتهم ولم يكن يلبس الطيلسان على عمامته الا شهر بن حوشب فقط رحمه الله وقد كان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول ما شبهت الناس اليوم في المساجد وعليهم الطيالسة الا بيهود خيبر اه (قلت) المطلوب من الطيلسان على الرأس انما هو كف النظر عن فضول النظر للحيطان وغيرها ولبس هو بكبير أمر وانما الشأن أن يلبس على قلبه طيلسانا يمنعه أن يمد بصره الى شيء من شهوات الدنيا قال تعالى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ولكل مقام رجال والله أعلم وقد كان عروة بن الزبير رضي الله عنهما يقول رأيت رداء رسول الله ﷺ الذي كان يخرج به الى الوفود طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر فكان عند الخلفاء بعده ﷺ حتى خلق كانوا يلبسونه يومي العيدين وكان مالك ابن دينار رحمه الله يقول يا قارئ ما لك وللطيلسان انما ينبغي لك مدرعة صوف وعصا كراع تفر من الله الى الله وتشوق اخوانك الى الله وقد كان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى يقول رأيت سفيان الثوري رحمه الله تعالى في طريق مكة فقومت ما عليه من الثياب حتى نعله فوجدت ذلك يساوي درهما واحدا وأربع دوانق واعلم يا أخي أن دليل القوم في هذا الخلق قوله ﷺ البذاذة من الايمان والبذاذة لبس الخلق من الثياب فلا يبالي الشخص بأي ثوب لبس والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم اسرافهم في الحلال اذا وجدوه وذلك لأن الحلال غريب في كل زمان بحسب تفاوت أهله في المقام فربما كان حلالا عند قوم وغير حلال عند قوم آخرين وقد كان السلف يقدمون كسب الدراهم الحلال على سائر مهماتهم وذلك لأنهم من أبناء الآخرة بيقين والأعمال

اليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله اليه فهؤلاء ما أعظم غرورا وأبعد عن التنبيه والرجوع الى السداد (وفرقة أخرى) عدلوا عن المهم الواجب في الوعظ وهم وعاظ أهل هذا الزمان كافة الا من عصمه الله فاشتغلوا بالطاعات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون

الأخروية الخالصة لا تقع على يدي من أكل حراما أو شبهات فإن من أكل حراما نشأ عنه فعل الحرام ومن أكل شبهة نشأ عنه فعل الشبهة حتى لو أراد من أكل الحرام أن يطيع الله لم يقدر على ذلك وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول ما ثم اليوم أقل من درهم طيب ولو وجدناه لاستشفينا به مرضانا وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول عون الرجل خير له من حيث يغفر ومن حل وإن أهل بيت يوجد على ما يدفئهم الآن رغيف من حل لغرباء في هذا الزمان وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول كسب الحلال أشد على المؤمن من نقل جبل إلى جبل وقد كان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول إن لم ير العبد الحلال في زمانه كالميتة للمضطر وإلا هلك وقد سمع الحسن بن علي رضي الله عنهما شخصا يقول اللهم ارزقني حلالا صافيا فقال له يا هذا اسأل ربك رزقا لا يعذبك عليه فإن الحلال الصافي إنما هو رزق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى كثيرا ما يعمل إلى آخر النهار فإذا أعطوه أجرته نظر إليها وقال لأصحابه إني أخاف أن أكون لم أبذل قوتي كلها التي طلبها مني صاحب الزرع ثم يتركها ويذهب طاويا تلك الليلة وكان يرى الحضور مع الله تعالى في عمل الحرفة شرطا للحل وكل شيء عمله بلا حضور لا يأخذ له أجرة وكان سعد بن كدام رحمه الله تعالى يقول لا أعرف اليوم بقي من الحلال إلا ما يشربه الرجل من الدجلة أو النيل بكفه قال وطلب رجل الحلال فما صفا له إلا الحشيش الذي على حافات الأنهار فصار يأكل منه حتى اخضر جلده ثلاثين سنة فإذا هو بهاتف يقول له الآن قد صفا لك أكل الحلال وخلصت من الحرام قال وامتنع بعضهم من الأكل مما يدخل أيدي بني آدم ثم ذهب إلى البرية يأكل من حشيشها فنودي في سره هب أنك تتورع من اليوم فما تفعل في القوة التي اكتسبتها حتى مشيت إلى هنا فانظر من أين حصلتها (وقد سئل مالك بن دينار) رحمه الله تعالى عن نبيذ الجرار فقال للسائل ويحك انظر إلى التمر من أين هو قبل أن ينبذ في الماء وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول رأيت متعبدا يقوم إلى الصلاة بثقل فنظرت فإذا هو من عدم صفاء ما كله ولو أنه أكل حلالا لم يحصل له ثقل وكان سفيان الثوري رحمه الله إذا ذهب إلى وليمة أخذ معه رغيفا يأكل منه فإذا قال له صاحب الوليمة هلا تأكل من خبزي يا سيدي يقول له إنك تدري خبزك من أين هو وأنا أدري خبزي من أين هو فكل واحد يأكل مما يدري (قلت) وممن أدركته من أصحاب هذا المقام سيدي الشيخ محمد بن عنان كان رحمه الله تعالى إذا دعي إلى وليمة يأخذ معه رغيفا يأكل منه إذا نصب السماط وقد سئل سفيان الثوري عن فضل الصف الأول فقال انظر رغيفك من أين هو فكله وصل في أي صف شئت ولا حرج عليك وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول لا يقبل الله صلاة العبد وفي جوفه شيء من الحرام وكان السري السقطي رحمه الله تعالى يقول النجاة في ثلاث تبيل الهدى وكمال التقى وطيب الغذاء وكان وهيب بن الورد رحمه الله يقول لو صمت وصليت حتى صرت مثل هذه السارية ما ينفعك ذلك إلا بعد أن تنظر ما يدخل جوفك واعلم أن دليل القوم في هذا الخلق قوله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وهو خطاب للرسل وقد صرح في الحديث بأن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين اهـ ومن أدلتهم أيضا ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يكتسب عبد مالا من حرام فيبارك له فيه ولا يتصدق منه فيؤجر عليه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زادا له إلى النار إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو الخبيث بالطيب اهـ فانظر يا أخي إلى طعامك في هذا الزمان وعليك بالجوع المفرط وإياك أن تأكل من طعام أمير أو مباشر أو قاض فضلا عن أطعمة الظلمة والمكاسين من غير تفتيش فإنك تهلك في دينك ولو كان على رأسك عمامة صوف وجبة ولك عذبة خلفهم والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم ﴾ كثرة الوصايا من بعضهم لبعض وقبولهم للواعظ وشكرهم الواعظ وعشرته أحدهم في نفسه أنه قام بواجب حق من نصحه ولو أحسن إليه مدى العمر وذلك لأن الأمور الأخروية لا تقابل بالأعراض الدنيوية وقد قال رجل للحسن البصري رحمه الله تعالى أوصني فقال له أعز أمر الله حيثما كنت يعزك الله حيثما كنت وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى

الشرع والعقل وطلبا للإغراب وطائفة اشتغلوا بعبارات النكت وتسجيع الألفاظ وتلفيقها وأكثر همهم في الأسجاع والاستشهاد بأشعار الوصال والفراق وغرضهم أن يكثر في مجالسهم التواجد والزعقات ولو على أغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الإنس ضلوا وأضلوا فإن

أوصني فقال له احذر أن تكون ممن يخالط الصالحين ولا ينتفع بهم أو يلوم للمذنبين ولا يجتنب الذنوب أو ممن يلعن الشيطان في العلانية و يطيعه في السر وقال رجل للفضيل بن عياض رحمه الله تعالى أوصني فقال له هل مات والدك قال نعم فقال له قم عني فان من يحتاج الى من يعظه بعد موت والده لا تنفعه موعظة وقال رجل لمحمد بن واسع رحمه الله أوصني فقال له كن مليكا في الدنيا والآخرة قال كيف ذلك قال ازهد في الدنيا فقال له الرجل زدني قال له اجعل نفسك ذنبا واجلس الى الناس ولا تجعل نفسك رأسا وتطلب منهم أن يجلسوا اليك وقد دخل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يوما على عابد وقال له جئتك لأجل أن تعظني فقال له العابد لو علمت أنك ممن يخاف الله تعالى لوعظتك فغشي على عمر من كلامه وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام بالمدينة المشرفة فقلت له أوصني فقال اياك يا عمر أن تكون وليا لله تعالى في العلانية وعدوا له في السر وقال رجل لعيسى عليه الصلاة والسلام عظني يا روح الله فقال له الى كم يوعظ أحدكم ولا يتعظ لقد كلفتم الواعظين شططا وتعبا (وقال رجل) للحسن البصري رحمه الله تعالى أوصني فقال له لا تذنب فتلقي نفسك في النار مع أنك لو رأيت أحدا يلقي برغوثا في النار لأنكرت عليه وأنت تلقي نفسك في النار كل يوم مرات كثيرة ولا تنكر عليها (وقال رجل) لعبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى أوصني فقال له اترك فضول النظر توفق للخشوع واترك فضول الكلام توفق للحكمة واترك فضول الطعام توفق للعبادة واترك التجسس على عيوب الناس توفق للاطلاع على عيوب نفسك واترك الخوض في ذات الله توق الشك والنفاق وقال رجل لمحمد بن سيرين رحمه الله تعالى أوصني فقال لا تحسد أحدا فانه ان كان من أهل النار فكيف تحسده على دنيا فانية يصير بعدها الى النار وان كان من أهل الجنة فانه في أعمالها واغبطه عليها فان ذلك أولى من حسدك له على الدنيا (وقال رجل) للحسن البصري رحمه الله تعالى عظني فقال واعجبا من ألسنة تصف وقلوب تعرف وأعمال تخالف (وقال رجل) لأبي الدرداء رضي الله عنه أوصني فقال له اذكر يوما تصير السريرة فيه علانية (وقال رجل) لسفيان بن عيينة رحمه الله تعالى أوصني فقال له اياك أن تتكبر أو تأكل شيئا من أموال الناس بغير حق فان من تكبر على الناس ذل ومن أغتنم أموال الناس افتقر (وقد سمع الحسن البصري) رحمه الله تعالى مرة رجلا يقول المرء مع من أحب فقال له لا يغرنك يا أخي هذا القول فانك لن تلحق بالأبرار الآن عملت بمثل أعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم في الجنة لتخلفهم عنهم في الأعمال ومخالفتهم لهم ثم قال واعجبا من قوم أمروا بالزاد ونودوا بالرحيل وهم جلوس يضحكون فان من كان الليل والنهار مطيته فهو يسار به ولا يشعر (وكان شقيق البلخي) رحمه الله تعالى يأمر أصحابه بالتهيؤ كل وقت للموت ويقول ربما يتهيأ الواحد منا خمسين سنة للموت ولا يصح له تهيؤ انما التهيؤ لمن زهد في الدنيا كعمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه كان يقول للموت كل يوم صباحا ومساء يا ملك الموت خذني لأي وقت شئت اه ومن أدلة القوم في هذا الخلق قوله ﷺ اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك اه فاعلم ذلك يا أخي وانتبه لنفسك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ أنهم لا ينصحون ولا يوصون الا من علموا منه بالقرائن قبول النصح والوصايا منهم وأما من علموا منه أنه تتحرك نفسه اذا نصحوه ونحو ذلك فالأولى الاعراض عنه وتأخير ذلك حتى يجد أحدهم طريقا ثم عيا يدخل اليه منها وكان حامد اللفاف رحمه الله تعالى يقول لا تنصح أحدا الآن علمت منه القبول والا فربما أعقبك ذلك النصح ضررا لا تطيقه واياك أن تطلب الرياسة على أحد في هذا الزمان فان كل أحد قد عد نفسه أبا فلان واياك أن تقتدي بكل أحد فان الأهواء قد انتشرت انتشارا عظيما واياك أن تفشي سرك الى أحد فان الأمانة قد ارتفعت (قلت) وقد صدق رحمه الله فانه وقع لي أني نصحت مرة شيخا من مشايخ العصر بأنه لا يأكل من بيوت الظلمة وكان ذلك بيني وبينه فمكث سبع عشرة سنة لا يكلمني وما صالحته الا عهدي عظيم فكيف حالي معه لو كنت نصحته في الملا لعله كان يسعى في قتلي فاعلم ذلك

الأولين أن لم يصلحوا أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم وتنوا هو لا اخوانهم يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق الى الاغراض والغرور بالله بلفظ الحرافة جراءة على المعاصي ورغبة في الدنيا لا سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والحيلاء والمرائي و بعظهم

يا أخي واعرف زمانك وانصح أخوانك بسياسة والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) تقليل أعمالهم في عيونهم من حيث كسبهم لها ولو كانوا على عبادة الثقلين فكانوا لا يرون أنهم قاموا بذرة واحدة من حقوق الله عز وجل وقد قام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه الشريفان وقطر منهما الدم فقالوا له تفعل ذلك يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا وقد كانت امرأة مسروق رحمهما الله تقول كان مسروق رحمه الله يصلي حتى تنتفخ ساقاه من طول القيام حتى كنت أجلس خلفه أبكي رحمة له وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لقد أدركت أقواما كان أحدهم أشح على دينه وعمره من أحدكم على ديناره ودرهمه وكان عمر بن عتبة رحمه الله تعالى يخرج الى المقابر كل ليلة فيصلي تجاهها من العشاء الى الفجر ثم يرجع فيصلي الصبح في المسجد وكان يقول لأهل المقابر اذا أقبل عليها يا اخواني قد طويت صحفكم وكان أويس القرني رحمه الله تعالى يحيي الليل كله في سجدة واحدة فكان لا يرفع رأسه حتى يخش بعظمه قد ذاب من شدة البكاء بين يدي ربه عز وجل قال ولما تاب عتبة الغلام رحمه الله تعالى كان لا يهنأ بأكل ولا شرب ولا نوم حتى مات قال ولما حج مسروق رحمه الله تعالى كان لا يضع جنبه الى الأرض أبدا وانما كان يغفل وهو جالس في بعض أوقات وكان مجاهد رحمه الله يقول لعباد أهل زمانه أنتم لستم عبادا ولكنكم متلذذون بالعبادة ولقد أدركنا أقواما كانوا اذا بلغ أحدهم أربعين سنة طوى فراش النوم حتى يموت رضي الله عنهم وكان كهمس بن الحسن رحمه الله تعالى يصلي كل يوم ألف ركعة فما يفرغ منها حتى يصير يزحف من الضعف ثم يقول لنفسه بعد ذلك قومي لهذه العبادة الأخرى يا مأوى كل شر فلما ضعف آخر عمره كان يصلي كل يوم خمسمائة ركعة ثم يبكي ويقول يا ويلي من ربي عز وجل وقد نقصت نصف عبادتي وقد كان أويس القرني رحمه الله تعالى اذا غلبه النوم انتبه فزعا مرعوبا ثم يقول اللهم اني أعوذ بك من عين نوامة ونفس لوامة وبطن لا تشبع وكان ابن الجويرية رحمه الله تعالى يقول صحبت أقواما كابدوا الليل فما رأيت أحسن مكابدة من أبي حنيفة رضي الله عنه أقمت عنده ستة أشهر فما رأيته وضع جنبه الى الأرض في ليلة من الليالي وكان ابن مقاتل رحمه الله يقول صلى أبو حنيفة رضي الله عنه الصبح بوضوء العشاء عشرين سنة وفي رواية أربعين سنة وفي رواية سبعا وأربعين سنة وفي رواية خمسين سنة ولعل كل واحد أخبر عنه بما في زمنه وكان يوسف بن خالد رحمه الله تعالى يقول كان أبو حنيفة رضي الله عنه يحيي نصف الليل فقط فمر يوما على قوم فسمعهم يقولون هذا يحيي الليل كله وأشاروا اليه فقال أراني أوصف بما لا أفعل ثم قام الليل كله من ذلك الوقت حتى مات وكان أبو مطيع رحمه الله تعالى يقول لم يكن لأبي حنيفة رضي الله عنه فراش في الليل انما كان يغفل وهو جالس غفلة يسيرة وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول ما رأيت أورع من أبي حنيفة ولا أعبد منه رضي الله تعالى عنه وكان أبو مسهر رحمه الله تعالى لا يضع جنبه الى الأرض لا ليلا ولا نهارا لدوام شهوده أنه في حضرة ربه عز وجل وكانت وسادته ركبته فكان ينام لحظة يسيرة بين الظهر والعصر وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول ما نمت قط الا وخفت أن ينزل علي عذاب وأنا نائم ولو قدرت أن لا أنام ما نمت أبدا وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول أدركت سبعين رجلا من أهل بدر رضي الله عنهم لو رأوكم لقالوا هؤلاء مجانين ولو رأوا أماثل الناس اليوم لقالوا هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب أو ليس لهم في الآخرة من نصيب وكان أحدهم لا يخرج من بيته الا للوضوء وصلاة الجماعة في المسجد وكان المغيرة رحمه الله تعالى يقول رمقت مالك بن دينار رحمه الله تعالى ليلة فتوضأ بعد العشاء ثم قام يريد أن يصلي فقبض على لحيته وصار يبكي ويتضرع الى الفجر ولم يقدر يركع شيئا وقد كان أحدهم يحن الى الليل اذا أقبل ليخلو فيه بحضرة ربه عز وجل ويتكدر من النهار اذا أقبل خوفا من الناس أن يشغلوه عن عبادة ربه وكانوا قد بلغوا من العبادة الغاية القصوى حتى لو قيل لأحدهم ان القيامة تقوم غدا لا يجد زيادة على ما هو فيه وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى كثيرا ما يصلي العشاء ثم يضطجع الى الصباح ويقول ان خوف النار لم يدعني هذه الليلة أنام

بالقنوط من رحمة الله حتى يئسوا من رحمته (وفرقة أخرى) منهم خفيوا بكلام الزهاد وأحاديثهم في ذم الدنيا فيعيدونها على نحو ما يحفظون من كلام من حفظوه من غير احاطة بمعانيه فيعظهم الواحد منهم بذلك على المنابر وبعضهم يعظون الناس في الاسواق مع الجلساء ويظن أنه ناج

ولا أصلي ولا أتكلم ثم يقوم لصلاة الصبح بوضوء العشاء وكان شداد بن أوس رحمه الله تعالى كأنه حبة قمح
في مقلاة الى الصباح ويقول ان خوف النار منعني أن أنام أو أصلي أو أتكلم هذه الليلة (قلت) انما خاف الأكابر
من النار لما فيها من الحجاب عن الله تعالى لا لذاتها لأنهم لا يخافون الا من الله تعالى وحده كما أن من أحب الجنة
من الأكابر لم يحبها للنعيم الأكل ونحوه وانما أحبها لكونها دار المشاهدة لله تعالى والله أعلم وكان مالك بن دينار
رحمه الله تعالى يقول لقد أدركت أقواما كان أحدهم يصلي حتى يأتي الى فراشه زحفا وكان يحيى بن معاذ
رحمه الله تعالى يقول لو كانت العباد طيورا لكان جناحها الصوم والصلاة وكانوا لا ينامون في الشتاء الا فوق
الاسطحة كما أنهم كانوا يلبسون رقاق الثياب حتى يبرد أحدهم فلا ينام وقد كانت فاطمة بنت عبد الملك
تقول ما أعلم أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله اغتسل من جنابة منذ ولي الخلافة وكان الأسود بن يزيد رحمه
الله يصوم في شدة الحر حتى يصفر بدنه تارة ويخضر أخرى فقيل الى كم تعذب هذا الجسد فقال انما أطلب
راحته ونعيمه وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى قد حفر في بيته قبرا فكان ينزله كل ليلة فيصلي فيه الى
الصباح قال ولما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان لا ينام ليلا ولا نهارا ويقول
ان نمت في الليل ضيعت نفسي وان نمت في النهار ضيعت رعيتي وأنا مسئول عنهم فانظر يا أخي الى حالك وتأمل
قول بعض هؤلاء الجماعة الذين برزوا في هذا الزمان فأكلوا الحرام والشبهات ولبسوا الثياب المبخرات وصار
أحدهم أكثر ما يجري على لسانه فضل الله تعالى واسع يعني أن أكلنا الحرام لا ينقص لنا مقاما فاعلم يا أخي
ذلك وناقش نفسك ان قبلت النصح والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة خوفهم من دخول الآفات في علمهم وعملهم وفي ارشادهم الأمة
الى ما فيه صلاح الدنيا والأخرى فلا تظن يا أخي أن أحدا منهم كان يحب التقدم في أمر من أمور الدنيا بل
كان أحدهم يكره الفتيا ويقول ان رسول الله ﷺ قال ان المفتي يدخل فيما بين الله وبين عباده وقد
كان عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله تعالى يقول أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ
فما كان منهم رضي الله تعالى عنهم محدث الا ويود أن أخاه كان كفاه الحديث ولا مفت الا ويود أن أخاه
كان كفاه الفتيا وكان يزيد بن أبي حبيب رحمه الله تعالى يقول ان من فتنة العالم في دينه أن يكون
الكلام أحب اليه من السكوت والاستماع وقد قيل للامام مالك رضي الله عنه ان فلانا كثير العبادة فقال نعم
ولكنه يتكلم كلام شهر في جمعة وفي رواية في يوم وقد كان الشعبي رحمه الله تعالى يقول جهدنا كل الجهد في
ابراهيم التيمي رحمه الله تعالى أن يجلس للناس في المسجد ليحدثهم فأبى وكان اذا دخل المسجد لا يستند الى
سارية ولا الى جدار وكان الزهري رحمه الله تعالى مع وفور علمه لا يفتي ويقول من أفتى بغير وفور كان
للامام معاقبته لأن المفتي على شفير جهنم (قلت) ولذلك لم يتصدر غالب القوم للفتيا احتياطا لأنفسهم وكان
الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول بذل الدنانير للناس أحب الي من بذل الحديث لهم وأهون على نفسي
اه وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول ان خفق النعال حول الرجال قلما تثبت معه قلوب الحمقى من
أمثالنا قال والتفت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يوما فرأى الناس يمشون خلفه فقال والله لو رأيتم ما
أصنع اذا أغلقت بابي من الغفلة عن الله تعالى والاشتغال بالعيال ما تبعني منكم أحد وقد نظر عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الى أبي بن كعب رضي الله عنه والناس حوله فعلاه بالدرة وقال انها فتنة للمتبوع وذلة للتابع وكان
سلمان الفارسي رضي الله عنه اذا رأى الناس يمشون خلفه يقول هذا خير لكم وشر لي فان شئتم فارجعوا عني
وكان الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى اذا مشى خلفه أحد يقول والله لولا أتقي ألسنتكم ما حدثتكم فقيل له يا أبا
محمد أمل الله أن ينفع بك وبعلمك الناس فقال هذا بعيد فاني اذا لم أنتفع أنا بعلمي فكيف ينتفع به غيري وكان
يقول من أحب أنكم تجلسون اليه فلا تجلسوا اليه كما أن من أحب أنكم تقومون له فلا تقوموا له وكان يحيى
ابن سعيد رحمه الله تعالى يقول لأصحابه اذا استحلى أحدكم الحديث فلا يحدث وكان الحسن البصري رحمه
الله تعالى يقول لقد أدركنا أقواما كانت الكلمة من الحكمة تبدو لأحدهم فيكتمها خوف الشهرة ولو أنه كان

عند الله وأنه مغفور له
بحفظه كلام الزهاد مع
خلوه من العمل وهؤلاء
أشد غرورا ممن كان قبلهم
(وفرقة أخرى) استغرقوا
أوقاتهم في علم الحديث أعني
في سماعه وجمع الروايات
الكثيرة منه وطلب الاسانيد
الغريبة العالية فهم أحدهم
أن يدور في البلاد ويروي
عن الشيوخ ليقول أنا

تلق بها لنفعته ونفعت أصحابه وكان الناس اذا اجتمعوا يكره أحدهم أن يخرج أحسن ما عنده من الكلام
وقد كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول إن لله تعالى عبادا أسكتتهم خشية الله تعالى وانهم لفصحاء وقد
كان حاتم الأصم رحمه الله تعالى يقول لا يجلس في الجامع الا جامع للدنيا وقد قال اسمعيل بن خلف لسفيان
الثوري رحمهما الله تعالى يوما اني أراك لنشطا اذا حدثت الناس و يعلو صوتك واذا كنت لا تحدث أراك
كالميت فقال له يا أخي أما علمت أن للكلام فتنة و والله ما أجلس الى أكثر من ثلاثة أنفس الا وتنكرت على
نفسي وقد كان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول همة السفهاء الرواية وهمة العلماء الدراية وكان ابراهيم
النخعي رحمه الله تعالى يكره القصص يعني الوعظ و يقول بلغنا أن أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه دخل مسجد
الكوفة فرأى قاصا يقص على الناس فقال ما هذا قالوا أشخص يحدث فقال هذا رجل يقول اعرفوني أنا
فلان وقد مر ابراهيم بن أدهم على حلقة الأوزاعي رحمهما الله تعالى فرأى ازدحاما كثيرا فقال لو كان هذا
الازدحام على أبي هريرة رضي الله عنه لعجز عنه فبلغ ذلك الأوزاعي فترك الجلوس من ذلك اليوم قال ولما قدم
عيسى بن يونس رحمه الله تعالى الى مكة فأحاط به الناس في المسجد الحرام وازدحموا عليه فمر به الفضيل بن
عياض رحمه الله تعالى فدنا منه وقال له يا أخي انظر الى قلبك فلعله تغير من كثرة الازدحام عليك فنظر عيسى
الى نفسه ساعة ثم قام فورا وترك المجلس من ذلك اليوم وقد كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول ان
استطعت أن تكون عالما لا يعرفك الناس فافعل فان الناس لو عرفوا ما في نفسك لا كلوا لحمك وقد طلب الناس
من سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى أن يجلس يحدثهم فأبى وقال ما أنا بأهل أن أحدث ولا أنتم بأهل أن
تسمعوا وما مثلي ومثلكم الا كما قال القائل افتضحوا فاصطلحوا وقد قيل لعلقمة رحمه الله تعالى ألا تجلس
فتحدث الناس فتؤجر على ذلك فقال أما رضي المتكلم أن ينجو كفافا يعني لا له ولا عليه قال ولما ترك بشر
الحافي رحمه الله تعالى الجلوس للحديث قالوا له ماذا تقول لربك يوم القيامة اذا قال لك لم تركت تحديث الناس
بأحاديث نبي محمد ﷺ فقال أقول يا رب انك أمرتني فيه بالاخلاص ولم أجده عند نفسي وقد كان سفيان
الثوري رحمه الله يحدث فكان اذا وجد لذة في نفسه من حسن كلامه وكبر حلقته مثلا قام فزعا مرعوبا
وترك التحديث وقال أخذنا والعياذ بالله تعالى ولم نشعر وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول لا يخلو
القاص من احدى ثلاث اما أن يسمن قوله بما يهزل دينه واما أن يعجب بقوله واما أن يقول ما لا يفعل
(قلت) وما قاله رحمه الله تعالى محمول على الغالب والا فالعارف مطلوب منه أن يسمن قوله وأن يعجب به من
حيث كونه شرعا لغيره و يتهم نفسه بانه يقول ما لا يفعل اذ لا يخرج أحد عن اللوم ولو بالغ في الاخلاص في عمله
وذلك محمول على الخلق وكان أبو مسلم الخولاني رحمه الله تعالى يقول كثير من الناس يعيش الناس بعلمهم
و يهلكون في نفوسهم يعني بالعجب ورؤية النفس وكان الحسن البصري رحمه الله يقول لا تكن ممن يجمع
علم العلماء و يفعل أفعال السفهاء وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول كنت آتي أنس بن مالك رضي
الله عنه أنا وثابت البناني ويزيد الرقاشي نسمع منه الحديث فكان يقول لنا ما أشبهكم بأصحاب رسول الله
ﷺ ثم يقول رؤوسكم ولحاكم وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول مثل الذي يحمل العلم ولا يعمل به
كمثل الأعمى يحمل سراجا ليستضيء به غيره وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول لو أن العلماء اذا لم
يعملوا بعلمهم قالوا للناس خذوا من علمنا ولا تقتدوا بنا في ترك الأعمال الصالحة لتنصحوا لكان ذلك خيرا ولكنهم
لبسوا على الناس وادعوا العمل فجروا الناس الى أعمالهم الخبيثة وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول
ان كنتم علماء حكماء فلا تجعلوا أسماعكم غرابيل تمسك النخالة وترسل الطحين وكان أبو سليمان الداراني
رحمه الله تعالى يقول اذا نظرت عالما فغضب فلا تخف منه فانه لم يبق له رأس مال من دين وقد كان عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما يقول لعلماء زمانه لقد أزريتم العلم وأذهبتم قدره والله لو رأى عمر يعني أباه أحدا مثلي ومثلكم هو
يحدثكم لأوجعني واياكم ضربا اه وكان الأعمش رحمه الله تعالى يقول ان لي نحو عشرين سنة ما رأيت
عالما مخلصا في علمه انما صار العلم حرفة للمفاليس وكان شعبة رحمه الله تعالى يقول ما رأيت أحدا طلب

أروى عن فلان ولقيت
فلانا ومعي من الأسانيد
كما ليس يجمع غيري وغرورهم
من وجوه منها أنهم كحملة
الأسفار فانهم لا يصرفون
العناية الى فهم السنة
وتدبر معانيها وامتثالهم
مقتصرون على النقل
و يظنون أن ذلك يكفيهم
وهيهات بل المقصود من
الحديث فهمه وتدبره

الحديث خالصا الا هاشم الدستوائي رحمه الله تعالى وكان ابو حازم رحمه الله تعالى يقول قد رضي علماء زماننا هذا بالكلام وتركوا العمل وقد كان السلف رضي الله عنهم يفعلون ولا يقولون ثم صار الذين بعدهم يفعلون ويقولون ثم صار الذين بعدهم يقولون ولا يفعلون وسيأتي زمان اهله لا يقولون ولا يفعلون وقد كان عبد الرحمن السلمي رحمه الله تعالى يقول لقد ادركنا الناس وهم يتعلمون القرآن عشر آيات عشر آيات فلا ينتقلون من عشر حتى يعملوا بها وقد قيل للشعبي رحمه الله تعالى مرة افتنا ايها العالم فقال لا تقولوا لمثلي عالم فان العالم هو الذي تقطعت مفاصله من خشية الله تعالى وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول العالم طبيب الدين والمال جالب الداء فاذا جلب الداء الى نفسه فكيف يطبّ غيره وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لن تهلك امة الا من جهة علمائها السوء جلسوا على طريق الرحمن فقطعوا الطريق على عباد الله باعمالهم الخبيثة اه وكان مالك بن مغول رحمه الله تعالى يقول سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس شر فقال العلماء اذا فسدوا وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول من علامة من يطلب العلم لله تعالى ان يتخلق بالزهد والورع والخشية من الله ويحتمل الاذى من الناس وقد كان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى يقول قد ذهب العلماء ولم يبق من علمهم الا غبرات في اوعية سوء وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول ان العالم اذا لم يكن زاهدا فهو عقوبة لاهل زمانه وفتنة وكان يقول يا اهل العلم قد صارت بيوتكم كسروية واخلاقكم شيطانية فاين المحمدية وكان ابو الدرداء رضي الله عنه يقول اني اخاف ان يقال لي يا عويمر ماذا صنعت فيما علمت وقد سئل الامام مالك رضي الله تعالى عنه عن الراسخين في العلم من هم فقال هم العاملون به المتبعون لآثار من قبلهم وقد سئل مرة الشعبي رحمه الله تعالى عن مسئلة فقال لا ادري فقالوا له الا تستحيي من قولك لا ادري وانت عالم العراق فقال ان الملائكة عليهم الصلاة والسلام اكثر ادبا وعلما منا ولم تستحي من قولها سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وكان كعب الاحبار رضي الله عنه يقول يكون في آخر الزمان علماء يتغايرون على القرب من الامراء كتغاير الرجال على النساء اولئك شرار خلق الله سبحانه وتعالى وكان المعتمر بن سليمان رحمه الله تعالى يقول اياكم ان تقولوا ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبوا الشطرنج اولبسوا المعصفر او شربوا النبيذ المثلث فتكونوا فاسقين انما فعل احدهم ذلك قبل بلوغ النهي فاين انتم منهم وانتم تفعلون بما يخالف كتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول من اكتفى بالكلام من العلم دون الزهد والفقه تزندق ومن اكتفى بالزهد دون الفقه والكلام تبدع ومن اكتفى بالفقه دون الزهد والكلام تفسق ومن جمع بينها تخلص اه وقد كان الامام الاوزاعي رحمه الله تعالى يتكلم بالكلام العاري من الاعراب ويقول مذ جاء الاعراب ذهب الخشوع ولقد اعربنا في الكلام ولحنا في العمل وكان ابو حفص الحداد رحمه الله تعالى يقول لعلماء زمانه الى متى تكتبون الكراريس والدواوين اعملوا العلم له فاذا حضر العدو وانت تجمع الآلة فمتى تقاتل وكان الامام مالك رضي الله عنه يقول اذا احب العالم ان يعرف بالعلم فهو شر من ابليس (قلت) ولعل مراده رضي الله عنه ان يعرف لغير غرض شرعي وكان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول لعلماء زمانه كم من مذكر لله تعالى منكم وهو له ناس وكم من مخوف من الله تعالى منكم وهو جريء على معاصيه وكم من مقرب الى الله تعالى وهو بعيد منه وكم من داع الى الله وهو فار منه وقد وقفت امرأة يوما على ابراهيم بن يوسف رحمه الله تعالى تنظر اليه فقال لها هل لك حاجة فقالت لا غير انكم ترون ان النظر الى وجه العالم عبادة فانا انظر اليك لاجل ذلك قال فبكى ابراهيم حتى خنقته العبرة ثم قال ان هذه المرأة قد غلطت في ان الذين كان النظر الى وجوههم عبادة قد صاروا في المقابر بين اطباق الثرى منذ اربعين سنة مثل احمد بن حنبل وخلف ابن ايوب وشقيق البلخي واضرابهم رضي الله عنهم فسيري الى مقابرهم وتاملي فيها وكان بشر بن الحارث رحمه الله تعالى يقول ما رأيت احدا في زماننا هذا اوتي العلم الا كل بدينه ما عدا اربعة ابراهيم بن ادهم ووهيب بن الورد وسليمان الخواص ويوسف بن اسباط رضي الله عنهم وكان سفيان الثوري رحمه الله

معانيه فالاول في الحديث السماع ثم الحفظ ثم الفهم ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا على السماع ثم لم يحكموه وان كان لا فائدة في الاقتصار عليه والحديث في هذا الزمان يقرأه الصبيان وهم غرة غافلون والشيخ الذي يقرأ عليه ربما يكون غافلا حتى يصحف الحديث

تعالى

تعالى يقول من أبكاه علمه فهو العالم قال تعالى إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا وقال تعالى إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا اهـ فانظر يا أخي نفسك هل وفيت بحق علمك وعملك كما وفى هؤلاء أم أنت عنهم بمعزل وأكثر من الاستغفار ليلا ونهارا والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم ﴾ كثرة الحط على أصحابهم إذا خالطوا الأمراء وكثرة شكرهم لمن نصحهم وكثرة اعتقادهم الفسق في نفوسهم كلما كثر علمهم وذلك لعلمهم بعجز الإنسان غالبا عن العمل بكل ما علم وإذا لم يعمل الإنسان بكل ما علم انسحب عليه اسم الفسق فيما لم يعمل به فإن من العمل بالعلم البعد عن الأمراء وعدم اتخاذ العلم شبكة يصطاد أحدهم بها الدنيا والمناصب وعدم الفرح بكبر حلقة درسه وعدم الالتذاذ بقول الناس فلان عالم عامل أو فلان أعلم أهل هذا البلد ونحو ذلك كما أن من عدم العمل بالعلم أن يتخم من أضداد هذه الصفات وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول من علامة عدم العمل بالعلم محبة الصيت بالصلاح والاشمئزاز من قول الناس فلان يحب في الدنيا أو مراء بعلمه وعمله ونحو ذلك مما ذكرناه في كتابنا البحر المورود في المواثيق والعهود فعلم بذلك أن من فرح بما ذكرناه أو انقبض خاطره من ضده فهو لم يعمل بعلمه فليبك على نفسه وقد روى أن رسول الله ﷺ قال أكثر منافقي أمتي قراؤها وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول كان في بني إسرائيل قراء فسقة وسيكون في هذه الأمة أمثالهم وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول استعيذوا بالله من أمور تحدث في القراء بعد مائتي سنة واعلموا أن من يدخل النار بفسقه أخف ممن يدخلها تبدعا وأخف ممن يدخلها تقربا وهو مراء بعلمه وعمله وكان عبد الله ابن المبارك رحمه الله تعالى يقول من دخل النار بالمعاصي الظاهرة أخف ممن دخلها بالرياء والسمعة وقد كان حبيب العجمي رحمه الله تعالى يقول ما كنا نظن أن نعيش إلى زمان صار الشيطان يلعب بالقراء فيه كما يلعب الصبيان بالأكرة وكان عبد العزيز بن أبي رواد رحمه الله تعالى يقول كان فسقة الجاهلية أكثر حياء من قراء زماننا وقد كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول والله إني لأخشى إذا قيل يوم القيامة أين القراء الفسقة أن يقال وهذا منهم فخذوه وقد قال رجل لحماد بن زيد رحمه الله تعالى أوصني فقال إياك أن تجعل لك اسما مع القراء في صحيفة وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول احذروا القراء واحذروني معهم فإني لو خالفت أكثرهم ودا لي في رمانة فقلت هي حامضة وقال هو بل حلوة لا آمن أن يسعى في قتلي عند سلطان جائر وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول أشتهي أن تكون داري بعيدة عن القراء ما لي ولقوم إذا رأوني في نعمة حسدوني وإن رأوني في زلة هتكوني وقد كان ذو النون المصري رحمه الله تعالى يقول إياك والقرب من القراء فإنهم ربما حسدوك فرموك بالزور والبهتان وقبل ذلك منهم وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ما أقبح قلة ورع العالم وما أقبح قول الناس إن العالم الفلاني تقدم حاجا بمال الأمير الفلاني أو بمال المرأة الفلانية وفي الحديث سيأتي على أمتي زمان يكون سماعكم باسم الرجل خيرا من أن تلقوه ولو لقيتموه خير لكم من أن تجربوه فإنكم إن جربتموه أبغضتموه وأبغضتم عمله وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول كيف تحمدون القراء مع غلظ رقابهم ورقة ثيابهم وأكلهم مخ الحنطة والله إن سف الرماد كثير على من يخشى الله ويتقيه وكان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى يقول لما مات سفيان الثوري رحمه الله قال الناس للقراء معاشر القراء كلوا الآن الدنيا بالدين فقد مات الثوري لكونه كان أشد الناس حطا على القراء ولكثرة مناقشته لهم رحمه الله تعالى وكان الحسن البصري رحمه الله يقول لن تزال العلماء في كنف الله تعالى ما لم تمل قراؤهم إلى أمرائهم بالمحبة فإذا مالوا إليهم رفع الله تعالى يده عنهم وسلط عليهم الجبابرة فساموهم سوء العذاب وقذف في قلوبهم الرعب وكان فرقد السبخي رحمه الله تعالى لم يزل يلبس الكساء فقال له الحسن البصري رحمه الله تعالى أتحب أن لك فضلا على الناس بكسائك هذا إنه قد ورد أن أكثر أهل النار أصحاب الأكسية وقد قيل مرة لمالك بن دينار رحمه الله تعالى ما لنا نراك تعرض عن الشاب القارئ الناسك فقال إنما أعرض عنه لكثرة تجربتي للقراء وقد كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول إني لأكره للعالم أن يقرب

ولا يعلم ورد بما ينام ويروى عنه الحديث وهو لا يعلم وكل ذلك غرور وأعظم الأصل في استماع الحديث أن يسمعه من رسول الله ﷺ فيحفظه كما سمعه ويؤديه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فإن عجز عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم

من أبواب الأمراء فانها مواقف الفتن فى دار الدنيا وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول كنا نتعلم اجتناب أبواب السلطان كما نتعلم السورة أو الآية من القرآن وكان سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم العالم يغشى أبواب السلطان فهو لص وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول صحبة السلطان مخاطرة عظيمة فانك ان أطعته خاطرت بدينك وان عصيته خاطرت بنفسك فالسلامة أن لا تعرفه ولا يعرفك قال ولما خالط الزهرى رحمه الله تعالى السلطان قام عليه الزهاد وقالوا قد آنست وحشته وكان الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى يقول من يأتى بالفرائض فقط ولا يدخل على السلطان خير ممن يصوم النهار ويقوم الليل ويجاهد ويحج ويدخل على السلطان وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم العالم يأتى القاضى لغير حاجة فلا تشهدوا فيه بالخير ولا تسلموا عليه واتهموه فى دينه وكان الضحاك بن مزاحم رحمه الله يقول مكثت ليلة كاملة أتفكر فى كلمة ترضى السلطان ولم تسخط الله تعالى فلم أجدها وكان الأصمعى رحمه الله تعالى يقول شرار الأمراء أبعدهم من العلماء وشرار العلماء أقربهم من الأمراء اهـ وقد ذكرنا جملة من الاحاديث المحذرة من قرب الأمراء فى كتاب العهود المحمدية فراجعها وتأمل فى نفسك هل أنت متخلق بالاخلاق الحسنة كما كان سلفك والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ اذا لم يكن لهم مال وكان اخوانهم يكسونهم وينفقون عليهم أن لا يكثروا من اعطاء الناس الثياب والطعام بل يحملون كلفتهم عن اخوانهم ما أمكن وذلك لانهم لا يدعون أحدا اغريانا ولا جيعانا وقد كنت سلكت هذا المسلك فتوبنى عنه شيخى سيدى محمد بن عبد الله وشيخى سيدى نور الدين السنونى رحمه الله تعالى فقلت له يا سيدى فان أقسم على السائل بالله أو برسوله ﷺ فقال لا تعطه وقل بدل ذلك جل الله العظيم أو صل على رسول الله ﷺ فان القسم انما يستحب للعبد ابراره اذا كان له مال وأما من ينفق عليه الناس فلا يؤمر بابرار القسم الا بطريقه الشرعى كأن لا يكون فى اعطائه مانع أشد ضررا من ابرار القسم ولما علم اخوانى أنى أعطى السائل جوختى أو فروتى أو عمامتى ولا أتوقف صار أحدهم يتوقف على ما يعطيه لى من الثياب وبعضهم يجعله عارية عندى وبعضهم يعلق طلاق زوجته على اعطاء ذلك لاحد بغير اذنه فلهذا العذر تجدنى أشح فى بعض الاوقات على السائل ولا أعطيه ولو أنه كان يسألنى ما هو ملكى لم أشح عليه بحمد الله تعالى ولو كان جوختى الجديدة أو صوفى الجديد فى أول يوم لبسته فاياك يا أخى والمبادرة الى سوء الظن بأحد من أشياخ الطريق اذا دخل عليه عريان وسأله ثوبا من ثيابه مثلا فلم يعطه ويقول هذا خروج عن طريق الفقراء بل افحص قبل ذلك عن القضية فربما كان ذلك الشيخ له عذر مما قدمناه ولم يمنع ذلك السائل لشح عنده والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ كتمانهم عن أهل عصرهم كل ما ينكرونه من الكرامات فان اظهارها لا فائدة فيه اللهم الا أن يترتب على ذلك مصلحة شرعية فلا حرج على الولى فى اظهارها وفى حال كتابتى لهذا الموضع رأى شخص رسول الله ﷺ فى المنام وأرسل الى السلام معه بأمارة صحيحة وسأله الرائى عن مسئلة فأجابه ﷺ عنها فلم يفهم الرجل الجواب فلما رآه ﷺ قد توقف فى فهمها قال له اذهب الى مصر واسأل عن الشعرانى فانه يشرحها لك وكان ذلك الرجل فى ناحية جرجه فسافر على أثر الرؤية الى مصر وسأل عنى فاجتمع بى وقال لى لم يكن لى فى مصر حاجة الا الاجتماع بك امتثالا لأمره ﷺ ثم قال لى على المسئلة ففسرتها له بحمد الله تعالى وقد كنت ذكرت فى هذا الكتاب أن من أخلاق القوم رضى الله عنهم أنهم يصلون الصلوات الخمس خلف رسول الله ﷺ فى قبره الشريف وأنهم يسمعون رده عليهم السلام حين يقولون فى تشهدهم السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته فتوقف فى ذلك بعض أصحابنا من طلبة العلم وقالوا أما من كرامة الا وهى مأثورة عمن أحد ممن سبق ولم يصل الينا أن أحدا من الصحابة رضى الله عنهم ولا من التابعين أنه رد عليه السلام من النبى ﷺ من القبر الشريف بعد موته فلما وقع ذلك التوقف ولم أر أحدا يطلب الوصول الى هذا المقام بالمجاهدة

سمعه من الصحابة أو من التابعين فيصير سماعه منهم كسماعه من رسول الله ﷺ وهو أن يصغى ويحفظ ويرويه كما حفظه حتى لا يشك فى حرف واحد منه وان شك فيه لم يجز له أن يرويه أو يعلم به ويغلط به ان أخطأ ويحفظ الحديث فيكون بطريقين أحدهما بالقلب مع

والرياضة

والرياضة رفعت ذلك من الكتاب على أنه مأمور عام إلا ويصح أن يخص منه أمر كما هو مقرر في علم الأصول إلا ما استثني شرعا وقد نقل العلامة ابن زهرة في تفسيره أن من الكرامات التي لم تورث ولم يقع مثلها لأحد قبل صاحبها إتيان آصف بن برخيا بعرش بلقيس وقال هذه كرامة لم تكن موروثة عن أحد قبله من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا غيرهم وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يحق لأحد قدم الولاية المحمدية حتى يجتمع برسول الله ﷺ وبالخضر وإلياس عليهما السلام وقد درج الصادقون كلهم على ذلك فلا يقدح فيه إنكار بعض المحجوبين عنه وقد كان سيدي الشيخ أبو العباس المرسي رحمه الله تعالى يقول لأصحابه هل فيكم أحد إذا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع رده عليه بأذنه فيقولون لا ليس فينا أحد يقع له ذلك فيقول ابكوا على قلوب محجوبة عن الله ورسوله ﷺ ثم يقول والله لو احتجبت عن رسول الله ﷺ لحظة من ليل أو نهار لما عددت نفسي من المسلمين (قلت) ولكن بين الفقير وبين مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ وسماع صوته بالرد على من سلم عليه مائة ألف مقام وسبعة وأربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاما فمن ادعى ذلك طالبناه بهذه المقامات فإذا رأيناه لا يعرفها كذبناه في دعواه ذلك وقد ادعى هذا المقام جماعة من أهل العصر في حياة سيدي علي المرصفي رحمه الله تعالى فأمر بحضورهم إلى عنده فلما رآهم قال لهم مقصدي أسمع منكم الكلام على بعض مقامات مما ذكرتم أن الله تعالى خصكم بها فلم تدر أحدهم ما يقول فزجرهم عند ذلك وأمر بإخراجهم من حضرته فماتوا على أسوأ حال والعياذ بالله فإياك يا أخي أن تدعي شيئا من المقامات التي لم تصل إليها فتعاقب بحرمانها (قلت) وقد أخذ جماعة من أهل عصرنا بجانب عن هذا المقام بالكلية وجعلوا أعلى مقامهم بالاجتماع على الباشا والدفتردار وقاضي العسكر ونحوهم وصار أحدهم إذا كان في مجلس تراه يقول (قلت) للباشا قال لي الباشا قال لي الدفتردار ونحو ذلك ولكن على كل حال هم أخف ضررا ممن يقول قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا وهو مخبر صادق فاعلم ذلك يا أخي والحمد لله رب العالمين.

﴿ ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم ﴾ أن لا يمكنوا أحدا ممن ينقاد لهم أن يلي القضاء أو شيئا من الأمانات التي لا خلاص فيها غالبا الآن تعين عليه ذلك بطريق شرعي لما ورد من التحذير من مثل ذلك وقد كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول لا تكن في هذا الزمان إماما ولا مؤذنا ولا عريفا ولا تأخذ من أحد مالا لتفرقه على الفقراء وكان محمد بن واسع رحمه الله تعالى يقول أول من يدعى للحساب يوم القيامة القضاة فلا ينجو منهم إلا القليل وكل من ساعدهم فهو شريكهم في الشدة وقد استقضي هرم بن حيان رحمه الله تعالى مرة فأوقد حوله نارا فمنعت الناس أن يأتوه في ذلك اليوم حتى عزل نفسه قال ولما أكرهوا الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه على القضاء وحبسوه كانوا يخرجونه من السجن فيضربونه أياما ليدخل في أمرهم له بالقضاء فلم يفعل حتى إنه بكى في بعض الأيام كبكاء الأطفال ثم صار يقول كم من حق يبطله القاضي وكم من باطل يحققه وكان الحابس له ابن هبيرة الوزير وكان سفيان بن عيينة رحمه الله يقول سمعت مناديا ينادي على جبل أبي قبيس أمان الله تعالى على كل أسود وأبيض ما عدا اثنين سفيان وفلانا الزنديق وكان مسروق رحمه الله يقول في قوله تعالى أكالون للسحت إنها الهدية للقاضي ومن أراد أن تستعبده الولاة فليقنع بالخل والملح وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول صارت الولايات في هذا الزمان غالبها جور وظلم حتى لو أراد الشخص أن يعدل لا يقدر على العدل لعدم استحقاق الناس ذلك وقد ولي القضاء رجل من معارف الشيخ رحمه الله فلامه الشيخ على ذلك فقال له سيدي ما وليت ذلك إلا لأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر فقال له الشيخ إن هذا من غرور إبليس لك فإن من كان قبلكم من القضاة لم يصح لهم ذلك مع أن زمانهم كان ممتلئا بالنصح وأما في هذا الزمان فقد صار الولاة يدعي أحدهم الولاية والصلاح ويقول نحن الأولياء لأن الناس يحتاجون إلينا ونحن لا نحتاج إلى أحد منهم اهـ وقد سمعت أنا أن بعض الولاة دخل إليه شيخ من

الاستدامة والذكر والثاني يكتب مما يستمع ويصحح المكتوب ويحفظه كيلا تصل إليه يد من يغيره ويكون حفظه للكتاب بأن يكون في خزانته محروسا حتى لا تمتد إليه يد غيره أصلا ولا يجوز أن يكتب سماع الصبي والغافل والنائم ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الصبي في المهد

مشايخ العصر شفع عند مشفاعة فردها ولم يقبلها ثم جعل يقول انما يشفع عندنا هؤلاء للتعون لمصالح لطلب الشهرة لا لمصلحة ومحبة المشفوع فيه فتسول لاحدهم نفسه انه اذا شفع وقبلت شفاعته يصير الناس يقولون ما في مصر الآن الا فلان فانه هو الذي يحمل هموم المسلمين و يشفق عليهم فاذا اشتهر بذلك تسامع به الملوك والوزراء فرتبوا له الجوالي والارزاق فهذا هو سبب رد شفاعته وفي ذلك مصلحة له خوفا عليه من الاجحاف الذي فيه هلاك دينه اهـ وقد رأيت بعض القضاة يبيع امتعة داره في اليوم الذي لا يأتيه فيه محصول كثير و يقول اخاف ان يعزلني من ائتمنني على حكمه حتى صار حقيرا من امتعة الدنيا وقد سمعت عن بعض قضاة الارياف انه اذا لم يأته محصول في بعض الايام تسلط على من يرى امداما لا الدعاوى الباطلة ليأتيه المحصول من ذلك فمثل هذا كيف يصح له ان يحق الحق و يبطل الباطل فالسلامة في هذا الزمان لمن لا يتولى الانسان الولايات الآن تعين عليه ذلك شرعا او يكون مكرها في ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن اخلاقهم رضي الله تعالى عنهم ﴾ كثرة سؤالهم عن احوال اصحابهم وذلك لاجل ان يواسوهم بما يحتاجون اليه من الطعام والثياب والنقود ووفاء الديون وتحمل الهموم لا امتحانا وهذا الخلق صار اهله غرباء في هذا الزمان فان الناس اليوم على خلاف ذلك وربما يقول احدهم لصاحبه ايش حالكم فيقول طيب و يكتم امره لعلمه بفراغ قلب صاحبه منه وان قوله ايش حالكم كلام بحكم العادة من غير ثمرة كما هو مشاهد بل وكثيرا ما يقول المار على اخيه ايش حالكم ولا ينتظر الجواب فلا السائل يتربص حتى ينتظر الجواب ولا المسؤول يكلف نفسه النطق بالجواب ومن هنا كان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول ان لم يكن احدكم عازما على مواساة اخيه او تحمل همومه او الدعاء له والا فلا يقولن له ايش حالكم لانه يصير نفاقا وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول اذا قلت لصاحبك كيف اصبحت وقال لك اني محتاج الى شيء فتلاهيت عنه ولم تعطه حاجته فقولك له كيف اصبحت سخرية به وهذا هو الغالب على اخوان هذا الزمان وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما كانوا يسأل بعضهم بعضا عن احوالهم لينبهوا الغافل على شكر الله تعالى فيشكره فيحصل له ولهم الخير بذلك وفي الحديث ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم كيف اصبحت يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اصبحت خيرا من اناس لم يعودوا مريضا ولم يشيعوا جنازة وقد قيل لابي بكر الصديق رضي الله عنه كيف اصبحت فقال اصبحت عبدا ذليلا لرب جليل اصبحت مأمورا بأمره وقيل للحسن البصري رحمه الله كيف اصبحت فقال اصبحت حنيفا مسلما لا اشرك بالله شيئا وقيل لمالك بن دينار رحمه الله تعالى كيف اصبحت فقال اصبحت لا ادري أ انقلب الى جنة او الى نار وقيل للامام الشافعي رضي الله عنه كيف اصبحت فقال اصبحت آكل رزق ربي ولا اقوم بشكره وقيل لعيسى عليه الصلاة والسلام كيف اصبحت فقال اصبحت لا املك نفع ما ارجو ولا استطيع دفع ما احاذر واصبحت مرتهنا بعملي والامر كله بيد غيري ولا فقير افقر مني وقيل للربيع ابن خثيم رحمه الله تعالى كيف اصبحت فقال اصبحت ضعيفا مذنبا آكل رزق ربي واعصي امره وقيل لابي الدرداء رضي الله عنه كيف اصبحت فقال اصبحت بخير ان نجوت من النار وقيل لمالك بن دينار رحمه الله تعالى كيف اصبحت فقال اصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد وقيل لحامد اللفاف رحمه الله تعالى كيف اصبحت قال سالم معافى فقال له حاتم الاصم يا حامد السلام والعافية انما يكونان بعد مجاوزة الصراط ودخول الجنة فقال حامد صدقت فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن اخلاقهم رضي الله تعالى عنهم ﴾ عدم الغفلة عن محاربة ابليس والتجسس على معرفة مكائده ومصايده وهذا الخلق قد اغفله اليوم غالب الناس فان ابليس حيث لم يغفل عنا فينبغي لنا ان لا نغفل عنه فانه بالمرصاد حريص على وقوع العبد في سخط الله تعالى وفي الحديث ان ابليس يضع عرشه في البحر و يرسل سراياه وجنوده فاعظمهم عنده منزلة اعظمهم فتنة للناس اهـ وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول بلغنا ان ابليس لعنه الله قال يا رب اما ترى حب عبادك لك ومع ذلك يعصونك وكثرة بغضهم لي مع كثرة طاعتهم لي

والسماع شروط كثيرة والمقصود من الحديث العمل به ومعرفته وله مفهومات كثيرة كالقرآن وروى عن ابي سفيان بن ابي الخير المنيهي انه حضر في مجلس زاهر بن احمد السرخسي فكان اول حديث روى قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام

فأوحى الله تعالى الى الملائكة اني قد غفرت لهم كثرة عصيانهم لي بمحبتهم لي وتجاوزت عن كثرة طاعتهم لابليس بكثرة بغضهم له وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ان ابليس اذا ظفر من ابن آدم باحدى ثلاث قال لا أطلب منه غيرها اعجابه بنفسه واستكثاره عمله ونسيانه ذنوبه وفي رواية باحدى أربع وهي زيادة الشبع وهو أعظمها فان الثلاث تتنشأ عنه وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول اياكم أن تعادوا الشيطان في العلانية وتطيعوه في السر فان كل من بات عاصيا بات الشيطان لأجله عروسا وقد كان محمد بن واسع رحمه الله تعالى يجلس الى المسجد فتمثل له الشيطان يوما في صورة انسان يحمل له السراج بين يديه وكانت ليلة باردة مظلمة فاشرفت عليه امرأة من شباك لها فقالت ما أقسى قلب هذا الشاب يكلف هذا الشيخ أن يحمل له السراج في مثل هذه الليلة فسمعها محمد بن واسع فقال لها دعيه يشق أشقاه الله تعالى فعرف ابليس أنه عرفه فاطفأ السراج وهرب وقد بلغنا أن ابليس لعنه الله دخل على الجنيد رحمه الله تعالى في صورة انسان وعليه مرقعة وفي عنقه سبحة وفي وسطه منطقة على شكل خدام المشايخ وقال له ياسيدي اني أحببت أن أخدمك أمل أن تنالني بركتك فمكث يخدمه ويوضيه نحو عشرين سنة فلم يجد له عليه مطرقا يدخل اليه منها في وقت من الأوقات فلما أراد الانصراف قال له أما تعرفني فقال الجنيد بلى قد عرفتك في أول دخولك علي وانك أبو مرة ابليس فقال له ابليس ما رأيت أحدا على قدمك يا أبا القاسم فقال له الجنيد اذهب عني يا ملعون أردت أن لا تفارقني الا بشيء تتلف به ديني وهو الاعجاب بحالي وقد كان محمد بن واسع رحمه الله تعالى يقول كل يوم بعد الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا لنا بصيرا بعيوبنا مطلعا على عوراتنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراه اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين مغفرتك وجنتك انك على كل شيء قدير قال فتمثل له ابليس يوما وقال له يا محمد لا تعلم هذا الدعاء لأحد وأنا لا أعود أتعرض لك بسوء أبدا فقال له محمد والله لا أمنعه من أحد واصنع أنت ما شئت قال وقد رأى يوما ابليس لعنه الله لعيسى عليه الصلاة والسلام وقال له يا روح الله قل لا اله الا الله فقال عيسى كلمة حق أقولها ولكن لا لقولك لا اله الا الله قال سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى أراد ابليس بذلك أن يكون عيسى تلميذا له في كلمة التوحيد فلم يفعل عيسى عليه السلام ومنعته العصمة وكان كعب الاحبار رضي الله عنه يقول ذكر الله تعالى في جنب الشيطان كالأكلة في جنب ابن آدم وكان عبد العزيز بن أبي رواد رحمه الله تعالى يقول لقد حججت ستين حجة وعملت أعمالا كثيرة من القربات ومع ذلك لما حاسبت نفسي قط الا وجدت نصيب الشيطان من ذلك أقوى من نصيب ربي عز وجل فليتني خرجت من الدنيا كفافا لا علي ولا لي وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول اياكم وخوف الفقر فانه ليس للشيطان سلاح يقاتل به ابن آدم أشد من خوف الفقر لأنه اذا خاف الفقر أخذ من الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه سوء الظن فلقي كل سوء وقد كان الامام الشافعي رضي الله عنه يقول نعم من نعم الله علي أني ما فررت من الفقر قط وكان الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى يقول ما قطع ظهر ابليس شيء مثل من أحسن عمله قال تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولم يقل أكثر عملا وكان رحمه الله تعالى يقول اذا بلغ العبد أربعين سنة ولم يتب من جميع المعاصي والذنوب يمسح الشيطان بيده على جبهته وقال فديت وجها لا يفلح (قلت) ويؤيد ذلك ما رواه الطبراني مرفوعا من بلغ أربعين سنة ولم يغلب خيره شره فليتبوأ مقعده من النار اه وكان مجاهد رحمه الله تعالى يقول ليس عندي شيء أقطع لظهر ابليس عند النكبة والعثرة مثل قول لا اله الا الله لانك اذا لعنته لم يتأثر لذلك وانما يقول لعنت ملعونا وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول ان ابليس له ثلثمائة وستون مصكا فيها غرور ومكائده لبني آدم فلا بد كل يوم أن يعرضها على قلوبهم واحدا بعد واحد وكان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى يقول ليس لابليس كيد أعظم من رؤية العبد نفسه على اخوانه فانه اذا مات على ذلك مات وربه ساخط عليه لم ينفعه شيء من أعماله وقد كان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول من أعظم الأعداء عدو لا تراه حتى تكيده وكان حبيب العجمي رحمه الله يقول لو أقامني الله عز وجل بين يديه وقال ائتني بسجدة

وقال يكفيني هذا حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره فهكذا هو سماع الناس (وفرقة أخرى) اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا أنهم قد غفر لهم وأنهم من علماء الامة اذ هم قوام الدين والسنة بعلم النحو واللغة فأفنوا أعمارهم في دقائق النحو واللغة وكذلك

واحدة لا حظ للنفس أو الشيطان فيها لأدخلك بها الجنة فقلت لم يارب لا أجد ذلك اه فتنبه يا أخي لنفسك وإياك أن تظن أن إبليس انقطع عنك حين ترى تواليه عبادتك بل انظر فيها وابحث كل البحث والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ مجانبتهم الأمور التي فيها رائحة تكبر على الإخوان كعدم حضور جنائز أطفالهم أو خدمهم وأرقائهم وعدم عيادتهم إذا مرضوا وكذلك لأن الفقراء ما سادوا على الناس في الدارين إلا بالذل وخفض الجناح ثم إن أحدهم إذا حضر الجنازة يكون حزينا نادما على ما فرط في جنب الله تعالى وفي الحديث كفى بالموت واعظا ولم يكن أحد منهم يذكر شيئا من حديث الدنيا في طريق الجنازة ولا يتكلم بالمباح فضلا عن المذموم وهذا الخلق قد صار غريبا في هذا الزمان في الناس فإن أكثرهم لا يعتبر بحضور الجنائز وإن قدر أنه حضر صار يحكي أو يبلور بما يحكي الحكايات المضحكة عند السرير كما شاهدت ذلك من شيخ بعمامة صوف غفر الله تعالى له يغفر لنا وله وقد كانوا يخرجون الجنائز في الثياب البذلة لأنها شفاعة في الميت وكلما كان إلى الذل أقرب كان إلى قبول الشفاعة أقرب كما قالوا في الخروج للاستسقاء ورفع الوباء فينبغي اجتناب الثياب النفيسة لا سيما إن كانت معطرة فعلم أن كل فقير خرج إلى الجنائز وهو لابس محاسن ثيابه بغير نية صالحة فهو بعيد عن أحوال القوم غافل عن تذكر الموت الحديث ومن أراد الآخرة ترك الدنيا وفي الحديث أيضا عودوا المريض واتبعوا الجنائز تذكركم الآخرة يعني وإذا ذكرتم الآخرة زهدتم في ملاذ الدنيا اه وقد كانوا إذا حضروا جنازة يستغرقون في التفكر في ذكر الموت وأحوال الناس في القبور حتى يظل أحدهم محزونا الأيام المتوالية يعرفون ذلك الحزن في وجهه وقد كان يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالى إذا شيع جنازة يرجعون به في النعش لا يستطيع المشي ولا الركوب ويمكث الأيام لا يقدر أحد أن يكلمه من شدة خوفه وقد كان أهل الزمن الأول يستحبون خفض الصوت عند الجنازة ويزجرون من يرفع صوته ويقولون له ما أنت في الأخبار أما في رؤيتك للموت موعظة (قلت) وإنما سكت العلماء عن رفع الصوت بالذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى علموا كثرة لغط الناس في الجنائز فرأوا أن ذكر الله تعالى أولى من حديث الدنيا من باب ظلم دون ظلم والله تعالى أعلم وقد رأى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رجلا يضحك في جنازة فزجره ثم هجره أياما قال ورأى الحسن البصري رحمه الله تعالى رجلا يأكل في المقبرة فزجره وقال له إنك منافق وكان الأعمش رحمه الله تعالى يقول كنا نحضر الجنائز فلا ندري من نعزي من شدة عموم الحزن للقوم وبكائهم وقد كان حاتم الأصم رحمه الله تعالى يقول مداواة القلب بحضور الجنائز فريضة وكان إبراهيم الزيات رحمه الله تعالى إذا رأى أحدا يبكي في الجنازة يقول له ابك على نفسك يا أخي وترحم عليها فإن هذا الميت قد نجا من ثلاث رأى ملك الموت عليه السلام وذاق حرارة الموت وأمن من سوء الخاتمة بخلافك أنت اه وسيأتي أيضا زيادة على ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ تنزيل الناس منازلهم في الإيمان والنفاق فللمنافق عندهم مقام دون مقام المؤمن السالم من النفاق فإن قيل فيم يعرف المنافق فالجواب أنه معروف بالعلامات التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو قوله علامة المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان وفي رواية أربع فزاد وإذا خاصم فجر ونحو قوله صلى الله عليه وسلم إن للمنافقين علامات فادعوهم بها لا يأتون المساجد إلا هجرا ولا يشهدون الصلاة إلا دبرا ولا يألفون ولا يؤلفون مستكبرين خيفة بالليل بطالون بالنهار ونحو ذلك من الأحاديث الواردة اه وكان الأوزاعي رحمه الله تعالى يقول علامة المنافق أن يكون كثير الكلام قليل العمل وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول من علامة المنافق أن يحب المدح بما ليس فيه ويكره الذم بما فيه ويبغض من يبصره بعيوبه ويفرح إذا سمع بعيب أحد من أقرانه وكان يونس بن عبيد القدر رحمه الله تعالى يقول من أراد أن ينظر إلى رجل منافق فلينظر إلي فقيل له وكيف ذلك قال لأني كثيرا ما أعد المائة خصلة من خصال الخير فلا أجد واحدة منهن في وأعد خصال السوء

غرور عظيم فلو عقلوا لعلموا أن لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره في لغة العرب كالمضيع عمره في لغة الترك والهند وغيرهم وإنما فارقهم من أجل ورود الشرع وكفى من اللغة علم الغريبين في الكتاب والسنة ومن النحو ما يتعلق بالكتاب والسنة وأما التعمق فيه إلى درجة لا تتناهى فهو

فأجدها كما هي فيا ويحي من فضيحة يوم القيامة وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول اذا ذكر الصالحون كنا عنهم بمعزل واذا ذكر الطالحون كنا في جوف المنزل وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول من علامة المنافق أن يحب أن يزاحم غيره على الدنيا ويحب أن ينفرد بالصيت وفي رواية من علامة المنافق أن يحسد الناس ويكون في قلبه الحقد والضغائن لمن آذاه أو زاد عليه في الجاه اهـ فانظر يا أخي في نفسك وفتشها ونقها من النفاق والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) اجتناب الشبع الموجب لقساوة القلب وذلك حتى يخشعوا في صلاتهم فان من شبع وطلب الخشوع في صلاته فقد أخطأ الطريق وقد كان رسول الله ﷺ يطوي الأيام والليالي ويشد على بطنه الشريف الحجر من الجوع وكان ﷺ اذا صلى يسمع لجوفه أزيز في الصلاة كأزيز المرجل على النار كما ورد وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول ركعتان مع تفكر وتدبر خير من قيام ليلة كاملة والقلب ساه عن ربه عز وجل (قلت) ومراده رضي الله عنه بالتفكر هنا تفكر العبد في الآداب المتعلقة بالصلاة وبحضرة الله عز وجل وليس مراده التفكر في استنباط الأحكام كما يتوهم فان الصلاة ليست بمحل لذلك ولذلك صرح بعض العلماء رضي الله عنهم بكراهته وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا قام الى الصلاة كأنه ثوب ملقى وكان اذا سمع أهله يقولون لا تتكلموا فان عبد الله يصلي يقول لهم تحدثوا ما شئتم فاني لست أسمع حديثكم وأنا في الصلاة وكان الحكم بن عيينة رحمه الله يقول من تلفت عن يمينه وعن شماله فلا صلاة له وقد كان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام اذا قام الى الصلاة يسمع وجيب قلبه من ميلين وقد كان سلمان الفارسي رضي الله عنه يقول من لم يحضر في صلاته فهو من المطففين وقد علمتم ما قال الله فيهم فان الصلاة مكيال فمن وفى وفي له وقد بلغنا أن يعقوب القاري رحمه الله سرق رداؤه من على كتفه وهو في الصلاة فأخذه الناس من اللص وزجروه وطردوه ثم وضعوا الرداء على عنق يعقوب كل ذلك وهو لا يشعر (قلت) وكذلك وقع في عصرنا لسيدي محمد بن عنان رحمه الله تعالى وهو يصلي في جامع البحر انهم سرقوا رداءه من على عنقه وأخذ من اللص وضرب وطرد ووقعت ضجة عظيمة كل ذلك وهو لا يشعر وهو آخر من أدركناهم من أهل الخشوع رضي الله عنه وكان سعيد التنوخي رحمه الله تعالى اذا وقف يصلي سالت دموعه كالمطر وقد دخل عود في عين رابعة العدوية رحمة الله عليها وهي تصلي فما شعرت به حتى سلمت من الصلاة فقالت انظروا هذه الخشونة التي في عيني فما نزعوا العود من عينها الا بمشقة من شدة ما رشق وكان مجاهد رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا العلماء وأحدهم كان اذا قام الى الصلاة هاب الرحمن حتى لا يقدر يشد بصره الى شيء أو يحدث نفسه بشيء من أمور الدنيا وقد انهدم الجامع مرة ومسلم بن يسار رحمه الله يصلي فيه فخرج كل من في المسجد الى السوق ووقعت ضجة كبيرة ومسلم لم يشعر وقد كان الذباب لم يزل يأكل في عين خلف بن أيوب رحمه الله تعالى وهو يصلي فلا يطرده عن نفسه فقيل له يوما في ذلك فقال بلغني أن الفساق يتصبرون تحت سياط الحاكم اذا ضرب ويقال فلان صبور ويفتخرون بذلك وأنا قائم بين يدي رب العزة سبحانه فكيف أتحرك لذباب وكان سميط بن عجلان رحمه الله تعالى يقول كيف يدعي أحدكم الحضور مع الله تعالى في صلاته وهو يحس بقرصة البرغوث اذا قرصه والله لقد طعن أحدهم بالسنان وما دري حتى ساخت نفسه من خروج الدم ووقع على الأرض وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه اذا حضر وقت الصلاة يصير يتغير ويتلون ويرتعد فاذا قيل له في ذلك يقول أما تعلمون أنه وقت أمانة عرضها الله تعالى على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وقد حملتها أنا فلا أدري هل أحسنت ما حملت أم لا وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لا تصلوا خلف محب الدنيا وقد كان السلف اذا بلغهم أن أحدا التفت في صلاته تذهبون اليه ولو في داره ويسألونه عن سبب ذلك لما كان عندهم رضي الله عنهم من معرفة عظمة الله تعالى وقد صلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى خلف امام مرة فسمعه يلحن فقال له لولا فضل الجماعة ما صليت خلفك لم لا تقرأ العربية على العلماء وكان الفضل بن عباس رضي الله عنهما يقول عجبت

---

فضول مستغني عنه وصاحبه مغرور (الصنف الثاني) من المغرورين أصحاب العبادات والأعمال والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلاة ومنهم من غروره في تلاوة القرآن ومنهم من غروره في الحج ومنهم من غروره في الجهاد ومنهم من غروره في الزهد ومنهم

من هؤلاء الناس أراهم اذا مات لي ولد يعزيني فيه أكثر من ألف انسان وتفوتني صلاة الجماعة فلا يعزيني في ذلك أحد ووالله ان فوات صلاة الجماعة عندي أعظم من موت ولدي البالغ العاقل العالم الصالح وكان محمد بن واسع رحمه الله يقول لأصحابه اني أشتهي من الدنيا شيئين الأول أخا صالحا في الله تعالى يقوّمني اذا تعوّجت والثاني أن لا تفوتني صلاة الجماعة أبدا ما عشت وكان شقيق البلخي رحمه الله تعالى يقول لأصحابه اعلموا أن الشيطان لعنه الله تعالى لا يثبطه من ابن آدم الا شيئان الأول عدم الاكتراث بوسوسته والثاني عدم التفكر في ذات الله سبحانه وتعالى اهـ فانظر يا أخي في نفسك وتأمل حالك هل خشعت في صلاتك كما خشع هؤلاء القوم رضي الله عنهم في وقت من الأوقات أم أنت بالضد من ذلك وأكثر من الاستغفار ليلا ونهارا والحمد لله رب العالمين

## ﴿الباب الثالث في جملة أخرى من الأخلاق﴾

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ شدة خوفهم من سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى ولو كان أحدهم على عبادة الثقلين وذلك لأن الله تعالى يفعل ما يشاء وليس مع أحد من الخلق علم بخاتمته على وجه الجزم انما غاية أمر أحدهم حسن الظن بربه عز وجل في الحالة الراهنة فقط وليس معه علم بدوام الشهادتين معه حتى تطلع روحه عليها وقد ورد في الحديث ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وكان حبيب العجمي رحمه الله تعالى يقول ان من ختم له بقول لا اله الا الله دخل الجنة ثم يبكي ويقول من لي بأن يختم لي بقول لا اله الا الله وكان الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى يقول دخلنا على رجل بالأهواز وهو في النزع فكنا نقول له قل لا اله الا الله فيقول ده يازده مشتري طيب قطعة مليحة أي لأن ذلك كان الغالب عليه في حال الصحة وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول بلغنا ان رجلا يخرج من النار بعد ألف سنة ثم يقول ليتني كنت ذلك الرجل لأنه مقطوع له بالخروج من النار اهـ فاياك يا أخي من أن تسامح نفسك في الاشتغال بأمور الدنيا الا بقدر الضرورة الشرعية فربما أتاك الموت على غفلة فتخسر الدارين والعياذ بالله تعالى فاعلم ذلك يا أخي وتأمله والله يتولى هداك

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ عدم مبادرتهم بالدعاء بالشفاء اذا دخلوا على مريض بل كان أحدهم يتربص حتى يعلم سبب مرض هذا المريض وانتهاءه ثم يدعو بعد ذلك فان المرض ربما كان رفع درجات فلا ينبغي الدعاء برفعه وكذلك القول فيه اذا كان عقوبة فالأولى أن يصبر العابد حتى تبلغ العقوبة حدها أدبا مع الله تعالى وان كان أحدهم له حال مع الله تعالى فعله أن يسأل الشفاء من باب الفضل والمنة فاعلم ذلك يا أخي والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ محبتهم في سكنى البيوت الملاصقة للمسجد ليسهل عليهم الجلوس في المسجد في أغلب أوقاتهم اذا عملوا بآداب المساجد وذلك لما ورد مرفوعا المساجد بيوت المتقين ومن كانت المساجد بيته ضمن الله له الروح والراحة والجواز على الصراط وكان أبو صادق الأزدي رحمه الله يقول الزموا الجلوس في المساجد فانه بلغني أنها كانت مجالس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكان حكم بن عمير رضي الله عنه يقول اتخذوا المساجد بيوتا وكان أبو ادريس الخولاني رحمه الله تعالى يقول المساجد بيوت الكرام على الله تعالى من الناس ومحل جلوسهم وقد ورد المسجد بيت كل تقي وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام ينهى من لم يعرف أدب المساجد أن يكثر الجلوس فيها وقد رأى عليه السلام مرة قوما يلعبون في المسجد فلف رداءه وضربهم به وأخرجهم منه وقال اتخذتم بيوت الله أسواقا للدنيا وانما هي أسواق الآخرة وقد كان المسجد بيت عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى مدة أربعين سنة وكان مالك ابن دينار رحمه الله تعالى يقول لولا البول ما خرجت من المسجد في ليل ولا نهار فقد بلغني أن الله عز وجل يقول اني لأهم بعذاب عبادي فأنظر الى عمار المساجد وقراء القرآن وولدان الاسلام فيسكن غضبي

فرقة أهملوا الفرائض واشتغلوا بالنوافل وربما تعمقوا فيها حتى يخرجوا الى السرف والعدوان كالذي يغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ ولا يرضى الماء المحكوم بطهارته في الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة واذا آل الأمر الى أكل

وكان خلف بن أيوب رحمه الله تعالى يوما جالسا فى المسجد فأتاه غلامه فسأله عن شيء من حوائج الدنيا فقام حتى خرج من المسجد وأجابه ثم رجع وقال كرهت أن أتكلم بكلام الدنيا فى المسجد وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا سمع صوتا عاليا فى المسجد يضرب صاحبه بالدرة ويقول له تدرى أين أنت فان من جلس فى المسجد فانما يجالس ربه عز وجل وقد سئل سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى أيما أحب اليك حضور الصلاة على الجنازة أم الجلوس فى المسجد فقال الجلوس فى المسجد أحب الى لان الملائكة عليهم الصلاة والسلام تستغفر لى ما دمت فى المسجد وذلك أفضل من حصول القيراط أو القيراطين أو الثلاث من الأجر الذى ورد لمن صلى على جنازة وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم لا يكلم بعضهم بعضا ما داموا جالسين فى المسجد فى شيء من أمور الدنيا اه فتأمل يا أخى ما ذكرته لك ولا تتكلم ما دمت فى المسجد الا بنية صالحة تسلم وتغنم والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ معاتبة من انقطع عن زيارتهم من اخوانهم من حيث حرمانه من الثواب العائد نفعه عليه لا من حيث الخلل بحقوقهم كما قد يتوهم ذلك بقطع النظر عن عود فائدة ذلك عليهم وذلك حتى يكون أحدهم ممن سعى فى مصالح اخوانه لا فى مصالح نفسه فقط وهذا الخلق ما رأيت له فاعلا من أقرانى الا القليل جدا والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ اجتناب الجلوس فى السوق لبيع أو شراء الا بعد معرفة أحكام الشرع فى المعاملات وغلبة ظنهم أن أحدهم لا يشتغل بذلك عن أعمال آخرته لان كل ما يشغل عن الله فهو مشئوم على صاحبه فى الدنيا والآخرة وقد ورد أن رسول الله ﷺ كان اذا دخل السوق قال اللهم انى أسألك من خير هذه السوق وأعوذ بك من الكفر والفسوق وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول اياكم ومجالسة السوقة فانها تلهى وتلغى وقد كان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول لا تنظروا الى ظاهر ثياب التجار والسوقة فان تحتها ذئابا كاسرة وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول السوق مكثرة للمال مفسدة للدين وقد كان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اياكم ومجالسة الأغنياء وقراء الأمراء والسوقة وكان ابن السماك رحمه الله اذا دخل الى السوق يقول يا أهل السوق سوقكم كاسد وخياركم حاسد وبيعكم فاسد فاستيقظوا لانفسكم وكان حماد بن زيد رحمه الله تعالى يقول ما افتقر تاجر قط الا بوقوعه فى شيء من هذه الخصال وهى اللغو والكذب والحلف والغل والخيانة والحسد وتفويت صلاة الجماعة ومجالس العلم واتباع الشهوات الدنيوية وقد كان الامام مالك رضى الله عنه يأمر الأمراء فيجمعون التجار والسوقة ويعرضونهم عليه فاذا وجد أحدا منهم لا يفقه أحكام المعاملات ولا يعرف الحلال من الحرام أقامه من السوق وقال له تعلم أحكام البيع والشراء ثم اجلس فى السوق فان من لم يكن فقيها أكل الربا شاء أم أبى وكان قتادة رحمه الله يقول عجبا للتاجر كيف يسلم وهو بالنهار يحلف وبالليل يحسب وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول نعم التاجر الذى تكون الدنيا عليه ساخطة والآخرة عنه راضية فقد بلغنى أن ابليس لعنه الله قال يا رب أين أجعل بيتى قال الحمام قال فما مصائدى قال النساء قال فما مزامبرى قال الشعر قال فأين أجعل مجلسى قال الأسواق اه فانظر يا أخى فى ذلك ولا تمدح تاجرا حتى تراه يسلم من الآفات والشبهات والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ كثرة الحلم على من جنى عليهم وكظم الغيظ تخلقا بأخلاق رسول الله ﷺ فانه كان لا يغضب لنفسه وانما يغضب اذا انتهكت حرمات الله عز وجل كما يأتى وقد كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول أول مجازاة من حلم على من جنى عليه أن يصير الناس كلهم أنصاره وقد قال ابليس لعنه الله ليحيى عليه الصلاة والسلام أعظم مصائدى الغضب فيه أسرت الناس وعوقتهم عن طريق الجنة وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى اذا قيل له ان فلانا يقع فى عرضك يقول والله لاغيظن من أمره يعنى ابليس ثم يقول اللهم ان كان صادقا فاغفر لى وان كان كاذبا فاغفر له

الحرام قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما كل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان أولى بدليل سير الصحابة رضى الله عنهم فقد توضأ عمر رضى الله عنه بماء فى جرة نصرانية مع احتمال ظهور النجاسة وكان مع هذا يدع أبوابا من الحلال خوفا من [illegible]

وقد قال رجل لأبى هريرة رضى الله عنه أنت أبو هريرة قال نعم فقال أنت سارق الهرة فقال أبو هريرة اللهم اغفرلى ولأخى هذا ثم قال هكذا أمرنا رسول الله ﷺ أن نستغفر لمن ظلمنا وقال رجل لأبى ذر رضى الله عنه أنت الذى نفاك معاوية الى الشام لو كان فيك خير ما نفاك فقال أبو ذر يا أخى ان بين يدى عقبة سودا مفلوعوت منها لم يضرنى ما قلت وان لم أنج منها فأنا شر مما قلت وقد قالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله تعالى يا مرائى فقال لها يا هذه قد عرفت لقبى الذى أضله أهل البصرة ولم يعرفوه وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول من احتمل كلمة سفه كتب له عشر حسنات وقد كان على رضى الله عنه يقول اذا سمعت كلمة سفه فاعرض ولا تجب عنها فان لها عند قائلها أخوات تحسك بها وكان محمد بن كعب القرظى رحمه الله تعالى يقول لا تغضبوا على كسر أوانيكم فان لها آجالا كآجالكم وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول ليس بحليم من نفذ غضبه فى حمار أو هرة وكان يقول أشد ما على السفيه الاعراض عن جوابه واظهار عدم التأثر له وكان الحسين بن على رضى الله عنهما اذا شتمه أحد يقول له يا أخى ان كان قولك صدقا فيجازيك الله بصدقك وان كان كذبا فالله أشد نقمة منى لك وقد لطمه انسان مرة على وجهه رضى الله عنه فلم يتغير بل قال من قدر هذا فقيل له الله تعالى قدره فقال أفترون أنى أرد قضاء الله وكان ابن المقنع رحمه الله تعالى يقول كظم الغيظ أولى من ذل الاعتذار وقيل لمرة ما الفرق بين الحزن والغضب فقال الحزن يكون من مخالفة من هو فوقك لهواك والغضب يكون من مخالفة من هو دونك لهواك وقد كان أبو معاوية الاسود رحمه الله يدعو لمن نال منه وشتم رجل بكر بن عبد الله المزنى رحمه الله وبالغ فى شتمه وهو ساكت فقيل له الا تشتمه كما شتمك فقال انى لا أعرف له شيئا من المساوى حتى أشتمه به ولا يحل لى أن أرميه بالكذب وكان الأعمش رحمه الله تعالى يقول قالت الاذن لولا خوفى أن أنصر وأجمع بالجواب لطلت كما طال اللسان وقال رجل لثور بن يزيد رحمه الله يا قدرى يا رافضى فقال له ان كنت كما قلت لى فأنا رجل سوء وان كنت على خلاف ذلك فأنت فى حل منى وقد كان مكحول الدمشقى رحمه الله تعالى يقول لا يبين حلم الرجل الا ان تسلط الجاهلين عليه وقد قال رجل مرة لسالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم يا شيخ السوء فقال له سالم ما أراك أبعدت يا أخى وروى أن لقمان عليه السلام قال لابنه يا بنى ان أردت أن تواخى أحدا فأغضبه فان أنصفك وهو مغضب فواخه والا فاحذره. وقد سئل السرى السقطى رحمه الله تعالى مرة عن الحلم ما هو فقال للسائل أى حلم تريد فان الحلم على خمسة أقسام الأول حلم غريزى وهو هبة من الله تعالى للعبد به يعفو عمن ظلمه ويعطى من حرمه ويصل به رحمه وان قطعه الثانى حلم عالم وهو أن يكظم العبد غيظه رجاء الثواب وفى القلب كراهة الثالث حلم مذموم وهو حلم العبد على من جنى عليه رياء وسمعة يعنى يرائى به جلساءه وهو حاقد ساكت الرابع حلم كبر وهو أن الشخص لا يراه أهلا بان يجاوبه الخامس حلم مهابة ومذلة اه فاعلم ذلك فانه نفيس والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) الاتعاظ بما يرونه لبعضهم فى المنام أو يرى لهم وعدم قولهم هذا أضغاث أحلام كما عليه بعض المتصوفة من أهل هذا الزمان فلا يلتفتون لمثل ذلك وربما يقول بعضهم ان المنام أمر هو للرائى لا للمرئى له وذلك من الجهل فان الرؤيا وحى المؤمن يأتيه بها ملك الالهام فى المنام ليعرفه بما جهل من حاله فى اليقظة وقد بينت فى غير هذا الكتاب عملى بذلك من حيث التجربة فينبهنى الله تعالى بذلك على صورة ما وقعت فيه من النقائص من حيث لا أشعر أما ما أشعر به فلا أحتاج فيه الى منام بل أكتفى فيه بنهى الشارع ﷺ وما توعدنى على ذلك النقص من العقوبة وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول رأيت مسلم بن يسار رحمه الله تعالى فى المنام بعد موته فقلت ما فعل الله بك فقال لى والله لقد رأيت أهوالا وزلازل شدادا وكان ابراهيم التيمى رحمه الله تعالى يقول رأيت موسى ابن مهران فى المنام بعد موته رحمه الله تعالى فقلت له ما فعل الله بك فقال انى محاسب منذ مت على أكلى من

الوقوع فى الحرام (وفرقة أخرى) غلبت عليهم الوسوسة فى نية الصلاة فلا يدعه الشيطان يعقد نية صحيحة بل يوسوس عليه حتى تفوته الجماعة وربما أخرج الصلاة عن الوقت وان أتم تكبيرة الاحرام يكون فى قلبه تردد فى صحة نيته وقد يتوسوس فى التكبير حتى يغير صفة

لطعام الأمراء وقال بعضهم رأيت الحسن بن ذكوان في المنام بعد موته بسنة رحمه الله تعالى فقلت له ما فعل الله بك فقال أنا محبوس من جهة إبرة استعرتها ولم أردها فقلت له يا أخي أي القبور أكثر إضاءة قال قبور أهل المصائب في الدنيا وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول ربما يرى بعضهم الرؤيا السوء للرجل الصالح ليزداد بها نشاطا وربما يرى بعضهم الرؤيا الصالحة للرجل السوء ليزداد بها استدراجا كما قال بعضهم للربيع بن خيثم رحمه الله تعالى إني رأيتك في المنام كأنك من أهل النار قال فكان الربيع بعدها لا ينام الليل مطلقا ويقول خوف النار قد منعني النوم وقال رجل للعلاء بن زياد رحمه الله تعالى إني قد رأيتك البارحة وأنت تخطر في الجنة فقال له أما وجد إبليس أحدا يسخر به غيري ولا أحدا أحقر في عينه منك حتى بعثك رسوله وكان فرقد السنجي رحمه الله تعالى يقول خطر في نفسي مرة أني قد صرت من الصابرين فرأيت تلك الليلة قائلا يقول لي لا تكن من الصابرين حتى تستقل أعمالك في عينك وتخاف عليها من الرد والفساد وقال حوشب لمالك بن دينار رحمهما الله تعالى رأيت كأن قائلا من جهة السماء يقول يا أهل الأرض الرحيل الرحيل فما رأيت أحدا رحل إلا محمد بن واسع قال فخر مالك مغشيا عليه وقال فرقد السنجي رحمه الله تعالى سمعت مناديا ينادي من جهة السماء ويقول يا أشباه اليهود إن أعطيتم لم تشكروا وإن ابتليتم لم تصبروا ومع ذلك تزعمون أنكم من الصالحين فكونوا على حذر من سطوات ربكم ورأى بعض أصحاب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أن القيامة قد قامت ونادى المنادي أين فلان ابن فلان فصار الناس يحاسبون ثم يذهب بهم إلى النار ثم نادى المنادي أين عمر بن عبد العزيز فأتى به فحوسب ثم نجا وأمر به إلى الجنة قال فلما قص الرائي هذه الرؤيا على عمر ووصل إلى قوله أين عمر خر عمر مغشيا عليه فصار الرجل ينادي في أذنه ويقول رأيتك والله قد نجوت وعمر لا يعي ما يقول اهـ ففتش يا أخي نفسك وأنت أعرف بها من غيرك ولا تركن إلى قول بعضهم لك رأيتك البارحة في الجنة مثلا إلا بعد عرض أفعالك وأقوالك وعقائدك على الكتاب والسنة فاعلم ذلك يا أخي ولا تكن مغرورا والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ أن لا يبادروا بالدعاء لمن سألهم أن يدعوا له إلا إن علم أحدهم أن الله تعالى راض عنه وذلك بعرض أعماله على الكتاب والسنة فإن رأى فيها مخالفة فمن الأدب أن يسأل الله تعالى العفو عن نفسه ثم بعد ذلك يدعو لمن يشاء وهذا الخلق قد أغفله غالب الفقراء اليوم وقد كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول الدعاء حقيقة هو ترك الذنوب فمن تركها فعل الله تعالى به ما يختار من غير سؤال وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول رأيت في بعض الكتب الإلهية يقول الله عز وجل كيف تدعوني وقلوبكم معرضة عني وقد أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام أن قل لبني إسرائيل لا يدخلوا بيتا من بيوتي إلا بقلوب طاهرة ونفوس وجلة وأبصار خاشعة وجوارح مطهرة من الفواحش فمن دخل بيتي وهو متلطخ بشيء من الذنوب لعنته وأعلمهم أني لا أجيب لأحد منهم دعوة ولأحد من الخلق عليه مظلمة أو في بطنه لقمة من حرام وكان إبراهيم النخعي رحمه الله تعالى يقول دعاء الرجل في خلوته أفضل من دعائه في مجالس القصاص وقال رجل لزياد بن ظبيان رحمه الله تعالى كثر الله في المسلمين من أمثالك فقال له لقد سألت الله شططا وسألت للناس أن يكونوا من أهل الشر وقال رجل لعمر بن عبد العزيز أطال الله بقاءك فقال هذا أمر قد فرغ منه ادع لي بصلاح الحال (قلت) فينبغي للداعي لأخيه بطول البقاء أن ينوي في نفسه إن كان ذلك خيرا له نظير ما روي فيمن خاف الفتنة وإلا فقد يكون طول البقاء شرا له لما يقع فيه من المعاصي والمخالفات ونحو ذلك والله أعلم وقال رجل لعامر بن قيس رحمه الله تعالى ادع الله لي فقال والله إني لأستحيي منه عز وجل أن أسأله شيئا يسرني فكيف أسأل لغيري وتحك أنها شفاعة ولا تكون إلا من المقربين (قلت) وبالجملة فكل شيخ تصدر في هذا الزمان فينبغي له أن لا يبادر بالشفاعة في غيره إلا إن علم أن الله تعالى عفا عنه وأن لا يكون في بطنه لقمة من شبهة فإن دعا

التكبير لشدة الاحتياط
ويفوته الاستماع للفاتحة
ويفعل ذلك في أول الصلاة
ثم يغفل في جميعها ولا يحضر
قلبه ويغتر بذلك ولم يعلم أن
حضور القلب في الصلاة هو
الواجب وإنما غره إبليس
وزين له ذلك وقال له ذلك
الاحتياط تتميز به عن العوام
وأنت على خير عند ربك
(وفرقة أخرى) غلبت عليهم

لأحد وليس هو بسالم من ذلك فليسأل ربه في غاية الحياء والخجل من الله تعالى والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم ﴾ زيادة الخوف من الله تعالى كلما أحسن اليهم وقربهم الى حضرته كما عليه أهل مجالسة الملوك في الدنيا ولله المثل الأعلى وقد كان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم كلما ازداد نعمة من الله وقربا كلما ازداد خوفا وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول يكفي العامة من الخوف أن ينتهوا عما نهاهم الله تعالى عنه ثم يقول ياليتني كنت منهم وكان حماد بن زيد رحمه الله تعالى لا يجلس دائما الا مستوفزا على قدميه فاذا قيل له في ذلك يقول انما يجلس مطمئنا من أمن من عذاب الله عز وجل وأنا والله عبد لا آمن في ليل أو نهار من أن تنزل علي نار من السماء تحرقني وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول لقد رحم الله تعالى الخلق بالغفلة في بعض الأوقات ولولا ذلك لماتوا من خشية الله تعالى وكان عطاء السلمي رحمه الله تعالى اذا ثارت ريح عاصف يقوم ويقعد ويخرج ويدخل ويأخذ بحاذة بطنه كأنه امرأة أخذها الطلق وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول اذا غلب الرجاء على الخوف فسد القلب كما عليه الخلق من أمثالنا وقد كان الشعبي رحمه الله تعالى يقول خف من الله تعالى حتى يأتيك الأمن فانه أحب اليك من رجائك فيه حتى يأتيك الخوف وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول والله اني لأخاف أن أكون أول من يسحب على وجهه يوم القيامة الى النار وقد غلب الخوف على سفيان الثوري رحمه الله تعالى حتى صار يبول الدم فأتوه بطبيب يهودي فلما جس بطنه قال ما أظن في الحنيفية مثل هذا وصار اليهودي يبكي ويقول ان هذا الرجل قد قطع الخوف من الله تعالى كبده وليس لي فيه حيلة وكان عطاء السلمي رحمه الله تعالى يقول لو أوقدت نار وقيل كل من ألقى نفسه فيها صار لا شيء ولم يدخل النار الكبرى لألقيت نفسي فيها وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لو أوقفوني بين الجنة والنار وخيروني بين أن أصير رمادا وبين أن أصير حتى أعرف أين مصيري لاخترت أن أكون رمادا وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول أشتهي أن يوقفني ربي عز وجل بين يديه ويقول رضيت عنك يا مالك ثم أصير ترابا بعد ذلك وكان علي بن بكار رحمه الله تعالى يقول مكث عطاء السلمي رحمه الله تعالى على فراشه مزمنا من شدة الخوف أربعين سنة يعاد فبلغ ذلك بعض العباد فقال وأي شيء الأربعون سنة والله لو عبد الله تعالى عدد شعر رأسه ثم لافنى السنين لكان ذلك قليلا في جنب سيئة واحدة يفعلها العبد وقد كانت فاطمة بنت عبد الملك رحمها الله تقول ما رأيت أخوف لله تعالى من عمر بن عبد العزيز كان رحمه الله تعالى اذا جلس مجلس الرجل من امرأته ارتعد من الهيبة وانتفض كالطير المذبوح ثم لما ولي الخلافة جمعنا وجمع جواريه وقال قد جاءني أمر شغلني عنكن فما أنفرغ لكن حتى أفرغ من الحساب يوم القيامة فمن شاء أن يقيم عندي ولا يطالبني فليفعل ومن شاء الفراق فليفارق ثم ترك القرب من عياله حتى مات وقد كان عطاء السلمي رحمه الله تعالى عامة ليله يمس جلده بيده مخافة أن يكون قد مسخ وكذلك كان السري السقطي وبشر الحافي رحمهما الله تعالى وكان اسحق بن خلف رحمه الله تعالى يقول ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه ثم هو مستمر على المعاصي انما الخائف الذي ترك الذنوب خوفا من ربه وكان السري السقطي رحمه الله تعالى يقول ليس الخائف الذي تأخذه رقة عند تلاوة القرآن مثلا انما الخائف الذي ترك طعامه وشرابه وطلق النوم حتى يعرف أين ينتهي حاله وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول لم يقدر علي بن الفضيل رحمه الله تعالى على سماع قراءة سورة القارعة حتى مات وقد سمعها مرة على غفلة فمكث ثلاثة أيام بلياليها لم يأكل شيئا وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى كثيرا ما ينشد قول الشاعر

اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الأمن في الدنيا هجوع

اهـ فاعلم ذلك واتبع سلفك يا أخي تسلم والحمد لله رب العالمين

الوسوسة في اخراج حروف الفاتحة من مخارجها وكذلك كثير الاذكار فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء لا يهمه غير ذلك ولا يتفكر في أسرار فاتحة الكتاب ولا في معانيها ولم يعلم أنه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم في

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة الحزن على ما فرطوا في جنب الله ولو كانوا على عبادة الثقلين لا يرون أنهم قاموا بواجب حق الربوبية الذي عليهم ولا فرق في ذلك بين العارف والمبتدي خلاف ما عليه بعض المتصوفة في هذا الزمان من قولهم انما يكون الحوف للمبتدي وأما العارف فلا حزن عليه ولا خوف وهذا من زيادة الجهل فان الاكابر قد درجوا كلهم على توالي الحزن الى أن ماتوا ولكن يحمل قول من قال من الاكابر ان العارف لا حزن عليه أي على فوات أمور الدنيا وأما الآخرة فترك حزنهم على فواتها مذموم فقد ورد في الحديث أن الله تعالى يحب كل قلب حزين يعني على فوات حظه من الله تعالى في الآخرة وكان موسى بن سعيد رحمه الله تعالى يقول لقاح العمل الصالح الحزن وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول ان القلب اذا لم يكن فيه حزن خرب كما أن البيت اذا لم يكن فيه ساكن خرب وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول والله ما يسع المؤمن في الدنيا الا الحزن وكان داود الطائي رحمه الله تعالى يقول كيف لا يحزن في الدنيا من تتجدد عليه المصائب في كل ساعة يعني الذنوب ولما مات الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال وكيع رحمه الله قد ارتفع الحزن البالغ اليوم من الارض وكان عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى يقول لو رأيتم الحسن البصري رحمه الله تعالى لقلتم ان الله تعالى لقد بث عليه حزن الخلائق أجمعين من طول تلك الدمعة وتواصل النشيج وكان الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى يقول ليس أحد أشد هما في الدنيا من المؤمن لانه شارك أهل الدنيا في المعايش وزاد عليهم باهتمامه بأمر الآخرة وقد كان الحسن البصري رحمه الله تعالى لا يراه أحد الا ظن أنه قريب عهد بمصيبة لما به من شدة الحزن وكذلك أصحابه وقد كان هرم ابن حيان رحمه الله تعالى لم يزل مهموما الشهر والدهر فاذا قيل له في ذلك يقول ومن أولى مني بذلك وأنا لا أعرف ماذا اليه مصيري اهـ فعليك يا أخي بالحزن حتى لا تجد لك وقتا تفرغ فيه لشيء من شهوات نفسك في الدنيا والا فأنت مغرور فانتبه يا أخي والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم الاغترار بالله تعالى بحيث يعتمد أحدهم على عفو الله ويترك الاعمال الصالحة بل كانوا يبالغون في الاجتهاد في العبادة ثم يعتمدون على فضل الله تعالى لا على أعمالهم وفي الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وقد سئل سعيد بن جبير رحمه الله عن الاغترار بالله تعالى ما هو فقال هو تمادي العبد في العصيان ثم يتمنى على الله المغفرة وكان الحسن البصري رحمه الله يقول ان أقواما خرجوا من الدنيا وليس لهم حسنات من كثرة ما ألهتهم أماني المغفرة يقول أحدهم اني لحسن الظن بربي عز وجل فلا أبالي أكثر العمل أم قل وهو كاذب في ذلك اذ لو كان حسن الظن بربه حقيقة لأحسن العمل قال تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وقد كان ميسرة العابد رحمه الله تعالى قد بدت أضلاعه من كثرة المجاهدة وكان اذا قيل له ان رحمة الله واسعة يزجر القائل ويقول صحيح ذلك لولا ستر رحمته لاهلكنا بذنوب نافي طاعتنا فضلا عن معاصينا وكان حذيفة بن قتادة رحمه الله تعالى يقول لو قال لي شخص قد ان أعمالك أعمال من لا يؤمن بيوم الحساب لقلت له صدقت لا تكفر عن يمينك وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول ان اليد تقطع في سرقة خمسة دراهم ولا شك أن أصغر ذنوبك أقبح من سرقة خمسة دراهم فلك بكل ذنب قطع عضو في الدار الآخرة وكان حذيفة المرعشي رحمه الله تعالى يقول ان لم تخف أن يعذبك الله تعالى على أحسن طاعاتك لما فيها من النقص والآفات فأنت هالك وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول ما أحد منا آمن أن الله تعالى يغفر له ذنبا فأحدا فيصير أحدنا يعمل في غير معمل وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول أرجى الناس للنجاة أخوفهم على نفسه ألا ترى يونس عليه الصلاة والسلام لما ظن أن الله تعالى لا يعاقبه على دعائه على قومه عجل الله له المؤاخذة بحبسه في بطن الحوت فعليك يا أخي بالخوف من الله عز وجل بطريقه الشرعي فانه أولى بك وهيهات أن تنجو مع كثرة أعمالك الصالحة وأكثر من الاستغفار والحمد لله رب العالمين

السكلام وهذا غرور عظيم ومثلهم من حمل الرسالة الى مجلس السلطان وأمر أن يؤديها على وجهها فأخذ يؤدي الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويعيدها مرة بعد أخرى وهو مع ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فهذا لا شك أنه تقام عليه السياسة ويرد الى دار

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة الصبر على البلايا والنوازل وعدم سخطهم على مقدور ربهم عز وجل وكانوا يقولون من لم يصبر فليتصبر لحديث ومن يتصبر يصبره الله تعالى فعلم أن من لم يصبر على فضول الدنيا من طعام ومنام وكلام وجماع وغير ذلك فلا تقول له الملائكة يوم القيامة سلام عليكم بما صبرتم بل هو يومئذ في تعب وغم وعدم أمن بخلاف من سلمت عليه الملائكة عليهم الصلاة والسلام فانه يأمن ويزول عنه الهم والغم ويصير في فرح وسرور وأمن وقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول في قوله تعالى والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس انه الفقر والمرض وكان كعب الاحبار رضي الله عنه يقول لا يوصف بالصبر الا من صبر على أذى الناس له ولم يقابلهم بنظيره يعني لا سرا ولا جهرا حتى بالدعاء عليهم والتوجه فيهم الى الله تعالى وأعظم الصبر أيضا صبر العبد عما نهى الله عنه وعلى ما أمره الله بفعله وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ان الله تعالى ليواصل البلاء بعبده المؤمن فينزل عليه بلاء بعد بلاء حتى يمشي وليس عليه خطيئة وقد عثرت امرأة فتح الموصلي رحمهما الله تعالى مرة فطار ظفرها فضحكت فقيل لها أما تجدي ألم الظفر قالت بلى ولكن ثواب ذلك ألهاني عن وجود الاشتغال بالالم وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لولا الفقر والمرض والموت ما طأطأ ابن ادم رأسه من شدة الكبر ثم مع ذلك هو وثاب على معاصي الله تعالى وقد شكا الاحنف بن قيس رحمه الله تعالى وجع ضرسه لعمه فقال له يا أحنف أراك تشكو وجع ضرسك من ليلة واحدة والله ان لي بذلك نحو ثلاثين سنة ما أظن أن أحدا أشعر بذلك غيرك وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول مر موسى عليه الصلاة والسلام يوما برجل قد خرقت السباع بطنه ونهشت لحمه فعرفه موسى فوقف عليه وقال يا رب انه كان مطيعا لك فماذا الذي أرى فأوحى الله اليه يا موسى انه سألني درجة لم يبلغها بعمله فابتليته لابلغه تلك الدرجة وقد كان كعب الاحبار رضي الله عنه يقول من شكا مصيبة نزلت به الى غير الله تعالى لم يجد للعبادة بعد ذلك حلاوة حتى يتوب الله تعالى عليه وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول أوحى الله تعالى الى العزير عليه السلام اذا نزلت بك بلية فاحذر أن تشكوني الى خلقي وعاملني كما أعاملك فكما لا أشكوك الى ملائكتي اذا صعد الي عملك القبيح كذلك لا ينبغي أن تشكوني الى خلقي اذا نزل بك بلاء وقد بلغني انه لما أهلك الله تعالى جميع مال أيوب عليه الصلاة والسلام دخل بيته ونزع ثيابه وقال هكذا خرجت الى الدنيا وكذا أخرج منها وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود اصبر على المؤنة يأتيك من الله المعونة وقد كان عمر ابن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول لو كانت الدنيا نعيما بلا كدر لكانت هي الجنة ولم نحتج الى الانتقال منها وكان محمد بن الحنفية رضي الله عنه يقول احذر من الشكوى فانها تفرح عدوك وتحزن صديقك اه فاعلم يا أخي ذلك وكن صابرا تغنم والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة التسليم لامر الله تعالى والرضا بقضائه عند فقد ولد أو أخ أو أحد من الاهلين والاقارب ايثارا لمراد الله عز وجل على مرادهم وقد مات مرة ولد لداود عليه الصلاة والسلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان يعدل عندك قال ملء الارض ذهبا أنفقه في سبيل الله عز وجل فأوحى الله اليه لك من الاجر مثل ذلك وكان بكر المزني رحمه الله تعالى يقول موت الوالد ملك حادث وموت الاخ كسر جناح وموت الولد صدع في القلب لا ينجبر وكان مورق البجلي رحمه الله يقول ما أحد أعلم أني مؤجر على موته الا أحببت أن يموت وكان ابن أبي كثير رحمه الله تعالى يقول لا فائدة في الجزع بعد الموت لانه لا يرد فائتا وقد كان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم صاحب المصيبة قد مزق ثيابه وأظهر الجزع فلا تعزوه فانه صاحب اثم لمن عزاه فقد شاركه في الاثم وانما الواجب نهيه عن ذلك وكان أبو سعيد البلخي رحمه الله تعالى يقول من أصيب بمصيبة فمزق ثوبا أو ضرب صدرا فكأنما أخذ رمحا يقاتل به ربه عز وجل وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول من أصيب بمصيبة فليفعل في اليوم الاول ما يفعله في اليوم الخامس من مصيبته يعني من ضحك وأكل وغير ذلك وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم

الجانين ويحكم عليه بفقد العقل (وفرقة أخرى) اغتروا بتلاوة القرآن فيهدرون به هذرا ربما يختمون في اليوم والليلة ختمة وألسنتهم تجري به وقلوبهم تتردد في أودية الاماني والتفكر في الدنيا ولا تتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف

من سعادة العبد رضاه بقضاء الله تعالى وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول أول شيء كتبه الله في
اللوح المحفوظ إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسولي من لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي
فليتخذ ربا سوائي ومن استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين
وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول من ذروة الإيمان الاستسلام للرب جل جلاله وكان وهب بن منبه
رحمه الله يقول من حزن على ما في يد غيره يعني حسد أخاه على رزقه فقد سخط على قضاء ربه وقد أوحى الله
تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام يا داود إن أسلمت لي ما أريد كفيتك ما تريد وإن لم تسلم لي ما أريد أتعبتك
فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد وقد قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما الذي تريد فقال أريد ما يريد
الحق تعالى وإن كانت نفسي تكره المعاصي وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول من لم يرض
بالقضاء فليس لحمقه دواء وكان عبد العزيز بن أبي رواد رحمه الله تعالى يقول ليس الشأن في لبس العباءة وأكل
الخل والشعير ولكن الشأن في رضا العبد عن ربه وقد كان عبد الله بن سلام رضي الله عنه يقول شكا نبي من
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما ناله من المكروه إلى ربه عز وجل فأوحى الله إليه إلى كم تشكوني ولست
بأهل ذم ولا شكوى هكذا كان بدء شأنك في عالم الغيب فلم تسخط على حسن قضائي عليك أفتريد أن أغير
الدنيا من أجلك وأبدل اللوح المحفوظ بسببك وأقضي لك بما تريد دون ما أريد ويكون ما تحب دون
ما أحب أنا فبعزتي حلفت لئن تلجلج هذا في صدرك مرة أخرى لأسلبنك ثوب النبوة ولأوردنك النار ولا
أبالي (قلت) قد أجمع العلماء على أن المعصوم لا يصح سلبه فالظاهر أن ما ورد هنا على سبيل الفرض والتقدير
وأن كل ما أوعد الله به عباده واقع فليتأمل والله تعالى أعلم وكان محمد بن شقيق رحمه الله تعالى يقول اشتريت
مرة لأمي بطيخة فلم تعجبها فسخطت فقلت لها يا أماه على من تسخطين على بائعها أم على مشتريها أم على خالقها
فوالله إن خالقها لأحسن الخالقين وإن البائع والمشتري ما أعطياك إلا ما قسم لك في الأزل قال فاستغفرت
أمي من ذلك وتابت وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول لأن أحس جمرة بلساني أحب إلي من أن
أقول لشيء وقع لم وقع هذا أو كان محمد بن واسع رحمه الله يقول ما تم فعل الله تعالى إلا ويجب على العبد شكر
ربه عليه من حيث إنه محكم علم وأما من حيث كسب العبد فيجب عليه عدم الرضا به إن كان مذموما تعظيما
لجنابه عز وجل وقد طلعت مرة في رجل محمد بن واسع قرحة شديدة فقال له رجل من أصحابه والله إني لأرحمك
من أجل هذه فقال له محمد إن كنت تحبني يا أخي فاشكر الله تعالى معي الذي لم يطلعها في لساني أو في عيني أو
في أذني أو في ثديي أو تحت إبطي أو في فرجي ✽ ولما سقطت مقادم أسنان معاوية رضي الله عنه قال الحمد لله
الذي لم يذهب سمعي ولا بصري وقد روي عن يونس عليه الصلاة والسلام أنه قال يوما لجبريل عليه الصلاة
والسلام دلني على أعبد أهل الأرض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعه
وشعره قال فدنا يونس منه فسمعه يقول إلهي قد متعتني بقوتي كما تشاء ثم سلبتني قوتي كما تشاء وأبقيت لي فيك
الأمل بالخير فلك الفضل علي وكان بشر بن الحارث رحمه الله تعالى يقول اجتمعت في سياحتي برجل مجذوم
أبرص أعمى وقد صرع في الشمس والنمل يأكل لحمه قال فرفعت رأسه من الأرض ووضعتها في حجري
فلما أفاق قال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي عز وجل فوعزته وجلاله لو قطعني إربا إربا
ما ازددت فيه إلا حبا وقد روي أن عيسى عليه الصلاة والسلام مر يوما برجل أعمى أبرص مقعد مضروب
الجنبين بالجذام والفالج وقد تناثر لحمه من الجذام فدنا منه عيسى فسمعه يقول الحمد لله الذي عافاني مما
ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى وأي شيء صرفه عنك من البلاء يا هذا فقال له صرف عني الجهل به
وخلع على معرفته فقال له عيسى صدقت هات يدك فناوله يده فذهب ما كان به وصار من أحسن الناس وجها
وصحبه سيدنا عيسى تعالى معه إلى أن رفع عيسى ﷺ وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول الرضا
عن الله تعالى والرحمة للخلق من أخلاق المرسلين وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول الرضا عن

عند أوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار منه ويتلذذ به من حيث المعنى لا من حيث النظم فمن يقرأ كتاب الله في اليوم والليلة مائة مرة ثم ترك أوامره ونواهيه يستحق العقوبة وربما كان لمسكوت عنه فهو يقرأ ويتلذذ به ويعتبر باستلذاذه ويظن أن ذلك لذة مناجاة

الله تعالى أفضل من الزهد فى الدنيا لان الراضى عن ربه عز وجل لا يتمنى فوق منزلته وكان الدارانى رحمه الله تعالى يقول لو أن الله تعالى أدخلنى النار لكنت راضيا عنه وكان سليمان الخواص رحمه الله تعالى يقول من قال يا رب ارض عنى فليس هو براض عن ربه وكان أبو عبد الله الباجى رحمه الله تعالى يقول عبيد الدنيا يريدون من ساداتهم أن يرضوا عنهم وعبيد الله تعالى يريد منهم أن يرضوا عنه وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول رضا الناس غاية لا تدرك اه فانظر يا أخى فى هذا الخلق الذى ذكرناه واشكر ربك ان رأيت نفسك من أهل الصبر والا فاستغفره وتب اليه والحمد لله رب العالمين

( ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ) شهودهم فى نفوسهم أنهم لم يقوموا بذرة واحدة من شكر ربهم وذلك لانهم يرون أن جميع ما يشكرونه به من جملة نعمه عليهم فلا تنفذ نعم الله تعالى أبدا ولا يصح من أحد مقابلتها وكان بكر بن عبد الله المزنى رحمه الله يقول ما قال عبد الحمد لله الا وجب عليه بذلك شكر آخر وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول لذا كان الذى تشكر الله تعالى به نعمة منه عليك من نعمه عز وجل فما تم شكر حقيقة وانما الشكر اعترافك بكثرة نعمه عليك وأنك لا تحصى ثناء عليه عز وجل وكان سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله تعالى يقول أداء الشكر لله تعالى أنك لا تعصيه بنعمه عليك فان جوارحك كلها من نعمه عليك فلا تعصه بشىء منها وقد كان مجاهد ومكحول رحمهما الله تعالى يقولان فى قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم أنه الشراب البارد وظل المساكن وشبع البطن واعتدال الخلق ولذة المنام وقد سئل الحسن البصرى عن الفالوذج أهو من أكبر النعم فقال نعمة الله سبحانه وتعالى علينا فى الماء البارد العذب أعظم منه وقد مر وهب بن منبه رحمه الله تعالى يوما على رجل أصم أبكم مصاب فقال له شخص هل بقى على هذا نعمة فقال وهب نعم اساغة ما يأكل وما يشرب وتسهيله ونحو ذلك يعنى اذا خرج فذلك أعظم من النعم الظاهرة التى فاتته وكان الشعبى رحمه الله تعالى يقول لو قاس الناس البلاء بما فوقه لوجدوا بعض البلايا عافية وقد كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما اذا قدم اليه طعام يقول الحمد لله الذى جعلنى أشتهيه فكم من يقدر عليه ولا يشتهيه يعنى من شدة المرض والوجع وكان سفيان الثورى اذا مر عليه أحد من أهل الشرطة يخر ساجدا لله تعالى ويقول الحمد لله الذى لم يجعلنى شرطيا ولا مكاسا ثم يقول لأصحابه انه يمر على أحدكم المبتلى الذى يؤجر على بلائه فتسألون ربكم العافية ويمر عليكم هؤلاء الظلمة الذين يأثمون ببلائهم فلا تسألون الله العافية وكان زيد بن أسلم رحمه الله تعالى يقول مكتوب فى التوراة العافية هى الملك الخفى وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول من كان له زوجة ومسكن ومركب وخادم فهو من الملوك وكان جعفر بن سليمان رحمه الله تعالى يقول فى قوله عز وجل وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ان الظاهرة الاسلام وما حسن من خلقك ورزقك والباطنة ما ستر الله تعالى عن الناس من عيوبك وذنوبك ذكره ابن عباس رضى الله عنهما وكان عون بن عبد الله رحمه الله تعالى يقول ان الله تعالى أنعم على العباد على حسب كرمه وطلب منهم الشكر على قدر حالهم وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول فى قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود قال يعنى يعد المصائب وينسى النعم وكان عون بن عبد الله رحمه الله يقول فى قوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها يعنى يرون النعم أنها من الله عز وجل ثم يضيفونها الى الخلق غافلين عن الله تعالى ويقولون لولا فلان ما وصلت الينا اه وكان بشر الحافى رضى الله عنه يقول من شكر الله بلسانه دون بقية أعضائه فقل شكره لأن شكر البصر أن رأى خيرا وعاه أو شرا ستره وشكر السمع أن سمع خيرا حفظه أو شرا دنسيه وشكر اليدين أن لا يأخذ بهما ولا يعطى الا حقا وشكر البطن أن يكون ملآنا من العلم والحلم وشكر الفرج أن لا يفعل به الا ما أبيح له وشكر الرجلين أن لا يمشى بهما الا فى الصلاح فمن فعل ذلك فهو من الشاكرين حقا اه ففتش نفسك يا أخى وانظر هل شكرت ربك كما شكر هؤلاء أم قصرت فاستغفر الله والحمد لله رب العالمين

( ومن اخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ) شدة تدقيقهم فى التقوى وعدم دعوى أحد منهم أنه متق فان

الله سبحانه وسماع كلامه وهيهات ما أبعده اذ لذته فى صوته فلو أدرك لذة كلام الله ما نظر الى صوته وطيبه ولا تعلق خاطره به ولذة كلام الله انما هى من حيث المعنى فهو فى غرور عظيم (وفرقة أخرى) اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر وصاموا الأيام الشريفة وهم فى ذلك لا يحفظون

الحق تبارك وتعالى بما أحصى على العبد مثاقيل الذر وهذا خلق غريب في هذا الزمان بل غالب الناس يدعي التقوى من غير مناقشة لنفسه ويقنع بذكره لله تعالى صباحا ومساء مثلا ولا يناقش نفسه في قول ولا فعل ولا مطعم ولا مشرب ولا ملبس بل هو كالتمساح الملتهم على الحرام فصورة عمامته وعذبته صورة شيخ وأقواله وأفعاله على صورة الفسقة والمنافقين وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول لا يبلغ أحد مقام التقوى حتى لا يكون له فعل ولا قول يفتضح به في الدنيا والآخرة وقد قال له رجل مرة متى يبلغ العبد سنام التقوى فقال اذا وضع جميع ما في قلبه من الخواطر في طبق وطاف به في السوق لم يستح من شيء فيه وكان وهب ابن منبه رحمه الله تعالى يقول الايمان عريان ولباسه التقوى وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول لا يقل عمل مع تقوى لانه مقبول قال تعالى انما يتقبل الله من المتقين وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول ليس التقوى في صيام النهار وقيام الليل مع التخليط فيما بين ذلك وانما التقوى ترك ما حرم الله تعالى وأداء ما افترض الله فمن زاد بعد ذلك فهو خير الى خير وكان رحمه الله تعالى كثيرا ما يقول علامة المتقي أن يلجم عن الكلام كما يلجم المحرم حال احرامه ويحتاج المتقي أن يكون عالما بالشريعة كلها والا خرج عن التقوى من حيث لا يشعر وكان أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه يقول من كمال التقوى أن يخاف العبد من ربه في مثقال ذرة وقد سئل أبو هريرة رضي الله عنه عن التقوى فقال هي طريق الشوك يحتاج الماشي فيها الى صبر شديد وكان سفيان الثوري رضي الله عنه يقول أدركنا الناس وهم يحبون من قال لأحدهم اتق الله تعالى وقد صاروا اليوم يتكدرون من ذلك وقد قال رجل لعمر بن عبد العزيز اتق الله يا عمر فخر مغشيا عليه من هيبة الله تعالى وقال رجل للفضيل بن عياض رحمه الله تعالى أي البلاد تحب لي أن أقيم فيه فقال له ليس بينك وبين بلد نسب بل خير البلاد ما حملك على التقوى وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول لو أتى أحد منا ربه بما هنا عش ولا أخذه نوم اه ففتش يا أخي نفسك هل اتقيت الله تعالى كتقوى هؤلاء السلف أم قصرت عنهم واستغفر ربك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ كثرة سترهم لاخوانهم المسلمين وشدة مناقشتهم لنفوسهم في مقام التورع فكانوا لا يحبون أن تظهر لأحد عورة وكانوا يحاسبون أنفسهم في أقوالهم وأفعالهم وطعامهم وشرابهم وتفقد جميع جوارحهم في وقوعها فيما حرم الله عليها لاسيما اللسان والبطن والفرج والعين وقد بسطنا هذا الخلق في كتابنا المنهج المبين وفي الحديث اتق ما نهاك الله عنه تكن أورع الناس وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول لو صمتم حتى تكونوا كالأوتار وصليتم حتى تكونوا كالحنايا ما نفعكم ذلك الا اذا كان معكم ورع صادق وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول جلساء الله تعالى يوم القيامة هم أهل الورع والزهد وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لا خير في فقيه لا ورع فيه كما لا خير في صلاة لا خشوع فيها ولا مال لا جود فيه وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول حقيقة الورع هو الخروج عن الشبه ومحاسبة النفس مع كل خطرة فمن لم يكن كذلك فليس هو بورع وكان أبو عبد الله الانطاكي رحمه الله تعالى يقول لا تستهن بالتورع في اليسير فان الاستهانة فيه تسلم لترك التورع في الكثير وكان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول من طلب العلم بلا عمل كان قدوته ابليس ومن طلب الرياسة كان قدوته فرعون ومن طلب الورع كان قدوته الأنبياء والأصفياء عليهم الصلاة والسلام وكان الضحاك رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يتعلمون الورع ويسافرون لتعلمه الثلاثة أشهر وأكثر وقد صاروا اليوم لا يطلبون ذلك ولا يعملون به ولو نبهوا عليه فلا حول ولا قوة الا بالله وقد كان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى اذا رأى بعض شبهة في شيء تركه كله ولو كان جميع بيت المال وكان أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام وكان السلف اذا وقع من أحدهم دينار في مكان ثم تذكره ورجع فرآه لا يأخذه ويقول يحتمل أن هذا وقع من غيري وان ديناري أخذه أحد وقد سئل محمد بن سيرين رحمه الله تعالى عمن يسد أنفه عند قسم المسك في الغنيمة هل به

ألسنتهم عن الغيبة ولا خواطرهم عن الرياء ولا بطونهم عن الحرام عند الافطار ولا من الهذيان بأنواع الفضول فهؤلاء تركوا الواجب واتبعوا المندوب وظنوا أنهم يسلمون وهيهات انما يسلم من أتى الله بقلب سليم فهم مغرورون أشد الغرور (وفرقة أخرى) اغتروا

بأس فقال لا أقول فيه شيئا وقد سئل عن ذلك أيضا القاسم بن محمد فقال هو كالتورع ولا أقول هو ورع إذ بان
في الفقه وقد قيل لرباح القيسي رحمه الله تعالى حدثنا بما رأيت من ورع عمر بن عبد العزيز فقال دعانا
رحمه الله تعالى ليلة الى طعامه فبينما نحن نأكل اذ قال لنا أمسكوا فان زيت هذا المصباح من زيت العامة
الذي أنظر فيه دواوينهم وكان طلحة بن مصرف رحمه الله تعالى اذا بنى جدارا أو خصا عمل الجدار مائلا الى
ناحيته ليكون الطين الذي يطين به البناء من غير جهة الطريق وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يتورع أن
يقول سبحان الله تعالى عند التعجب من شيء اجلالا له وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اذا تناول
ولده تفاحة من الفيء ينزعها من فيه بشدة و يقول انتزعها خوفا من الله تعالى وكأنني انتزعها من قلبي وقد بلغنا
عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه انه ذهب الى غريم له ليطالبه بدين وكان للرجل شجرة على باب داره
فوقف الامام في الشمس وطالبه فقيل له ألا تقف في ظل الشجرة فقال لا لأن لي على صاحبها دينا وكل قرض جر
نفعا فهو ربا كما ورد ذلك عن النبي ﷺ وكان المغيرة بن شعبة رحمه الله تعالى اذا اشترى شيئا من
طواف الأسواق يعدل به عن الشارع و يشتري منه خوفا أن يحجز المشي عن المارة وقد استعار القاضي
بكار بن قتيبة رحمه الله تعالى من والدته رداء ليخبز فيه خبزه فكلمه شخص من أصحابه في الطريق فلم يقف له
فقال له لم لا تكلمني فقال يا أخي انما استعرت هذا الرداء لأخبز فيه لا لأقف مع أحد في الطريق ولو علمت
أنك تكلمني لكنت أستأذنتها في ذلك وكان بكر بن عبد الله المزني رحمه الله تعالى يجعل ميزاب سطحه الى
جهة داره دون الشارع خوفا أن يشوش على أحد وقد ماتت عنده هرة فحفر لها ودفنها في داره ولم يرمها في
المزابل خوفا أن يشوش ريحها على الناس وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول اياكم أن تسافروا
الى مكة بشيء من الشبهات فان رد دانق من حرام أو شبهة أفضل عند الله تعالى من خمسمائة حجة فيها شبهة
وقد ترك يزيد بن دريج مال والده رحمهما الله لما مات وكان مالا جزيلا وقال كنت أشك في حل كسبه
لكونه كان يبيع على الولاة وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يأكل من كسب غلامه اذا باع شيئا
وصلى على النبي ﷺ عند بيعه فكان يقول انك أطريت عليه بالصلاة على رسول الله ﷺ
ومدحته بها حتى اشتراه الناس فاياك أن تفعل ذلك أو تقول للمشتري هذا رخيص أو مليح مثلا
بل بعه وأنت ساكت وقد دخل الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى السوق ليشتري لأولاده خبزا فرأى الخباز
يسبح الله ويهلله ويصلي على النبي ﷺ عند بيعه الخبز فأبى الفضيل أن يشتري منه وطوى هو وأولاده
حتى لقي من الغد شخصا يبيع الخبز وهو ساكت فاشترى منه فقيل له ان هذا أمر سهل يا أبا علي فقال ان
سهلكم هذا أخاف أن يوردني النار وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يبيع البز والأكسية فاذا كان
يوم غيم لا يبيع ولا يخرج بها الى السوق فسئل عن ذلك فقال ان المشتري ربما يراه حسنا في الغيم وهو معيب
وقد كان الأصمعي رحمه الله تعالى يقول من طلب من الفقهاء الرخصة عند المشتبهات فعلمه زاده الى النار
وقد اشترى أبو علي النجوراني رحمه الله تعالى قميصا ولبسه فقال له شخص اني اشتريت هذا الثوب وفيه
درهم من شبهة قال فدخل الماء وتعرى من القميص وقال من يتصدق علي بثوب حتى أخرج من الماء فالقوا
عليه ثوبا انتهى فانظر يا أخي في هذا الخلق وفتش نفسك واتبع سلفك في الورع واترك دعوى الصلاح اذا لم
تفعل كذلك فان من لا ورع عنده فهو من الفسقة عند المتورعين ليس له نصيب في مقامهم والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم ﴾ التودد والسكينة والوقار وقلة الكلام وذلك لكمال عقولهم
وكثرة تجاربهم لأهل عصورهم ومن كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قوله ينتهي طول العبد في اثنتين
وعشرين سنة و ينتهي عقله في ثمان وعشرين سنة وما بعد ذلك الى آخر عمره انما هو تجارب انتهى فعلم أن
كل من كان قليل العقل فلا يصلح أن يكون داعيا الى الله تعالى لأن الذي يفسد أكثر من الذي يصلحه وفي
الحديث كرم الرجل دينه ومروءته عقله وحسن خلقه وكان قتادة رحمه الله تعالى يقول الرجال ثلاثة رجل

بالحج من غير خروج عن
المظالم وقضاء الديون
واسترضاء الوالدين وطلب
الزاد الحلال وربما ضيعوا
الصلاة المكتوبة في
الطريق وربما عجزوا عن
طهارة الثوب والبدن
ويتعرضون لمكس
الظلمة حتى يؤخذ منه ولا
يحترزون في الطريق من
الرفث والخصام وربما

ونصف رجل ولاشيء فالرجل هو من كان له عقل ورأي يستضيء به ونصف الرجل هو الذي يشاور العقلاء ويفعل برأيهم والذي لاشيء هو الذي لاعقل ولارأي له ولايشاور أحدا وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول أفره الدواب لاغنى له عن السوط وأعقل النساء لاغنى لها عن الزوج وأعقل الرجال لاغنى له عن مشورة ذوي الالباب انتهى وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول من صار يتدبر مايقول قبل النطق فهو أعقل الناس وكان مطرف بن عبد الله رحمه الله تعالى يقول عقول الناس على قدر عصورهم وقد سئل أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه عن العقل أين مسكنه قال في القلب قيل له فأين مسكن الرحمة قال في الكبد قيل له فأين مسكن الرأفة قال في الطحال قيل له فأين مسكن النفس قال في الرئة وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول من ادعى العقل ولم تسكن همته الآخرة فهو كاذب وكان محمد بن زيادر حمه الله تعالى يقول لا يكمل عقل الرجل حتى يحذر من صديقه وكان هشام الدستوائي رحمه الله تعالى يقول من أراد أن ينظر الى قوم بلاعقول فلينظر الينا وكان زياد رحمه الله تعالى يقول ليس بعاقل من يحتال للامر بعد الوقوع فيه وانما العاقل من يحتال للامر قبل الوقوع فيه فان خمير الرأي خير من فطيره اه فاعلم ذلك يا أخي واتبع سلفك الطاهر تسترح والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ كثرة الصمت والنطق بالحكمة تسهيلا على الطالب نظير قوله صلى الله عليه وسلم أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا وكان أبو الحسن الهروي رحمه الله يقول تهيج الحكمة من أربع خصال الندم على الذنب والاستعداد للموت وخلو البطن وصحبة الزهاد في الدنيا وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول اشتغل محمد بن يوسف رحمه الله بالعبادة فاورثته الحكمة واشتغلنا بكتابة العلم فأورثنا الخصومات يعني بذلك الجدال وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول تهوي الحكمة من السماء فلا تنزل على قلب فيه هذه الاربع خصال الركون الى الدنيا وحمل هم غد وحسد لأخ وحب شرف على الناس فمن كان فيه خصلة من هذه فلا تدخل قلبه حكمة (فمن جملة حكمهم) رضي الله عنهم قول حاتم الأصم رحمه الله تعالى لا تنظر الى من قال وانظر الى ماقال وخذ الحكمة حيث وجدتها فانها ضالة المؤمن فاذا وجدتها فقيدها ثم ابتغ ضالة أخرى (ومنها) قول الامام أبي حنيفة رضي الله عنه من رضي بدون قدره رفعه الله فوق غايته وقوله عليك بالحكمة فانها تجلس المساكين مجالس الملوك (ومنها) قول أكثم بن صيفي رحمه الله تعالى الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرين السوء فكن بين المنقبض والمنبسط (ومنها) قول الامام الشافعي رضي الله عنه أقل الناس في الدنيا راحة الحسود والحقود وقال رجل للاحنف بن قيس رحمه الله تعالى اني أراك يا أحنف أعور فبم سودك قومك عليهم فقال له بسكوتي ثم أشتغل الا بما يعنيني فقط كما اشتغلت أنت بما لايعنيك فان قيل فما ضابط الكلام الذي لا يعني الشخص فالجواب ان ضابطه كل مالاتدعو اليه حاجة دينية أو دنيوية والله أعلم وقد قيل ليحيى بن معاذ رحمه الله تعالى متى يذهب من العبد العلم والحلم والحكمة فقال اذا طلب الدنيا بشيء من هؤلاء الثلاث وكان رحمه الله تعالى يقول اذا ذمك أبناء الدنيا أو مدحوك فاصرف ذلك الى الخرافات لكونهم مطموسين البصائر واعلم ان تكسب الرجل وهو يحن الى الزهد خير له من الزهد وهو يحن الى التكسب وكان رحمه الله تعالى يقول خلوة المريدين غنم الشياطين ورؤية الناس نشاط للمرائين وكان رحمه الله تعالى يقول من ستر عليك ذنوبك ولم يفضحك فهو أولى بك من سائر الخلق فانك تذنب ألف ذنب فيما بينك وبين الله تعالى فيسترها عليك ولو ان الخلق اطلعوا على عيب واحد فيك لفضحوك بين العباد (ومنها) قول أبي محمد الرذاماري رحمه الله اذا جمعت المال فأنت وكيل واذا أعطيته فأنت رسول فالوكيل لايخون والرسول لايعوق (قلت) وعدم خيانة الوكيل ان لايمنع أحدا من محل بل ينفق كما أمره الله ويمنع الحكمة كما منع الله وعدم من الرسول ان يرى الفضل لمرسله ولا يرى له فضلا بما أعطى الأعلى وجه الشكر لله تعالى والله تعالى أعلم (ومنها) قول أبي معاوية الاسود رحمه الله من طلب من الله الخير الجزيل فلا ينصف

جمع بعضهم الحرام فانفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به الرياء والسمعة فيعصي الله في كسب الحرام أولا وفي انفاقه للرياء ثانيا ثم يبلغ الى الكعبة ويحضرها بقلب ملوث برذائل الاخلاق وذميم الصفات وهو مع ذلك يظن انه على خير من ربه وهو مغرور (وفرقة أخرى)

الميل ولا يقيل وقوله من طلب الفضل من اللئام فلا يلومن الا نفسه اذا اهين (ومنها) قول امامنا
الشافعي رضي الله عنه اظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ورغب في مودة من لا ينفعه وقبل مدح
من لا يعرفه وقوله من نم لك نم عليك ومن نقل اليك نقل عنك ومن اذا ارضيته قال فيك ما ليس فيك كذلك
اذا اغضبته قال فيك ما ليس فيك وقوله اذا تزوج الرجل فقد ركب البحر فان ولد له ولد فقد كسرت به
المركب وقوله طلب الراحة في الدنيا لا يصح لاهل المروآت فان احدهم لم يزل تعبان في كل زمان وقوله اذا
ولي اخوك ولاية فارض منه بعشر الود الذي كان لك قبلها (ومنها) قول ابي امامة رحمه الله تعالى من
آذى الناس بلا سلطان فليصبر على الهوان وقوله من صبر على الاساءة عليه فقد مهد للاحسان موضعا وقوله
من لم يملك الحر في حياته فلا تبك عيناك على وفاته وقوله اذا رضي الراعي بفعل الذئب لم ينبح الكلب على
الغريب وقوله الاعتراف يهدم الاقتراف ولم تزل الاشراف تبتلى بالاطراف (ومنها) قول عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه اللهم وسع علي الدنيا وزهدني فيها ولا تقترها علي وترغبني فيها وقوله اللهم اجعلني اليوم مشغولا
عما اكون عنه غدا مسئولا وقوله التواضع يرفع الخسيس والكبر يضع النفيس ومن طلب الرياسة اعجزته
ومن فر منها تبعته وقوله لا تفرح بكثرة العيال فان ذلك شؤم المال وفضيحة الرجال (ومنها) قول الفضيل
ابن عياض رحمه الله تعالى من كثر عتابه قل اصحابه ومن اعطى الفاجر فقد اعانه على الفجور ومن سال
اللئيم فقد اهان نفسه ومن طلب العلم ممن لا يعمل به زاده جهلا ومن علم الآلة فقد ضيع عمره بلا فائدة
ومن صنع المعروف مع كفور فقد ضيع النعمة (ومنها) قول يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى في الكف عن
المحارم يكون رضا الرب وعند نزول البلاء تظهر حقائق الصبر وعند طول الغيبة تظهر مواساة الاخوان
وبالادب يفهم العلم وبترك الطمع تثبت المؤاخاة وبصلاح النية تدوم صحبة الاخيار وقوله من كان القرآن
فيده كان اطلاقه منه الموت ومن نحته العبادة فطخ حياة الفوز ومن ترك شهوة الدنيا عوضه الله تعالى شهوة
ذكره وقوله من حلم ساد على اقرانه ومن نفذ غضبه غمس في بحر هوانه وقوله كدر الاجتماع خير من صفاء
الافتراق واذا كان القريب يبعد ولغيره فلبعيد واذا كان البعيد يتودد فهو القريب (ومنها) قول بشر
الحافي رحمه الله تعالى اذا اخلت النوافل بالفرائض فاتركوا النوافل وقوله من لم يستحسن الحسن لم يستقبح
القبيح وقوله ابس مع الاختلاف ائتلاف وقوله انا لم نؤت من قبل النعم وانما اتينا من قلة الشكر عليها كما
انا لم نؤت من قلة العمل وانما اتينا من قلة الصدق فيه كما انا لم نؤت من كثرة الذنوب وانما اتينا من قلة الحياء كما
انا لم نؤت من قلة الاستغفار وانما اتينا من قلة الوفاء وسرعة الرجوع الى الذنوب من غير عقوبة عليها ولو ان
العقوبة عجلت لنا لانتهينا عن المعاصي جملة انتهى فاعلم ذلك يا اخي ونظف باطنك من محبة الدنيا وشهواتها
واكثر من ذكر الله تعالى فاذا تم خلاء باطنك فهناك ينطقك الله تعالى بالحكمة وتصير حكيم زمانك وامام
عصرك ومن تأخر عن محبتك الدنيا فهذا بعيد عنك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن اخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ عدم الحسد لاحد من المسلمين وبذل النصيحة لكل مسلم
بطريقه الشرعية ولذلك سادوا الناس ولو كان عندهم حسد لاحد او غش لما سادوا ولا قبلت الملوك
اقدامهم فان طلبت يا اخي ان تكون كذلك فاسلك طريقهم خالصا مخلصا والا فمن المستحيل ان يطلع الله تعالى
بعض الناس على نفقته فلا يروج له امر وقد سمعت شيخنا سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من
اخلص عمله لله تعالى جعل الله عز وجل قلوب المؤمنين تخلص في محبته واطلعهن لبس في دينه اطلع الله تعالى
بعض اصفيائه على باطنه فلا يخلص له قلب احد منهم في محبته انتهى وفي الحديث ان الحسد يأكل الحسنات
كما تأكل النار الحطب اهـ واذا فنيت حسنات العبد ذهبت سيادته لانه يصير اما صاحب سيئات او امره
موقوف لا حسنات ولا سيئات ومن المعلوم ان السيادة والتعظيم انما يكونان لمن فاق الناس في الاعمال
والاخلاق الصالحة وكان الاحنف بن قيس رحمه الله تعالى يقول لا راحة لحسود ولا سيادة لسيء الخلق
وكان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما تم صاحب نعمة الا وله عليها حساد وكان فرقد

فاخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وينكر احدهم على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه واذا امرهم بالخير عنفت وطلب الرياسة والعز واذا باشر منكرا وانكر عليه احد غضب وقال انا المحتسب فكيف تنكر علي وقد يجمع الناس في المسجد ومن يتأخر

السنجي رحمه الله تعالى يقول دواء ترك الحسد هو الزهد في الدنيا وأما من رغب في الدنيا فالحسد من لازمه شاء أو أبى اه وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول من شأن الحسود عدم الفهم لمن أراد جودة الفهم فلا يحسد أحدا وإني لأترك في بعض الأوقات لبس الثوب الجديد مخافة أن يهيج الحسد عند جيراني أو غيرهم وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول الحسود على ما عنده من النعمة خير ممن ليس عنده نعمة يحسد عليها فيشكر الله تعالى على نعمته ويعذر الحسود وقد كان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول اتقوا الحسد فإنه أول ذنب عصي الله تعالى به في السماء وأول ذنب عصي الله تعالى به في الارض وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول إن أردت أن تسلم من شر من يحسدك فعم عليه أمورك وكان مسعر بن كدام رحمه الله تعالى يقول ما آثر القوم النصيحة لإخوانهم إلا لوفور شفقتهم عليهم وقد صارت النصيحة اليوم كالعداوة وما نصحت أحدا الآن وصار يفتش في عيوبي وينسى العمل بنصحي وكان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى يقول ما حسدت قط أحدا على دين ولا دنيا وذلك من أكبر نعم الله سبحانه وتعالى علي وقد كان أبو أيوب السختياني رحمه الله تعالى من أنصح الناس لإخوانه شفقة على دينهم أن ينقص وكان يقول إني لأرحم هؤلاء العصاة الغافلين عن ربهم عز وجل وكان إذا نزل بالمسلمين هم أو بلاء يمرض لذلك ويصير يعاد كما تعاد المرضى فإذا ارتفع ذلك الهم يبرأ من وقته (قلت) من صح له هذا المقام فلا يتطبب بأحد من الاطباء لأنهم يلبسهم بدني ذلك والله أعلم وقد قال عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى يوما للحجاج بن يوسف يا حجاج ما من أحد إلا ويعرف عيب نفسه لا يكاد يخفى عليه شيء منه فقل لي يا حجاج على عيبك فقال له الحجاج أعفني من ذلك يا أمير المؤمنين فقال له عبد الملك لا بد وأقسم عليه فقال له الحجاج من عيبي أنني لجوج حسود حقود فقال له عبد الملك فإنك الله ليس في الشيطان أشر مما قلت وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول إني أجيز شهادة القراء على الناس ولا أجيزها على بعضهم مع بعض لأنهم قوم حسدة وكذلك كان الامام مالك رضي الله عنه يقول سئل أوس بن خارجة من سيدكم فقال حاتم الطائي فقيل له أين أنت منه فقال لا أصلح أن أكون خادماله وسئل حاتم الطائي من يسود كم فقال أوس بن خارجة فقيل له أين أنت منه قال لا أصلح أن أكون مملوكا له فكان الامام مالك رضي الله عنه يقول أين نحن من هذا الأمر وقد قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يوما لرجل من بعض القبائل من سيدكم يا هذا فقال الرجل أنا يا أمير المؤمنين فقال له عمر كذبت لو كنت سيدهم ما قلت ذلك وقد كان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول من علامة الحاسد أن يدنيه منك الطمع ويبعده عنك سوء الطبع وإن أعظم الناس حسدا الأقربون والجيران لمشاهدتهم النعمة التي يحسدون عليها بخلاف البعيد ولذلك كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما أن مر ذوي القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا وقد قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى لسفيان الثوري رحمه الله اعلم أنك لو بذلت النصيحة للناس حتى صاروا مثلك في الدين ما وفيت بالنصيحة لهم فكيف توفيهم النصيحة ولم يبلغوا حالك وكان شقيق البلخي رحمه الله تعالى يقول إذا كان فيك من الخصال ما يخافه عدوك فليس فيك خير فكيف إذا كان فيك ما يخافه صديقك واعلم أن من تعرض لمساوي الناس يعرض نفسه للهلاك ومن سلم الناس منه سلم هو من الناس ومن نم على الناس افتقر في دينه ودنياه وصار من خدام إبليس اه ففتش يا أخي نفسك وانظر هل سلمت من الحسد لإخوانك المسلمين على ما آتاهم الله تعالى من فضله وهل بذلت لهم النصيحة كما أمرك الله أم أنت بالضد من ذلك واستغفر الله والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) شدة الجوع وعدم الشبع وذلك ليكثر صمتهم ويقل كلامهم وفضول لغوهم كما هو شأن العلماء العاملين فإن من شبع كثر كلامه فيما لا يعنيه بالضرورة وكان محمد الراهبي رحمه الله تعالى يقول من أدخل في بطنه فضول الطعام أخرج من لسانه فضول الكلام وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول رمي الناس بالسهام أخف من رميهم باللسان لأنه لا يخطئ وكان إمامنا الشافعي رضي الله عنه يقول الكلمة كالسهم إن خرجت منك ملكتك ولم تملكها وكان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

عنه أغلظ عليه في القول وربما عرض له الرياء والسمعة والرياسة وعلامته أنه لو قام بالمسجد غيره يجرا عليه ومنهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله ولوجاء غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم آخذ حقي وزوحمت ومنهم من يتقيد إمام مسجد ويظن أنه خير وغرضه أن

يقول قلت للنبي ﷺ يا رسول الله ما أكثر ما تخاف علي فقال هذا وأشار الى لسانه ﷺ وكان ابراهيم النخعي رحمه الله تعالى يقول من تأمل وجد أشرف أهل كل مجلس وأكثرهم هيبة من كان أكثرهم سكوتا لأن السكوت زين العالم وستر الجاهل وكان وهيب بن الورد رحمه الله يقول العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وواحد في الهرب من الناس قال ومكث منصور بن المعتمر أربعين سنة لا يتكلم بعد العشاء بلغو وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول واعجبا لابن آدم ملكاه على نابيه ولسانه قلمهما وريقه مدادهما وهو يتكلم فيما بين ذلك فيما لا يعنيه وقد مكث الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى قبل موته بعشرين سنة لا يتكلم بكلام أهل الدنيا وقد وقع لحسان بن سنان رحمه الله أنه تكلم بكلمة لغو فعاقب نفسه بصوم سنة وكان حماد بن سلمة رحمه الله تعالى اذا تكلم بكلمة لغو يقول عقبها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ثم يقول كانوا يكرهون كلام الدنيا في مجلس من غير أن يخالطه كلام خير وقد مكث مورق العجلي رحمه الله عشرين سنة يتعلم الصمت حتى تم له وقد كان معروف الكرخي رحمه الله تعالى يقول كلام الرجل فيما لا يعنيه من خذلان الله اياه وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول كلام الرجل فيما لا يعنيه يقسي القلب ويوهن البدن ويعسر أسباب الرزق وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول باللسان يحفظ الرأس وكان بشر الحافي رحمه الله تعالى قليل الكلام جدا وكان يقول لأصحابه انظروا ما تملونه في صحائفكم فانه يقرأ على ربكم فيا ويح من تكلم بقبيح ولو أن أحدكم أملى الى أخيه كلاما فيه قبيح لكان ذلك قلة حياء معه فكيف بالرب سبحانه وتعالى وكان الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى اذا أصبح وضع قرطاسا وقلما فكان لا يتكلم يومه بلغو الا حاسب نفسه عليه عند غروب الشمس وكان يقول بلغنا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يضع الحجر في فمه ففعل ذلك عدة سنين حتى تعود قلة الكلام وكان لا يخرج الحجر الا عند الأكل وعند الصلاة كل ذلك خشية أن يتكلم فيما لا يعنيه ثم لما حضرته الوفاة رضي الله عنه صار يخرج لسانه ويقول هذا هو الذي أوردني الموارد وقد كان الامام مالك اذا رأى رجلا يتكلم بكثير يقول له أمسك عليك بعض كلامك وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول ترك كلمة لغو أشد على النفس من صيام يوم لأن الرجل ربما يحتمل الصوم في الحر الشديد ولا يحتمل ترك كلمة لا تعنيه اه فاعلم ذلك يا أخي وفتش نفسك هل وفيت بهذا الحديث أم قصرت فيه وأكثر من الاستغفار آناء الليل والنهار والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ سد باب الغيبة في الناس في مجالسهم لئلا يصير مجلسهم مجلس اثم ولعل ما قرأوه من الحديث أو من كلام القوم أو الورد مثلا لا يقاوم غيبة وقعوا فيها يوم القيامة وقد كان أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول انما أكثر من الأعمال الصالحة في بعض الأوقات ليصير معي شيء من الأعمال يوم القيامة أعطي منه خصمائي الذين لهم علي تبعة من مال أو عرض وقد قلت مرة لشيخنا سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى ألا تأخذ العهد يا سيدي على أصحابك أن لا أحد منهم يستغيب أحدا في مجلسك فقال لي ان أخذ العهد بذلك سوء أدب مع الله تعالى ومع خلقه وذلك لأن خلق الأعمال والأقوال التي تحدث على يد المريد انما هي لله عز وجل فكيف آخذ على أحد عهدا بشيء ليس في يده بل يخلقه الله تعالى فيه على رغم أنفه فقلت له يا سيدي ان رسول الله ﷺ بايع أصحابه رضي الله عنهم على السمع والطاعة وعلى ترك أفعال كانوا يفعلونها فقال انما كان ذلك له ﷺ بوحي من الله سبحانه وتعالى بخلافنا نحن اه فعليك أيها الشيخ بزجر أصحابك عن الغيبة والنميمة ولا تسامحهم بالسكوت على ذلك فانك تصير شريكهم في هذا الأمر وتفسقوا كلكم وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال نظرت ليلة أسري بي في النار فاذا قوم يأكلون الجيف فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس وكان جابر رضي الله عنه يقول هاجت ريح منتنة على عهد رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله ما أشد نتن هذه الريح فقال ﷺ ان ناسا من المنافقين اغتابوا

ناسا

يقال انه امام مسجد كذا وكذا وعلامته انه لو قدم غيره وان كان أورع منه وأعلم ثقل عليه ذلك (وفرقة أخرى) جاوروا بمكة والمدينة واغتروا بهما ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظواهرهم وبواطنهم وربما كانت قلوبهم متعلقة ببلادهم ومنازلهم وتراهم يتحدثون بذلك ويقولون

تاسا من المسلمين فلذلك هاجت هذه الريح الخبيثة اه وكان أبو قلابة رضي الله عنه يقول ان الغيبة
تخرب القلب من الهدى والخير وكان أبو عوف رحمه الله تعالى يقول دخلت يوما على محمد بن سيرين رحمه الله
فنلت من عرض الحجاج بن يوسف عنده فقال لي محمد يا أبا عوف ان الله تعالى حكم عدل فكما ينتقم من
الحجاج كذلك ينتقم للحجاج و ربما لقيت الله تعالى فكان أصغر ذنب عملته أشد عليك وأعظم من أعظم
ذنب عمله الحجاج وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى اذا بلغه أن أحدا اغتابه يرسل اليه بهدية ويقول له
على لسان الرسول بلغني يا أخي أنك أهديت الي حسناتك وهي بيقيني أعظم من هديتي هذه وكان سيدي
عبد العزيز الديريني رحمه الله تعالى اذا بلغه أن أحدا اغتابه تذهب اليه في داره ويقول له يا أخي مالك
ولذنوب عبد العزيز تتحملها وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول اياك أن تقابل من ظلمك بسب أو
شتم أو غير ذلك وذلك انه يظلمك مرة فتصير تلعنه وتشتمه كلما تذكرت فعله حتى تستوفي بذلك حقك ويصير
عليك بعد ذلك التبعة وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول نا كهة القرا في هذا الزمان الغيبة
وتنقيص بعضهم بعضا خوفا أن يعلو شأن أقرانهم ويشتهروا بالعلم والزهد والورع دونهم وبعضهم يجعل الغيبة
كالأدم في الطعام وهو أخفهم اثما وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى من أشد الناس زجرا للمغتابين وقد دعاه
رجل مرة الى طعامه فلما ذهب اليه وجده يذكر رجلا بسوء فقال له ابراهيم عهدنا بالناس يأكلون الخبز قبل
اللحم وأنتم تأكلون اللحم قبل الخبز ثم خرج ولم يأكل له طعاما وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول
والله لترك الغيبة عندي أحب الي من التصدق بجبل من ذهب وكان وكيع بن الجراح رحمه الله يقول من
عزة السلامة من الغيبة أنه لم يسلم منها الا القليل وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول اذكر أخاك اذا
توارى عنك بمثل ما تحب أن يذكرك به اذا توارى عنك وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول كفى
بالمرء اثما ان لا يكون صالحا ثم يجلس في المجالس ويقع في عرض الصالحين * وقد سئل الزهري رحمه الله
تعالى عن حد الغيبة فقال كلما كرهت أن تواجه به أخاك فهو غيبة وقد نام شقيق البلخي رحمه الله تعالى
ليلة عن ورده فعتبته امرأته فقال لا تعتبيني بأن نمت عن وردي هذه الليلة فان غالب علماء بلخ
وزهادها يصلون لي ويصومون ويفعلون فقالت له وكيف ذلك قال يبيت أحدهم يصلي طول الليل ويصبح
صائما طول النهار ثم ينال من عرض شقيق ويأكل لحمه فتكون حسناتهم كلها في ميزانه وكان أبو امامة
رضي الله عنه يقول ان العبد ليعطى كتابه يعني يوم القيامة فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقول يا رب اني لي
بهذا فيقال له هذا بما اغتابك الناس وأنت لا تشعر وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول لو كنت
مغتابا أحدا لاغتبت والدي لأنهما أحق بحسناتي من غيرهما وكان محمد بن علي الترمذي رحمه الله تعالى يقول
من وقع في عرض أحد فكأنه قدمه بحسناته على نفسه وأحبه أكثر من نفسه قلت فلا ينبغي له التكدر
بل يحبه بما حصل له من الثواب وان لم يقصد هو ذلك فعلم ان من تكدر ممن أهدى اليه حسناته فهو
أحمق الا ان كان تكدره لغرض شرعي وكان سعيد بن جبير رحمه الله تعالى يقول ان العبد ليعمل الحسنات
الكثيرة فلا يراها في صحائفه فيقول يا رب أين حسناتي فيقال له ذهبت باغتيابك الناس وهم لا يعلمون
وكان منصور بن المعتمر رحمه الله تعالى يقول لا تنالوا السلطان اذا ظلم بل أكثروا له الاستغفار فانه
ما ظلمكم الا بذنوبكم وقد سئل الزهري أي قيل له أنقع في عرض من يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قال
نعم وكان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى يقول من الغيبة المحرمة التي لا يشعر بها أكثر الناس قولهم ان
فلانا أعلم من فلان فان المفضول يتكدر من ذلك ومن المعلوم ان حد الغيبة أن يذكر الشخص أخاه بما يكره
وقيل ان طبيبين يهوديين دخلا على سفيان الثوري مرة فلما خرجا قال لولا أخشى أن تكون غيبة لقلت ان
أحدهما أطب من الآخر وكان أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى اذا سئل عن مقام أحد من العلماء
يقول سلوا غيري عن ذلك فاني ألحظ الناس بين الكمال والصلاح وليس عندي كشف أعلم به مقامهم عند الله
تعالى والظن أكذب الحديث وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اذا مر على قوم يغتابون أحدا يقول

جاورت بمكة كذا وكذا سنة وهذا مغرور لأن الأقوم له أن يكون في بلده وقلبه متعلق بمكة وان جاور فليحفظ حق الجوار فان جاور بمكة حفظ حق الله وان جاور بالمدينة حفظ حق النبي صلى الله عليه وسلم ومن يقدر على ذلك وهؤلاء مغرورون بالظواهر فظنوا أن الحيطان تنجيهم وهيهات

فوموا افتوضأوا فان بعض ما تتكلمون به ربما كان أشد من الحدث وقد كان أبو تراب النخشبي رحمه الله
تعالى يقول الغيبة فاكهة القراء ومزابل الأتقياء وكان ميمون بن يسار رحمه الله يقول اغتيب رجل مرة في
مجلسي وأنا ساكت فقدم الي في تلك الليلة جيفة منتنة وقيل لي كل هذا فقلت معاذ الله كيف ذلك فقيل هذا
بما اغتيب عندك وأنت ساكت وقد كان خالد الربعي رحمه الله تعالى يقول تناول الناس رجلا يوما في المسجد
فاغتبتهم عليه فلما نمت تلك الليلة قدم الي قطعة لحم خنزير وقيل لي كل فقلت معاذ الله ان آكله فادخلوها
في في كرها علي فاستيقظت وأنا أجد طعم ذلك في في ومكثت أجد نتنه في فمي أربعين صباحا والناس تشمه مني
وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول مثال من يغتاب الناس مثال من ينصب منجنيقا لحسناته
ويصير يرمي بها شرقا وغربا في كل جهة اه وكان عطاء الخراساني رحمه الله تعالى يقول لا تنكدر وامن
اغتابكم فانه أحسن اليكم من حيث لا يشعر وقد بلغنا ان من اغتيب غيبة واحدة غفر له نصف ذنوبه وكان
وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول لا يكمل صلاح الرجل عند الله تعالى حتى يكون علكا في أفواه الناس وكان
عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول من قال ان في القوم جفاة فليس ذلك غيبة انما الغيبة ان يقول قوم
جفاة أي لأنه عين من اغتابه وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول عرضت على نفسي مرة الصوم في
يوم حر شديد أو ترك ذكر الناس فكان الصوم أهون عليها من ذلك وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى
يقول لا تذكروا أهل الأهواء والبدع بسوء الا من يبلغهم ذلك لعلهم ينزجرون والا فلا فائدة لذكرهم عند
من لم يبلغهم (قلت) قد يقصد القائل بذلك تقبيح تلك الصفات في عيون الحاضرين فتلك فائدة بلا شك
وكان يقول في حديث لا غيبة في فاسق أي لا تغتابوا الفسقة وكفوا عن غيبتهم وكان حاتم الأصم رحمه الله
تعالى يقول ثلاث خصال اذا كن في مجلس فان الرحمة مصروفة عن أهله ذكر الدنيا وكثرة الضحك والوقيعة
في الناس وقد بلغنا أن الكاذب يتطور كلبا في النار والحاسد يتطور في النار خنزيرا والمغتاب يتطور في النار
قردا وكذا النمام وكان أبو عبد الله الانطاكي رحمه الله تعالى يقول ان من الغيبة المحرمة أن تثبت عيب
أخيك في قلبك وتترك أن تتكلم به خوفا من عداوته لك وكان يقول من تجرأ على التصريح بغيبة أحد جره
ذلك الى أن يصير يقول في الناس الزور والبهتان اه فاعرض يا أخي على نفسك هذه الأمور وانظر هل
سلمت من الوقوع فيها فتشكر الله تعالى أم وقعت فيها فتستغفره وأكثر يا أخي من الأعمال الصالحة لتعطي
منها أصحاب الحقوق يوم القيامة واعتقد في نفسك الفسق فضلا عن اعتقادك فيها الصلاح من كثرة
ما تسمع من الحمو بين عن الله تعالى في حقك بأنك من الصالحين وقد قالوا أجهل الجاهلين من ترك يقين
ما عنده لظن ما عند الناس وقبيح على شيخ الزاوية مثلا أن يجلس في مجالس الغيبة والنميمة أو يقرأ أحدا
على ذلك فانه يصير فاسقا وهذا أمر قد استهان به الناس الآن مع أنه أقبح من بيع الحشيش ومع ذلك فلا
يكاد أحد يستقبحه كل القبح فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاعلم ذلك يا أخي واجتنب تلك الصفة
والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم ﴾ عدم وسوستهم في الوضوء والصلاة وفي القراءة فيها وغير ذلك
من العبادات مع مبالغة أحدهم في الورع الى الغاية وذلك لأن حصول أصل الوسوسة انما هو من ظلمة القلب
وظلمة القلب من ظلمة الأعمال وظلمة الأعمال من أكل الحرام والشبهات فمن أحكم أكل الحلال فليس
لابليس عليه سبيل مطلقا وقد ابتلي قوم من أطعمة الظلمة والمكاسين والقضاة والمباشرين ومن يتبع
عليهم من التجار وغيرهم وطلبوا الحضور مع الله تعالى والخشوع في عباداتهم ومعرفة ما فعلوه منها مما
تركوه فلم يصح لهم ذلك وكان غاية ما حصله أحدهم العناء والتعب والقفز في الهواء حال النية في الصلاة كأنه
يصطاد شيئا تفلت من يده وتراه اذا كبر يقول اك اك اك بار بار بار واذا أراد يقرأ يقول بس بس بس
ال ال ال حي واذا أراد يتشهد يقول أت أت أت حيات واذا سلم يقول اس اس اس ونحو ذلك كما هو
مشاهد من أحوالهم وقد أفتى بعض العلماء ببطلان الصلاة بذلك وقال انه ليس بقرآن ولا ذكر وانما هو

ورعا لم تسمح نفسه بلقمة
يتصدق بها على فقير ولا
ناصبت المجاورة في حق
الخلق فكيف بمجاورة
الخالق وما أحسن مجاورته
بحفظ جوارحه وقلبه
(وفرقة أخرى) زهدت
في المال وقنعت من الطعام
واللباس بالدون ومن
السكن بالمساجد وظنوا
أنهم أدركوا رتبة الزهاد

كلام أجنبي من كلام الآدميين قاله صاحبه على وجه العمد لا السهو وقد كان شيخنا سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول إن أحق ما يتسم به هؤلاء الموسوسون أن يقال لهم مبتدعة لا فقهاء وذلك لأن أحدهم ربما يتوهم بطلان عبادة الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين وأنك لو قلت لأحد منهم توضأ كما بلغك من وضوء رسول الله ﷺ أو وضوء أصحابه رضي الله عنهم ربما أنه لا يرضى بذلك ولا يعتقد صحته نسأل الله العافية وهذا هو الضلال المبين وقد بسطنا الكلام على ذلك في الباب الخامس عشر من كتابنا المنن الكبرى فراجعه إن أردت ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ كتمانهم الأسرار وعدم تبليغهم أحدا ما يسمعونه في حقه وقد قالوا قلوب الأحرار قبور الأسرار وإن لم يكن أهل الله تعالى يكتمون الأسرار فمن بقي يكتمها وهذا الخلق قد صار غريبا في هذا الزمان فربما يسمع الشيخ الكلمة الآن فيحكيها لغالب من يدخل عليه وربما كان فيها خراب الديار وراءه يقول قد أخبرنا بذلك شخص من أولياء الله تعالى لا يصح في حقه تهمة ويسميه وليا من أولياء الله والحال أنه معدود من الفاسقين بنقل النميمة وإفساده بين الناس وإن لم يقصد هو ذلك وفي الحديث لا يدخل الجنة قتات يعني نماما وقد كان مجاهد رحمه الله تعالى يقول في قوله تعالى وامرأته حمالة الحطب قال كانت تمشي بالنميمة بين الناس وكان أكثم بن صيفي رحمه الله تعالى يقول من علامة النمام الذل بين الناس فلا تكاد تراه عزيزا أبدا وكان يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالى يقول النمام شر من الساحر ولا يشعر به أحد فإنه قد يعمل في ساعة ما لا يعمله الساحر في شهر فإن النميمة سفكت الدماء ونهبت الأموال وهاجت الفتن العظام وأخرجت الناس من أوطانهم وغير ذلك من المفاسد وكان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يقول لا يسعى بين الناس بالفساد إلا ولد بغي لأنه يهلك نفسه ويهلك أخاه ويهلك الذي أنهى إليه الكلام وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول من ينقل إليك ينقل عنك ومن يمدحك بما ليس فيك فلا تأمن أن يذمك بما ليس فيك وكان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول احذر ممن يكثر من يحدث بما يسمع فإن من يكثر تصديق الناس قوله أكثر لاستبعادهم الكذب عليه وربما تكلم الشخص بكلمة لمن يأمنه فتكلم بها فأخرب الديار وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله يقول لا يقدر على كتمان ما يسمع الأمن صح نسبه وأما ولد الزنا فإنه لا يستطيع الكتمان وقد ترك بعض إخوان إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى زيارته زمانا ثم جاءه زائرا فوقع في عرض بعض الناس عنده فقال له إبراهيم والله إن ترك زيارتك لنا غنيمة بغضت إلى أخي وأشغلت قلبي فليتك لم تزرنا في هذا اليوم اهـ وكان منصور بن زاذان رحمه الله تعالى يقول والله إني لفي جهاد مع كل من جالسني حتى يفارقني فإنه لا يكاد يسلم من تبغيض صديقي إلي أو من تبليغ غيبة من اغتابني فيدخل علي الكرب من ذلك وكان شداد بن حكيم رحمه الله تعالى يقول إذا رأيتم حسنات أخيكم أكثر من سيئاته فاذكروه بالمحاسن وتجاوزوا عن مساويه وكان يقول من أبغض يقول الناس وأحب يقول الناس أصبح نادما على ما فعل فإنه قل أن يقع التعديل أو التجريح بحق وإنما يقع ذلك بالعصبية وهوى النفس وقد كان خالد بن صفوان رحمه الله تعالى يقول امقتوا النمام وإن كان صادقا لأن النميمة رواية وقبولها إجازة فيصير قبولها شرا منها اهـ فاعلم ذلك يا أخي واحذر من إفشاء سر إخوانك أو غيرهم في هذا الزمان ولا تقل إني لم أقصد تلك فإنك في النصف الثاني من القرن العاشر صاحب الفتن والغرائب والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ الاشتغال بعيوب أنفسهم عن عيوب الناس عملا بقوله وفي أنفسكم أفلا تبصرون وعملا بحديث طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأيضا فإن المطلع على عيوب الناس معدود من جملة الشياطين أي البعداء من رحمة الله تعالى وأهل الله لا يرضون لنفوسهم أن يكونوا كذلك وقد كان زيد القمي رحمه الله تعالى يقول قرأت في بعض الكتب الإلهية يا ابن آدم جعلت لك مخلاتين مخلاة أمامك ومخلاة خلفك فالمخلاة التي خلفك فيها عيوبك والمخلاة التي أمامك فيها عيوب الناس فلو نظرت إلى

وهم مع ذلك راغبون في الرياسة والجاه والرياسة إنما تحصل بأحد أشياء إما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد تركوا أهون الأمرين وبادروا إلى أعظم المهلكات لأن الجاه أعظم من المال ولو ترك أحدهم الجاه وأخذ المال كان إلى السلامة أقرب وهؤلاء مغرورون ظنوا

التي خلفك لتشغلنك من التي أمامك اه وكان رحمه الله يقول يتيقن أحدكم عيوب نفسه ومع ذلك يحبها ويبغض أخاه المسلم على الظن فأين العقل وكان بكر بن عبد الله المزني رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم الرجل موكلا بعيوب الناس فاعلموا انه عدو لله وان الله قد مكر به وكان بشر الحافي رحمه الله تعالى يقول عجبا للناس يقع أحدهم في عرض أخيه وهو غائب فاذا حضر أظهر محبته وسارع الى مدحه فمن زعم أن الله تعالى يحبه وهو يقرض في أعراض الناس فهو كاذب لأنه شيطان والشيطان عدو لله وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول من عقل العاقل أن لا يعير أحدا بذنب فاني ربما عيرت أحدا بذنبه فابتليت بذلك الذنب بعد عشرين سنة وقد بلغنا أن عيسى عليه السلام كان يقول لا تنظروا في عيوب الناس كأنكم أرباب وانظروا في عيوبكم لأنكم عبيد فان الناس رجلان مبتلى ومعافى فارحموا أهل البلاء واشكروا الله على العافية وقد كانت رابعة العدوية رحمها الله تقول ان العبد اذا ذاق محبة الله تعالى أطلعه على مساوى عمله فشغله بها عن مساوى الناس وكان مجاهد رحمه الله تعالى يقول لو بغى جبل على جبل لدك الباغي منهما (قلت) ومما ينبغي التفطن له احتساب العبد بالله تعالى على من ظلمه فانه يهلكه بذلك وان هذا أعظم في هلاكه من مقابلته بالبغي عليه في الظاهر لما تقرر أن هذا ظاهر وذاك باطن والباطن أشد منه في الباطن فينبغي لمن بغى عليه أن لا يحتسب بالله على عدوه بل يسأل الله تعالى أن لا يؤاخذه بسببه والله أعلم وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول رحم الله من أهدى الى عيوبي وكان عبد الله التيمي رحمه الله تعالى يقول لا يعيب الرجل الناس الا بفضل ما عنده من العيب وكان الشعبي رحمه الله تعالى يقول من استقصى عيوب اخوانه بقي بلا صديق فقد بلغنا أن الناس أتوا أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه برجل عليه حد والناس حوله كالجراد فقال علي رضي الله عنه أنشد بالله ان كل شخص أتى منكم هذا الحد فلينصرف فانصرفوا كلهم اه فاحفظ لسانك يا أخي فان من شق جيب الناس شق جيبه واياك أن تنسى نفسك اذا اطلعت على عيب أخيك المسلم بل الواجب عليك أن تحمل ذلك مذكرا لعيبك فان الطينة واحدة وما جاز وقوعه من غيرك جاز وقوعه منك وفي الحديث من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمل ذلك الذنب اه (قلت) واذا أطلعك الله تعالى على عيب أحد من طريق كشفك فاستغفر الله تعالى فانه كشف شيطاني فاعلم ذلك يا أخي واحذره كل الحذر والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) تحسين خلقهم مع جفاة الطباع تخلقا باخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعملا بقوله وخالق الناس بخلق حسن وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ان الرجل ليكون فيه تسعة أخلاق حسنة وواحد سيء فيغلب ذلك الواحد التسعة فاتقوا عثرات اللسان وكان بشر بن عمر رحمه الله تعالى يقول ليس لسيء الخلق الا الهجران وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول مثل السيء الخلق مثل الفخارة المكسورة لا ينتفع بها ولا تعاد طينا وقد كان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول أول من يجني على سيء الخلق سوء خلقه فانه يعذب نفس صاحبه كما هو مشاهد وقد سئل مرة عن حسن الخلق المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم وخالق الناس بخلق حسن فقال هو السخاء والعفو والاحتمال وقد سئل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن ذلك أيضا فقال هو موافقة الناس في كل شيء ما عدا المعاصي وكان يقول من كثر همه سقم بدنه ومن قل ورعه مات قلبه وكان أبو حازم رحمه الله يقول ان من سوء خلق الرجل أن يدخل على أهله وهم في سرور يضحكون فيتفرقون خوفا منه ومن سوء خلقه أيضا هروب الهرة منه وصعود كلبه الحائط خوفا منه وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول من خطب امرأة وهو يعلم من نفسه سوء الخلق فليعلمها بذلك والا غشها انتهى وسيأتي بسط ذلك مفرقا في هذا الكتاب فانه كله محاسن أخلاق فلا يصح لأحد التقليد بحسن الخلق الا ان تخلق بها جميعا وذلك عزيز جدا ولا يخرج من الغش الآن اتهم نفسه بسوء الخلق ثم انه يقبح على من زعم انه من الدعاة

أنهم من الزهاد في الدنيا وهم لم يعلموا معنى الدنيا وربما يقدم الاغنياء على الفقراء ومنهم من يعجب بعلمه ومنهم من يؤثر الخلوة والعزلة وهو عن شروطها خال ومنهم من يعطى له المال فلا يأخذه خيفة أن يقال بطل زهده وهو راغب في المال والناس خائف من ذمهم

الى الله أن يكون خلقه شيئا يخاف الناس من شره كما أنه يقبح على جماعته فقد قالوا من علامة المنافق أن يتركه الناس إتقاء فحشه وفي الحديث مرفوعا شر الناس من تركه الناس إتقاء فحشه فاعلم ذلك وإياك وسوء الخلق والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم ﴾ كثرة الفتوة والمروءة تخلقا بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاق الصحابة والتابعين والعلماء العاملين رضي الله تعالى عنهم أجمعين فانه لا خير فيمن لا فتوة عنده ولا مروءة ولو كان على عبادة الثقلين وقد سئل الحسن البصري رحمه الله تعالى عن المروءة فقال هي ترك ما يعاب به عند الله وعند خلقه وقد أجمع السلف على وجوب المروءة والفتوة في طريق القوم وأن تركهما من أخلاق المنافقين وفي الحديث وسيأتي على الناس زمان تقصر فيه المروءة وتدق فيه الأخلاق ويستغني فيه الرجال بالرجال والنساء بالنساء واذا وجد ذلك فلينتظروا العذاب صباحا ومساء وقد سئل عمرو بن العاص رضي الله عنه عن المروءة ما هي فقال هي عرفان الحق وتعاهد الاخوان بالبر وكان السري السقطي رحمه الله تعالى يقول المروءة هي صيانة النفس عن الأدناس وعن كل شيء يشين العبد بين الناس وانصاف الناس في جميع المعاملات فمن زاد على ذلك فهو متفضل وكان ربيعة رضي الله عنه يقول المروءة في السفر هي بذل الرجل الزاد وقلة خلافه على الاخوان وعدم المزاح معهم وكان بعضهم يقول ليس من المروءة أن يربح التاجر على صديقه (قلت) بل المروءة في التاجر رضاه بالربح اليسير لا ترك الربح بالكلية لان موضع التجارة إنما هو للربح دنيا وأخرى فيأخذ من صديقه الربح اليسير الذي لا يرضى به غيره من التجار الأجانب أي لا يقنع به فإن من باع بغير ربح افتقر وركبه الدين والله تعالى أعلم وقد سئل أبو عبد الله محمد بن عراق رحمه الله تعالى عن المروءة ما هي فقال هي أن لا تفعل فعلا تستحي من ظهوره في الدنيا والآخرة وكان أبو هريرة رضي الله عنه اذا سئل عن المروءة يقول هي الغداء والعشاء في أفنية الدور لا في داخلها وقد كتب الحسن بن كيسان رحمه الله على باب داره رحم الله من دخل فأكل وكان السلف اذا استعار أحدهم قدرا يطبخ فيه ردها ملآنة طعاما وربما ملأها صاحبها طعاما ثم أعارها لمن طلبها ويقول كرهت أن أعيرها لأخي فارغة وقد سئل الأصمعي رحمه الله تعالى عن المروءة فقال هي طعام موضوع ولسان حلو ومال مبذول وعفاف معروف وأذى مكفوف اهـ فاعلم ذلك يا أخي فقد سمعت مقال سلفك عن المروءة فاعمل عليه وكن يا أخي متشبها بأهل المروآت ان لم تكن منهم حقيقة والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم ﴾ كثرة السخاء والجود وبذل المال ومواساة الاخوان في حال سفرهم وفي حال اقامتهم فانه بذلك يقع التعاضد في نصرة الدين الذي هو مقصودهم وفي الحديث اذا كان أغنياؤكم سمحاءكم وأمراؤكم خياركم وأمركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها واذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها وروى أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله شيئا فأمر له بأربعين شاة فرجع الرجل الى قومه وقال يا قوم أسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر وقد زوج الحسين بن علي رضي الله عنهما امرأة فبعث معها بمائة جارية مع كل جارية ألف درهم قال ودخل عبد الله بن أبي بكرة الصحابي رضي الله عنه يوما مجلسا ففسح له رجل في المجلس فلما أراد القيام قال لذلك الرجل ألحقني الى منزلي فلحقه فأمر له بعشرة آلاف درهم رحمه الله وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يشترط على من يريد أن يصحبه في السفر أن يكون عبد الله هو الذي ينفق عليه وأن يكون خادما ومؤذنا وقد كانت عائشة رضي الله عنها تقول الجنة دار الاسخياء والنار دار البخلاء وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول علامة الكريم أن يكون شيبة في مقدم رأسه ولحيته وعلامة اللئيم أن يكون شيبة في قفاه وأن لا ينفع غيره بشيء الا رغبة أو رهبة وقد كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول عجبا للرجل اللئيم يبخل بالدنيا على أصدقائه ويسخى بالجنة لأعدائه وكان امامنا الشافعي رضي الله عنه يقول من علامة اللئيم أنه اذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه وتكبر

ومنهم من شدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة مثلا ألف ركعة ويختم القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات وربما يظن أن العبادات الظاهرة ترجح بها كفة الحسنات وهيهات ذرة من

على أهل الفضل والشرف وكان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يتهادون بالفضة في الأطباق كالفاكهة اه وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول عجبت ممن يبقى معه مال وهو يسمع قوله سبحانه وتعالى إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم (قلت) ومتى كان سبب توقف العبد في الانفاق في وجوه الخير التي أمر الله تعالى بها عدم تصديقه بما وعده الله به من الأجر وتضعيف الثواب فلا ينفعه عمل ولو صار أمثال الجبال لانه بناء على غير أساس إذ من كمال المؤمن الكامل أن لا يتخلف عن مأمور وتأمل يا أخي لو جلس انسان وبين يديه زنبيل ملآن ذهبا وقال كل من أعطى فقيرا درهما أعطيته دينارا كيف يبادر الناس ويسارعون الى بذل الدراهم للفقراء بخلاف ما لو وعدهم بالدينار بعد سنة مثلا فانه لا يجيبه الا القليل منهم وذلك لضعف تصديقهم له ولو أن ايمانهم كان كاملا لأجابوه كلهم إذ من شرط كامل الايمان أن يكون ما وعده به الشارع غيبا كالحاضر عنده على حد سواء ومن هنا تقدم من تقدم وتأخر من تأخر اه والله أعلم وقد سئل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن العاقل من هو فقال من يكنز ماله في مكان لا يأكله السوس ولا تصل اليه اللصوص يعني في السماء وقد كان كسرى يقول إن المال ما أمسكته فاذا أنفقته كان لك قال ودخل شخص البصرة فقال من سيد هذا المصر فقيل له الحسن بن أبي الحسن البصري قال وبم سادهم قالوا لانه استغنى عما بأيديهم من الدنيا واحتاجوا لما عنده من العلم والدين فقال الرجل بخ بخ بهذا يسودهم بلا شك وقد أوحى الله الى موسى عليه الصلاة والسلام اني لأشكو اليك من عبادي من أربعة أشياء استقرضتهم مما أعطيتهم فبخلوا وحذرتهم من ابليس فلم يحذروا ووعدتهم الى الجنة فلم يجيبوا وخوفتهم من النار فلم يخافوا واجتهدوا في أعمالها وقد جاءت امرأة يوما الى الامام الليث ابن سعد رضي الله عنه بإناء صغير تطلب منه فيه عسلا وقالت ان زوجي مريض قال فأمر لها الامام براوية ملآنة عسلا فقيل له انها طلبت قدحا صغيرا فقال انما طلبت على قدرها ونحن نعطيها على قدرنا وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول عجبا لك يا ابن آدم تنفق في شهواتك اسرافا وبدارا وتبخل في مرضاة ربك بدرهم ستعلم يا لكع مقامك عنده غدا وكان يقول أعطوا الشعراء وذوي اللسان فان من لم يبال بالشكاية فيه فقد نادى على نفسه بالدناءة وقلة المروءة وكان يقول اياك أن تطلب حاجة من بخيل فان من طلب منه حاجة فهو كمن يطلب صيد السمك من البراري والقفار وكان أبو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى لا يمنع قط أحدا سأله شيئا ويقول أتخلق بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) ومن أسماء الله تعالى المانع فيمنع سبحانه وتعالى من سأله حاجة لحكمة لا لبخل تعالى الله عن ذلك فما نقل عن بعض الأكابر أنه منع السائل فهو لحكمة لا لبخل تخلقا بأخلاق الله عز وجل وقد بعث معاوية الى عائشة رضي الله عنهما يوما بمائة ألف درهم ففرقتها في وقتها ولم تبق لها عشاء ليلة وقد فرق طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه مائة ألف درهم وهو جالس يخيط في طرف ردائه ويرقعه وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول ما رأيت بعد النبي صلى الله عليه وسلم أجود من معاوية رضي الله عنه لقي الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال مرحبا بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر له بثلثمائة ألف درهم ثم لقي عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما فأمر له بمائة ألف درهم وكان حماد بن سلمة رحمه الله تعالى يدعو على سماطه في كل ليلة من شهر رمضان خمسين رجلا يفطرون معه فاذا كان يوم العيد كسا كل واحد منهم ثوبا وأعطاه مائة درهم وكان يعطي معلم ولده القرآن كل شهر ثلاثين دينارا وقد انقطع زر ثوبه مرة فأصلحه له الخياط فأعطاه ثلاثين درهما واعتذر اليه وكان رحمه الله يقول لولا سؤال المحتاجين لي ما تجرت في شيء أبدا وكان رحمه الله تعالى اذا رأى امرأة جميلة تسأل الناس يكرمها ويعطيها الدراهم والثياب ويقول انما أفعل ذلك ليرغب الناس في تزويجها خوفا عليها من الفتنة وكان عبد الله بن أبي بكرة رضي الله عنهما ينفق على جيرانه أربعين دارا من كل جانب ويفطر على الكسرة وكان يبعث اليهم بالأضاحي والكسوة في الأعياد وكان يعتق كل سنة في عيد الفطر مائة مملوك وكان عبد الله بن أبي ربيعة رحمه الله تعالى اذا حجمه عبد من عبيده أعتقه

واذا

ذي تقوى وخلق واحد من خلق الأكياس خير وأفضل من أمثال الجبال عملا بالجوارح ثم قد يغتر بقول من يقول له إنك من أوتاد الأرض أو من أولياء الله وأحبابه فيفرح بذلك ويظهر له تزكية نفسه ولو شتم يوما واحدا مرتين أو ثلاثا الكفر وجاهد من فعل ذلك به وربما قال لمن سبه لا يغفر الله لك أبدا

واذا كان لغيره اشتراه من مولاه وأعتقه ولما مرض الامام عبد الله بن لهيعة زاره الامام الليث رحمهما الله تعالى فرآه يبكي فقال له ما يبكيك يا عبد الله قال على ألف دينار دينا قال فأرسل الامام خادمه فأتاه بها وأوفى عنه الدين وقد دعي عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما الى وليمة فلم يحضر لعائق حصل له فأرسل الى صاحب الوليمة خمسمائة دينار واعتذر اليه وسأله أن يسامحه في عدم الحضور وجاء رجل الى سعيد بن العاص رضي الله عنه يسأله شيئا فأمر له بخمسمائة وأطلق فقال الغلام مستفهما من سيده دنانير أو دراهم فقال سعيد انما أردت الا الدراهم ولكن حينما ترددت أنت في ذلك فصيرها له دنانير قال فجلس الرجل يبكي فقال له سعيد ما يبكيك فقال أبكي على مثلك ينزل تحت الأرض ويأكله التراب وكان سعد بن عبادة رضي الله عنه يقول اللهم ارزقني مالا أجود به فانه لا يصلح الفعال الا المال ثم ينشد قوله

أرى نفسي تتوق الى فعال * فيقصر دون مبلغهن مالي
ولا نفسي تطاوعني ببخل * ولا مالي يبلغني فعالي

فاعلم ذلك يا أخي واياك أن تتظاهر بالمشيخة وأنت على خلاف أخلاق القوم في الكرم والسخاء والجود والمواساة وقد كانوا يعطون المال الجزيل ولا يرون لهم فضلا على أحد وكان أحدهم يشق ازاره نصفين ويعطي أخاه نصفه وقد سئل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما حق المسلم على المسلم قال أن لا يشبع ويترك أخاه جائعا ولا يلبس ويترك أخاه عاريا ولا يبخل عليه بالبيضاء والصفراء وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول كيف يبخل أحدكم بديناره ودرهمه على أخيه واذا مات بكى عليه أشد البكاء وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يهدي بعضهم الهدية الى أخيه فيهديها الآخر الى أخيه فلا تزال تلك الهدية تدور بينهم حتى ترجع الى مهديها الأول اه مع أن كلا منهم محتاج اليه ولكن كانوا يؤثرون على أنفسهم وكان أحدهم اذا تزوج وهو فقير يعطون عنه المهر ويعطونه قوت سنة ادخالا للسرور عليه ودفعا لما لعله يقع فيه من الاهتمام بأمر المعيشة كما هو الغالب على من يتزوج وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما لا يرد سائلا قط وسأله مرة شخص فأمر له بعشرة آلاف دينار فقال له الرجل اني لا أجد ما أحملها فيه فأعطاه طيلسانه وكان بكر بن عبد الله المزني رحمه الله تعالى يقول أرحت أموالي التي ما وصلت به اخواني وأبغضها الي ما خلفته ورائي وقد كانوا اذا أقبل عليهم السائل يفرحون به ويقولون مرحبا بمن جاء يحمل أزوادنا الى الآخرة بغير أجرة ويقل عنا ما يشغلنا عن عبادة ربنا سبحانه وكان يرسل أحدهم الى أخيه الألف دينار ويقول له فرقها على المحتاجين ولا تنسبها الي وقد كان الضحاك رحمه الله تعالى يقول في قوله تعالى انا نراك من المحسنين قال كان احسان يوسف عليه الصلاة والسلام أن كل من مرض في السجن قام عليه وكل من احتاج وسع عليه وكان عليه الصلاة والسلام اذا لم يجد عنده شيئا للفقير يدور على الأبواب يسأل له الناس وقد كان السلف اذا مات لأحدهم خادم يرسلون له خادما يخلفه وكان يقبل ذلك وهو ساكت ولا يرى له فضلا على أخيه وكانوا اذا بلغهم أن على أحد من اخوانهم دينا يوفونه عنه من غير أن يشاوروه عليه وكان المديون اذا علم ذلك يسكت وكأنه أوفاه هو من ماله لما يعلم من طيبة نفس أخيه بذلك وقد كانت معيشة الربيع بن خثيم وابراهيم النخعي وعطاء السلمي رضي الله عنهم من صلة الاخوان ولم يكن لأحدهم زرع ولا ضرع ولا غير ذلك (قلت) وما جاء عن السلف من ذمهم ترك الحرفة والاكل من طعام الناس محمول على من يمن بذلك عليهم أو يطعمهم لأجل دينهم ونحوه وكانوا اذا سألهم أحد من اخوانهم وفاء دين يوفونه عنه ويقولون يا ويلنا قصرنا عن البحث عن حال أخينا حتى أحوجناه الى سؤالنا وقد بلغ ابن المقنع رحمه الله أن جاره عزم على بيع داره لدين عليه فأرسل له ثمن الدار وقال لا تبعها فان نفعنا بها أكثر من نفعك أنت بها طالما جلسنا في ظلها وكان ابراهيم التيمي رحمه الله تعالى يجمع كل قليل جماعة من الفقراء ويجلسهم في المسجد ويقول لهم تعبدوا وأنا أقوم بخدمتكم ومؤنتكم وقد كان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول من طلب مرضاة الاخوان بلا احسان فقد أخطأ الطريق وفي رواية فليصل أهل القبور

(وفرقة أخرى) حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض فترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد لصلاة الفرض لذة ولا خبرا من الله تعالى لشدة حرصه على المبادرة بها في أول الوقت وينسى قوله ﷺ ما تقرب المتقربون

وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول خير المسلمين من أعانهم ونفعهم وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول استكثروا من شيء لا تأكله النار ولا التراب فيقولون ما هو فيقول المعروف فان من لم تنفعك أيام صداقته فلا عليك منه ان قرب أو بعد اه فتأمل يا أخي في نفسك واتبع أقوال سلفك الذين تزعم أنك خلفهم والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) شدة محبتهم لاصطناع المعروف الى الاخوان ومحبة الانبساط اليهم وادخال السرور على بعضهم بعضا وتقديم اخوانهم في ذلك على أنفسهم وكانوا لا يتوقفون على استحقاق اخوانهم لذلك ويقولون ان لم يكن أخونا أهلا للمعروف فنحن من أهله وكان علي رضي الله عنه يقول اصنع المعروف ولو الى من يكفره فانه في الميزان أثقل مما يشكره وكان محمد بن الحنفية رضي الله عنه يقول صنائع المعروف لا يقع ولو وقع لا ينكسر وكان جعفر بن محمد رضي الله عنه يقول انما حرم الله الربا لئلا يتمانع الناس المعروف وكان معمر رحمه الله يقول قد صار المعروف والاحسان اليوم سلما للسوء حتى قال الناس اتق شر من تحسن اليه كل ذلك لخروج الأمور عن موضوعاتها لقرب الساعة وكان يقول من أقبح المعروف أن تحوج السائل الى أن يسأل وهو يخجل منك فلا يجيء معروفك قدر ما قاسى من الحياء وكان الأولى أن تتفقد حال أخيك وترسل اليه ما يحتاج ولا تحوجه الى السؤال وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول نحن لا نعد القرض من المعروف لأن صاحبه يطلب المقابلة وانما المعروف المسامحة للناس في كل ما يطلبونه منك في الدنيا وفي الآخرة وكان السري السقطي رحمه الله تعالى يقول ذهب المعروف وبقيت التجارة يعطي أحدهم لأخيه الشيء لأجل أن يعطيه نظيره وقد كان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول من يكافئ صاحب الهدية فهو من المطففين وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول لا يتم المعروف الا بثلاث خصال تعجيله وتصغيره في عين معطيه واخفاؤه عن الناس وكان المهلب بن أبي صفرة رحمه الله تعالى يقول لأولاده كل فقير رأيتموه يغدو ويروح على بابكم فاعلموا أنه محتاج فأعطوه ولا تحوجوه الى السؤال وكفى بالرواح والغدو مسئلة وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم يدخل دار أخيه وهو غائب فيرى السلة مملوءة فاكهة فيأخذها ويأكل منها ويفرق منها بغير اذن فاذا جاء أخوه وأخبر فرح بذلك وقد كان لمحمد بن سيرين رحمه الله تعالى بغل مربوط في دهليزه فكان كل من احتاج الى ركوبه أخذه وركبه من غير استئذان لما يعلمون من طيب نفسه بذلك وكان عبد الله بن المبارك مع شدة ورعه يكتب من محبرة اخوانه بغير اذن وقد دعي مسلم بن زياد رحمه الله تعالى الى وليمة فأبطأ ثم ذهب فلما رآه صاحب الوليمة قال له انك قد أبطأت وقد أكل الناس الطعام وذهبوا وما بقي شيء فقال له مسلم لعل القصاع قد بقي فيها شيء تلحسه فقال له انا قد غسلناها فقال لعل القدور قد بقي فيها شيء فقال له وقد غسلناها أيضا فقال له لعل كسرة من خبز فقال لم يبق عندنا ولا لقمة واحدة قال فتبسم عند ذلك مسلم ورجع فقالوا له انك لم تتكدر منه ونحن نراك قد تبسمت فقال ان الرجل قد دعانا بنية صالحة وردنا كذلك بنية صالحة فلم نتكدر منه وقد دخل جماعة دار سفيان الثوري رحمه الله تعالى وهو غائب فأخذوا ما يأكلون وجلسوا يأكلون ويتحدثون في صلاح سفيان فبينما هم كذلك اذ أقبل سفيان فوجدهم على تلك الحالة فبكى فقالوا له ما يبكيك قال كيف لا أبكي وقد ذكرتموني بأحوال السلف الصالح وعاملتموني بأخلاق الصالحين ولست منهم وكان بقية بن الوليد رحمه الله يدخل دار صديقه في غيبته ويأخذ القدر من على النار ويضعه على باب الدار فيأكل منه ويفرق على الفقراء والمساكين فاذا جاء أخوه فرح بذلك وقال جزاك الله من أخ صالح خيرا قدمت لنا اليوم معادنا وقد كان جعفر بن محمد رضي الله عنهما يقول بئس الأخ من لا يتحرى أخوه أن يفتح كيسه في غيبته ويأخذ منه ما يحتاج اليه بغير اذنه (قلت) قد يترك أحدهم ذلك لا لما يعلمه من أخيه من البخل بل قياسا على نفسه والله أعلم وكان حامد اللفاف رحمه الله تعالى يقول والله ما كنا نظن أننا نعيش الى زمان صار الأخ اذا أعطى أخاه شيئا يرى له قدرا في قلبه فاذا أظهر أخوك

بأفضل من أداء ما افترضه الله عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان أحدهما يفوت والآخر لا يفوت أو نفلان أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب كان مغرورا ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فان

يحثك فلا تبادر الى تصديقه فان الاخوان الآن فتصلوا واستريبوا الانقلاب واذا قرب لك انسان فكن منه على حذر وقد كان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول من أدخل على اخوانه السرور فهو من الآمنين من عذاب الله تعالى يوم القيامة وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم لا يرى أنه أحق بمتاعه من أخيه الآن كان أحوج الى ذلك من أخيه وكان معن بن زائدة رحمه الله تعالى يقول ما رددت سائلا قط الا وتبين لي أني مخطئ في ذلك وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول انى لأستحي من صاحبي أن يزورني ثلاث مرات ولم أعطه شيئا وكان الزهري رحمه الله يقول ان كان لك الى أخيك حاجة فأته في بيته فان ذلك أقضى للحاجة وقد قال رجل مرة لأويس بن خارجة رحمه الله تعالى انى جئتك في حاجة صغيرة فقال له اطلب لها رجلا صغيرا وكان الحسن بن على رضى الله عنهما اذا سئل في حاجة يبادر اليها ويقول انى أخاف أن أبطئ بها فيستغنى أخى عنها فيفوتنى الأجر وكان مطرف بن عبد الله رحمه الله تعالى يقول من كان له عندى حاجة فليكتبها في قرطاس ويرسلها الى فانى أكره أن أرى ذل المسئلة في وجه مسلم فان السؤال أرجح من النوال وان جل وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول من المعروف أن ترى المنة لأخيك عليك اذا أخذ منك شيئا لأنه لولا أخذه منك ما حصل لك الثواب وأيضا فانه خصك بالسؤال والرجاء فيك والخير دون غيرك وكان محمد بن واسع رحمه الله اذا سأل أحد حاجة يقول قد رفعنا أمرها الى الله فان قضاها على يديك حمدنا الله وشكرناك وان لم يقضها على يديك حمدنا الله تعالى وعذرناك وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول اذا كان لك عند أحد حاجة فاجعل رسولك الهدية فقد كانت عائشة رضى الله عنها تقول مفتاح قضاء الحاجة الهدية وكان عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما يقول لا تطلبوا من أحد حاجة بالليل فان الحياء في العينين وكان رضى الله عنه يقول من بات يتقلب على فراشه اذا نزل بى بلاء أو هم أو غم فلا أقدر على مكافأته لأنه جعلنى لحاجته عند ربه عز وجل وكان عطاء رحمه الله تعالى يقول انى لأسمع الحديث من الرجل وأكون أعرفه قبل ذلك وسمعته مرارا فأصغى اليه اصغاء من لم يسمعه قط الا منه وذلك خوفا أن يخجل اذا سابقته اليه وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول لكل داخل دهشة فتلقوه بالترحيب وابدؤه بالتحية وفي الحديث لا تنزلوا حوائجكم بمن لا يشتهي قضاءها وكان الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى لا يعطى السائل كسرة ولا شيئا مكسورا ولا ثوبا خلقا ويقول أستحي أن تقرأ صحيفتي على الله تعالى وفيها الأشياء التافهة التى أعطيتها لأجله انتهى فاعلم ذلك يا أخى وفتش نفسك هل أنت على قدم سلفك فيما سمعته أم خالفت وإياك أن تدعى أنك من الصالحين والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ عدم مبادرتهم الى المؤاخاة في الله تعالى بل يتربص أحدهم في ذلك السنة وأكثر أدبا مع الله تعالى أن يؤاخى أو يصادق أحدا من غير معرفته بالوفاء بحقوقه وتنزيله منزلة نفسه في أمور الدنيا والآخرة وهذا الخلق يخل به كثير من الناس فيبادرون الى مؤاخاة من طلب منهم ذلك ومصادقته ثم بعد مدة يتصارمان وقد قالوا فساد الانتهاء من فساد الابتداء وفي الحديث لا يتواد اثنان فيفرق بينهما الا بذنب يحدثه أحدهما رواه الامام أحمد رضى الله عنه وفي الحديث أيضا سيكون في آخر الزمان قوم اخوان العلانية أعداء السريرة قالوا يا رسول الله فكيف ذلك قال يتواخون رغبة ورهبة وقد كان أنس بن مالك رضى الله عنه يقول كان رسول الله ﷺ يؤاخى بين أصحابه رضى الله عنهم فتطول على أحدهم الليلة حتى يلقى صاحبه وقد كانت العامة اذا غاب أحدهم عن أخيه ثلاثة أيام يوبخ كل واحد منهم نفسه وكان حبيب بن أبى ثابت رحمه الله تعالى يقول لا تؤاخى أحدا الآن كنت لا تكتم عنه سرا والا فهو يجنى منك وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يواسون بعضهم بعضا ولا يسألون عن كون أخيهم محتاجا الى ما يواسونه به أم لا ونراهم اليوم يسألون عن أحوال بعضهم لا يسمح أحدهم أن يعطى أخاه درهما وكان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول اذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في الدنيا واكثر من مواساته من غير طلب عوض منه على ذلك لتدوم لك محبته وكان سفيان الثورى

المعصية ظاهرة: وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفايات التى لاقائم بها(١) على ماقام بها غيره وتقديم الأهم من فروض الأعيان على مادونه وتقديم مايفوت مثل تقديم حق الوالدة على

(١) هنا الكلام غير مستقيم فليتأمل اه

رحمه الله تعالى يقول لا ينبغي لأحد أن يقول لأخيه إني أحبك في الله إلا بعد أن يعرض على نفسه أنه لو منعه شيئا
طلبه منه ولو طلاق زوجته ليتزوج بها وقد سئل عن الأخوة في الله فقال تلك طريق نبت فيها الشوك
فلا أحد يسلكها وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول من لم يشق عليه الذباب اذا نزل على بدن أخيه فليس
بأخ وقد كان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول كلما كثر الأخلاء كثر الغرماء يوم القيامة ومن لم يواس
إخوانه بكل ما يقدر عليه نقصوا من محبته بقدر ما نقص من مواساتهم والمراد بالغرماء الحقوق وكان
علي بن بكار رحمه الله تعالى يقول ما رأيت في زماني أحدا قام بحق الاخوة مثل ابراهيم بن أدهم رحمه الله
تعالى كان يقسم الدرهم والتمرة والزبيبة بينه وبين أخيه وان غاب حفظها له حتى يحضر وقد قيل لميمون
ابن مهران رحمه الله ما نراك لا يفارقك الأصدقاء فقال لأني كلما رأيت أخي يحب شيئا أعطيته اياه ولا أميز
نفسي عليه وكان امامنا الشافعي رضي الله عنه يقول ليس بأخيك من احتجت الى مداراته والاعتذار اليه
وقد مات ولد ليونس بن عبيد رحمه الله تعالى فلم يعزه ابن عوف فقيل له ان فلانا لم يعزك في ولدك فقال انا اذا
وثقنا بمودة أحد لا يضرنا أن لا يأتينا وكان حامد اللفاف رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم
يحسنون الى أعدائهم ونراهم اليوم لا يحسنون ولا لأصدقائهم وكان الأعمش رحمه الله تعالى يقول لقد
أدركنا الناس وأحدهم يمكث الأيام المتوالية لا يلقى أخاه ثم اذا تلاقيا لا يزيد أحدهم الآخر على قوله كيف
أنت كيف حالك ولو أنه سأله شطر ماله لأعطاه اياه ثم صار الناس اليوم لو لقي أحدهم أخاه كل يوم أو كل ساعة
يقول له كيف حالك كيف أنت ويسأله عن كل شيء حتى عن الدجاجة في البيت ولو أنه سأله درهما لم يعطه
اياه وقد قال شخص مرة لبشر الحافي رحمه الله تعالى اني أحبك في الله فقال له ليس ما تقوله حقا وربما كان
حمارك أهم عندك مني في تذكره عند العشاء فكيف تدعي تحبني وقال شخص لبشر بن صالح اني أحبك في
الله فقال له ما حملك على الكذب قال كيف قال تدعي أنك تحبني وبرذعة حمارك أكثر قيمة من عمامتي
وثيابي وقد سئل سفيان بن عيينة رحمه الله عن الأخوة في الله تعالى فقال هي أن تخرج عن جميع مالك كما
خرج الصديق رضي الله عنه عن ماله كله لرسول الله ﷺ وقد سئل بشر الحافي رحمه الله تعالى عن الرجل
يحب الرجل ولكنه ربما منعه بعض منافع الدنيا أهو صادق في محبته قال نعم ولكنه مقصر عن درجة
الكمال وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول من علامة صدق المتحابين في الله عز وجل أن يبادر كل
أحد منهم الى مصالحة صاحبه اذا أغضبه فانا لم نجد قط أحدا يحبو بالي اخوانه ولا يواسيهم كما انا لم نجد قط
عضوا بمسر وراولا آخر يصاغينا وقد قيل لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما بال أحدنا ينظر الى ما خرج منه
في الخلاء فلا يكاد يغض طرفه عنه فقال لأن الملك يقول له انظر الى ما بخلت به على اخوانك الى ماذا صار وكان
مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول قد صارت أخوة الناس في هذا الزمان كمرقة الطباخ طيبة الريح ولا طعم
لها وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول من شرط الصدق في الاخوة أن يكرم الشخص أخاه اذا
افتقر أكثر مما كان يكرمه حال الغنى وذلك لأن الفقر أشرف من الغنى وصاحبه أحق بالاكرام من حيث المقام
لا من حيث حاجة الفقر وكان أبو مطيع رحمه الله يقول لقد أدركنا الناس وهم يتهادون بالمماليك والبراذين
والدور والأطباق من المال فصار وا اليوم يتهادون بالخبز والطعام وعن قريب يترك الناس ذلك ويسمون
سنة السلف بالكلية وقد كان أحدهم يتعهد أولاد أخيه من حين يرجع من جنازته الى حين بلوغهم رشدهم
فصار الناس ينسى أحدهم أولاد أخيه وأهله أصلا وكان ابراهيم التيمي رحمه الله تعالى يقول الرجل بلا
اخوان كاليمين بلا شمال وقد كان أبو معاوية الأسود رحمه الله ينحت الحجارة ويتقوت منها فلما كبر قالوا له
انك قد كبرت وعجزت عن ذلك فقال والله ان نحت الحجارة عندي أهون والذمن سؤال الناس وكان سفيان
الثوري رحمه الله تعالى يحكوم الذهب والفضة بين يديه ويقول لولا هذا لتمندل الناس بنا ولأن أخلف بعدي
ثلاثين ألف دينار أسأل عنها يوم القيامة أحب الي من أن أقف على باب أحد أسأله حاجة وكان ميمون بن

مهران

---

لعله: ولو لا احد ما شهر

الوالد وتقديم نفقة الأبوين على الحج وتقديم الجمعة اذا حضر وقتها على العيد وتقديم الدين على فروض غيره ونحو ذلك وأعظم العبد أن ينفذ ذلك وينتبه له ولكن الغرور في الترتيب دقيق خفي لا يقدر عليه الا العلماء الراسخون في العلم (الصنف الثالث) من المغرورين أرباب الأموال وهم فرق كثيرة

مهران رحمه الله تعالى يقول من كان الناس عنده سواء فليس له صديق ومن لم يسأل عنك بالغدوات وبصلتك
بالعشيات فاعدده من الأموات وكل من لم يمدك اذا مرضت ولم يتحفك اذا احتجت ولم يزرك اذا قصرت عن
زيارته فمن اخوان الطريق ثم ينشد قوله

ألا ذهب التذمم والوفاء * وباد رجاله وبقى الغثاء
وأسلمني الزمان الى أناس * كأنهم الذئاب لهم عواء
اذا ما جئتهم يتواصوني * كأني أجرب الأعضاء داء
أخلاء اذا استغنيت عنهم * وأعداء اذا نزل البلاء
أقول ولا ألام على مقالى * على الاخوان كلهم العفاء

انتهى فاعلم ذلك يا أخى وفتش نفسك وانظر هل عاملت قط اخوانك بهذه المعاملات أم فرطت فى ذلك جهلا وبخلا ولا تدعى أنك من الصالحين قط ولو عملت بأعمالهم فافهم يا أخى ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) إكرام الضيف وخدمته بأنفسهم الا بعذر شرعي ثم لا يرون أنهم كافأوه باطعامه وخدمته على تخصيصه اياهم بالاقامة عندهم واحسانه الظن بهم وعدم اعتقاده فيهم البخل وقد كان رسول الله ﷺ يخدم الضيف بنفسه وكذلك أصحابه وأتباعهم رضى الله عنهم ولما قدم وفد النجاشي عليه ﷺ لم يمكن أحدا يخدمهم غيره ﷺ وقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وأنا أريد أن أكافئهم على ذلك وكان السلف يعدون ليلة الضيف كأنها ليلة عيد لما يحصل لهم من السرور وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول لأن أجمع نفرا من أصحابى على طعامى أحب الى من عتق رقبة وكان أنس بن مالك رضى الله عنه يقول زكاة الدار أن يجعل فيها بيت للضيافة وكان بكر بن عبد الله المزنى رحمه الله تعالى يطعم الضيف ثم يكسوه اذا أراد الانصراف ويقول ان فضل اجابته الى طعامي أعظم مما صنعت أنا معه وقد كانت كنية ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أبا الضيفان لكونه كان يذهب الميلين الى الضيف ليأتى به الى منزله وقد كانت عائشة رضى الله عنها تقول ليس من الشرف التبسط للضيف فى الطعام وقد كان مجاهد رحمه الله تعالى يقول فى قوله تعالى ضيف ابراهيم المكرمين انما كانوا مكرمين لان الخليل عليه الصلاة والسلام خدمهم بنفسه وكان عبد الواحد بن أبى ليلى رحمه الله تعالى لا يدخل عليه أحد الا أطعمه وسقاه ثم اعتذر اليه أى اعترافا بأنه مقصر فى حقه (قلت) وممن أدركناه على هذا القدم سيدى الشيخ محمد بن عنان والشيخ أبو الحسن الغمرى والشيخ عبد الحليم بن مصلح والشيخ محمد الشناوى والشيخ أبو بكر الحديدى وجماعة رضى الله عنهم أجمعين وكانوا لا يتكلفون للضيف خوفا أن يضجروا منه اذا أتاهم مرة أخرى ويقولون من كان يطعم ضيفه ما يجد فلا يبالى به أى وقد جاء وقد سئل عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى عن مناولة الضيوف الطعام لغيرهم فقال ان كان لبعضهم فلا بأس وأما لاجنبي فلا وكان بكر بن عبد الله المزنى رحمه الله تعالى يقول من دعى الى طعام فذهب معه بآخر استحق لطمة فان قيل له اجلس ههنا فقال بل ههنا استحق لطمتين فان قال لصاحب الدار ألا تأكل معنا استحق ثلاث لطمات أى لأن ما فعله فى الثلاث خصال فضول منه اه وكان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى يجتهد أن يطعم الضيف من شئ لم يكن عنده ذلك الضيف ولا فى بلده قال خالد بن دينار رحمه الله دخلت على محمد بن سيرين رحمه الله تعالى ومعي رفقة فأخرج الينا شهدا وقال أظن أن مثل هذا ليس هو عندكم فلنا نعم وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول من أطعم ولم يتمر أى لم يطعم الضيف تمرا أو شيئا حلوا كان كمن صلى العشاء ولم يوتر واعلم أن الواجب على المضيف أن يطعم الضيف من الحلال وأن يعلمه بمواقيت الصلاة ولا يقصر عما قدر عليه من الدسم وحسن المطعم وأن الواجب على الضيف أن يجلس حيث أجلسوه وأن يرضى بما اليه قدموه وأن لا يخرج حتى يستأذن وكان أوس بن خارجة يقول ما دعوت قط نفرا الى طعامى وأكلوه الا ورأيت الفضل والمنة لهم على أكثر من منتى عليهم وكان حامد اللفاف رحمه الله تعالى يقول من علامة المتفضل فى الزهد أنه اذا استضافه أحد تذكر له سخاء ابراهيم عليه الصلاة والسلام واذا أضاف هو

فرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر والصهاريج للماء وما يظهر للناس ويكتبون أسماءهم بالآجر عليه ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت آثارهم وهم يظنون أنهم استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين أحدهما أنهم اكتسبوها من الظلم

أحداً يذكره زهد عيسى عليه الصلاة والسلام وقد كان الأصمعي رحمه الله تعالى يقول اذا استضافك بخيل فبادر اليه وعلمه الكرم ولا تأكل له طعاما واياك أن تنسى دابتك من العلف فانه ربما فرط في عشائها وكان يقول ما استضفت عند بخيل الا وصاحت دابتي جوعا واستغنيت عن الخلاء وأمنت من التخمة اه قلت وقد أنشد في شيخ الاسلام كمال الدين الطويل رحمه الله تعالى أبياتا في التبخيل وهي قوله

وإذا أردت أخاه ۞ فارفع عينك من طعامه ۞ فالموت أهون عنده
من مضغ ضيف والتقامه ۞ سيان كسر رغيفه ۞ أو كسر شيء من عظامه
وإذا مررت ببابه ۞ فاحفظ رغيفك من غلامه ۞

انتهى فاعلم ذلك يا أخي وفتش نفسك هل تخلقت بتلك الاخلاق أم فرطت فيها وقلت ان اطعام الطعام ليس هو من طريقتنا ولا طريقة شيخنا كما يقع في ذلك بعض من ادعى الطريق بغير صدق ويقول ان كل فقير يجعل له سماطا فكأنه جعل مكانه مناخا للبطالين فاحذر يا أخي من ذلك فقد ورد في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم ما جبل ولي الله تعالى الا على السخاء وحسن الخلق (قلت) ولا أعلم الآن أحدا من اخواننا في مصر أكرم من الشيخ سليمان الخضيري والشيخ جمال الدين خليفة الشيخ شاهين كثر الله في المسلمين من أمثالهما ونفعنا بركتهما وزادهما من فضله والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم ﴾ عدم الاجابة الى طعام من في ماله شبهة من أمير ومباشر وقاض وكاشف وشيخ عرب وشيخ بلد وتاجر يبيع على الظلمة وأضرابهم وكثرة تعففهم عما في أيدي الناس من الحلال واعلم أن من علامة الشبهة في الطعام ان ينوع الانسان الاطعمة لانه لو تبع الحل لما وجد شيئا من الحلال ينوع به الطعام ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أكل طعام المتبادرين يعني المتفاخرين وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول لا تأكل الا من طعام التقي النقي ولا تطعم طعامك الا للتقي النقي وكان رضي الله عنه لا يجيب الى وليمة الآن وثق بدين صاحبها وتوقف شديدا وكان أبو مسعود البدري رضي الله عنه لا يجيب الى وليمة الا ان علم أن لا يكون هناك شيء نهى الله عنه وقد كان أبو أيوب الانصاري رضي الله عنه اذا ذهب الى وليمة ورأى في البيت سترا رجع ويقول لا يستر البيوت الا الاكاسرة والجبابرة ونحن لا نأكل لهؤلاء طعاما وقد دعي حذيفة رضي الله عنه الى وليمة فرأى هناك شيئا من زي العجم فرجع مسرعا وقال من تشبه بقوم فهو منهم ومن رضي بفعل قوم فهو شريكهم وكان محمد بن سلام السكندري رحمه الله تعالى يقول قد ذهبت السنة في الولائم ان الجفان كانت تملأ طعاما ويغدى بها الى المسجد فيأكل منها كل من كان حاضرا من غني وفقير وشريف ووضيع وكان صاحب الوليمة اذا خص الاغنياء بالدعوة لا يأكل الناس له طعاما ويقولون انه شر الطعام وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ان الرجل ليكون له موقع من قلبي فاذا رأيته توسع في الطعام سقط من عيني لقلة ورعه وقد قال لقمان عليه السلام لابنه يا بني اياك وحضور الولائم فانها تذكرك بالدنيا وشهواتها اه وكان أيوب السختياني رحمه الله تعالى يقول لا يكمل الرجل حتى يكون فيه خصلتان التعفف عما في أيدي الناس وتحمل الاذى منهم وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى اذا دعي الى وليمة ورأى هناك أحدا من ولاة الجور رجع مسرعا وقال أنا لا أجالس الجبابرة وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول هؤلاء أكلة الحمية هضم الطعام وهؤلاء أكلة العدو تتخمه وكان شقيق ابن ابراهيم رحمه الله تعالى يقول لم يبق في هذا الزمان وليمة على وفق السنة ولقد ندمت على اجابتي الولائم وكان الثوري رحمه الله تعالى يقول لاصحابه عليكم بعدم حضور الولائم ما أمكن الآن كانت سالمة من البدعة فانه ما أكل رجل قط من قصعة رجل الا ذل له وقد كان أمير المؤمنين عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما لا يجيبان الى حضور الولائم ويقولان نخاف أن يكون الطعام مباهاة وتفاخرا وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول نهينا أن نجيب الى طعام من أظهر لنا أمارات الرياء والسمعة في طعامه أو كان في بيته ستور

والشبهات والرشا والجاهات المحظورة فهؤلاء قد تعرضوا لسخط الله في كسبها فاذا عصوا الله في كسبها فالواجب عليهم التوبة ورد الأموال الى أهلها ان كانوا أحياء والى ورثتهم ان لم يبق منهم أحد وان تعرضوا فان لم يبق لهم ورثة فالواجب عليهم أن يصرفوها في أهم المصالح

كستور الكعبة وكان حاتم الأصم رحمه الله تعالى يقول ان مذمة الناس للشخص فى هذا الزمان مدحة له لانهم لا يذمونه الا بما لا تهواه نفوسهم وكان موسى بن طلحة رضى الله عنهما يقول أرسل الى عبد الملك بن مروان بثلاث بدر فضة وأرسل يقول فرقها على الفقراء فأجبته الى ذلك ثم أرسلت منها شيئا الى أبى رزين العقيلى وكان مجهودا رحمه الله تعالى فكأنى ألقيت عليه العقارب فردها وبات طاويا وقد أرسل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه بمال الى أبى ذر رضى الله عنه مع عبد له وقال له ان قبله منك فأنت حر فلما ذهب اليه العبد بالمال لم يقبله فقال له العبد ياسيدى ان قبولك له فيه عتقى فقال له أبو ذر رضى الله عنه ان كان فيه عتقك فان فيه رقى آه فاعلم ذلك وفتش نفسك هل تعففت قط كما تعفف هؤلاء أم كنت كلما دعيت اليه قلت الأصل الحل وأتلفت نفسك ومن تبعك ممن يقول لولا أن ذلك حلال ما أكل منه سيدى الشيخ واياك ودعوى الصلاح وأنت لم تتعفف والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ✱ كثرة الصدقة بكل مافضل عن حاجتهم ليلا ونهارا سرا وجهارا ومن لم يجد منهم شيئا من المال والطعام مثلا تصدق بكف أذاه عن الناس وتحمل هو أذاهم وقد كانت صدقات الفقراء فى الزمن الماضى أكثر من صدقات الأغنياء لعدم ادخارهم المال والطعام بخلاف الأغنياء ولا شك أن الفقراء أطيب نفسا بالصدقة من الأغنياء لكمال ايمانهم ويقينهم وعدم بخلهم بالمال على المحتاجين وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لأجل أن يعودوا به على أولى الحاجة منا وقد كان بعضهم يرسل الى أخيه الرغيف أو التمرة أو النعل مثلا ويقول له انا نعلم غناك عن مثل ذلك وانما أردنا أن نعلمك أنك على بال منا وكان عبد العزيز بن عمير رحمه الله يقول الصلاة توصلك الى نصف الطريق والصوم يوصلك الى باب الملك والصدقة تدخلك الى الملك وكان رحمه الله تعالى يقول الأموال عندنا ودائع للمكارم وكان ابراهيم بن يوسف رحمه الله تعالى يجمع الأموال ويقول انما جمع ذلك لبطون جائعة وظهور عارية ولم أجمعه للماء والطين وقد طلبوا منه شيئا لعمارة مسجد فأبى ولم يعطهم شيئا وقال الجائع أحق وقال لقمان عليه السلام لابنه يابنى اذا أخطأت فتصدق ولو برغيف وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول من لم يتسكرم بماله فتركه جمع المال أولى وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لا يتصدق أحدكم الآن كسبه الطيب ومن تصدق على فقير من كسب خبيث ليرحم ذلك الفقير فهو مغرور ورحمته من ظلمه أولى باعطائه مما أخذه منه وكان مجاهد رحمه الله تعالى يقول لا يقبل الله تعالى صدقة من تعدى بصدقته رحمة المحتاج وقد كان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى لا يخرج صدقة فطره الا مغربلة مطيبة وكان ابراهيم النخعى رحمه الله يقول اذا كان مشهد العبد أن جميع مايتصدق به انما هو ملك لله تعالى فلا عليه ولا يضره اذا كان فيه عيب وكان عروة بن الزبير رحمه الله تعالى يقول تخيروا للصدقة فان الله طيب لا يقبل الا طيبا (قلت) ففعل كل رجال مشهد وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول يتزوج أحدكم فلانة بنت فلان بالمال الكثير ولا يتزوج الحور العين بلقمة أو تمرة أو خلقة هذا من العجب وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يتصدق كثيرا بالسكر ويقول انى أحبه وقد قال تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وكان الامام الليث بن سعد رضى الله عنه يقول من أخذ منى صدقة أو هدية فحقه على أعظم من حقى عليه لانه قبل منى قربانى الى الله عزوجل وكان معاذ النسفى رحمه الله تعالى يقول من لم ير نفسه أحوج الى ثواب صدقته من الفقير الى صدقته هو فهو ممن أبطل صدقته بالمن لانه رأى نفسه على الفقير وعند ذلك يضرب بها وجهه وكان حاتم الأصم رحمه الله تعالى يقول من أعطى درهما من مائة درهم ولم يكن هذا الدرهم أعظم وأحب اليه من بقية المائة المدخرة ردت صدقته عليه وضرب بها وجهه وقد كانت عائشة رضى الله عنها تقول لا تحقروا من الصدقة شيئا فان الحبة منها توزن يوم القيامة بمثال الأجر وقد أعطت رضى الله عنها حبة عنب لفقير فردها وكان استقلها فى عينه فقالت له أما تقرأ قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره كم فى هذه العنبة من مثقال ذرة قال فاستغفر

در بما يكون الاهم التفرقة على المساكين لأى فائدة فى بنيان يستغنى عنه و يموت و يتركه وانما غلب على هؤلاء الرياء والشهرة ولذة الذكر والوجه الثانى أنهم يظنون بأنفسهم الاخلاص وقصد الخير فى الانفاق وعلو الأبنية ولو كلف واحد منهم أن ينفق دينارا على

الرجل اه فاعلم ذلك يا أخي وفتش نفسك في ترك تصدقها بما فضل عن حاجتها ولا تعد نفسك من القوم الا ان تبعتهم في أخلاقهم وكان آخر من أدركته من أصحاب هذا المقام سيدي الشيخ محمد الشناوي والشيخ محمد المنير والشيخ عبد الحليم بن مصلح والشيخ محمد بن داود والشيخ محمد العدل وغيرهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين وكل هؤلاء كان ألف دينار عندهم كفلس فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم ﴾ بشاشتهم للسائل وعدم نهرهم له وحملهم له على أنه ما سأل الا لحاجة وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة بيته سبعة أيام وفي الحديث لولا أن بعض المساكين يكذب ما أفلح من رده وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول ان الله ليخول العبد في نعمته وينظر ماذا يصنع فيها مع عباده فان وفاهم ما طلبوا والا حولها عنه فلذلك كان السلف يعزمون على أصحابهم ويشددون عليهم في أنهم لا يردون ما أعطوه لهم وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول أول من انتبه من رقدة الغفلة حبيب العجمي رحمه الله تعالى وذلك أنه اشتهى يوما سمكا فلما أتى به الى منزله ووضعه في القدر جاءه سائل فرده فحول الله تعالى السمك دما فاتعظ بذلك وخرج عن جميع ماله وكان سفيان الثوري رحمه الله ينشرح اذا رأى سائلا على بابه ويقول مرحبا بمن جاء يغسل ذنوبي وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول نعم السائلون يحملون أزوادنا الى الآخرة بغير أجرة حتى يضعوها في الميزان بين يدي الله تعالى وقد كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى قبل زهده في الدنيا اذا جاءه سائل يدخل الى عياله ويقول لهم قد جاءكم رسول المقابر فهل توجهون الى موتاكم شيئا من الصدقة وكان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول جاء سائل في مسجد في زمان بني اسرائيل يسأل فلم يكترث به القوم فمات فجهزوه وصلوا عليه ودفنوه فلما رجعوا الى المسجد وجدوا الكفن موضوعا في المحراب واذا مكتوب عليه هذا الكفن مردود عليكم والرب ساخط عليكم وكان معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه يقول من رضاء الله في أرضه سؤال المساجد أي لسكونهم يسألون الناس في بيته غيره سبحانه وتعالى ويتسببون في مقتهم بعدم اعطائهم ما سألوا منهم وقد قيل للحسن البصري رحمه الله تعالى ان الفقراء والمساكين قد كثروا وهم يسألون نحن نعطي منهم قال أعطوا من وجدتم في قلوبكم رأفة له وقد كان أبو الاسود الدؤلي رحمه الله تعالى يقول لو أطعنا السؤال في أموالنا لكنا أسوأ حالا منهم (قلت) فينبغي للمتصدق أن يبقي لنفسه ولعياله شيئا ولا يتصدق الا بما فضل عن حاجتهم وقد دخل سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم الحرم يوما فرأى هشام بن عبد الملك فقال له سلني حاجتك يا سالم فقال يا أمير المؤمنين اني أستحي أن أسأل في بيت الله أحدا غيره تعالى وكان الحسن البصري اذا جاءه سائل يعطيه ثم يقول اللهم ان هذا يسألنا القوت ونحن نسألك المغفرة وأنت بالمغفرة أجود منا بالعطية وقد دخل سائل يوما على معروف الكرخي رحمه الله تعالى فلم ير عنده ما يعطيه غير نعله فأعطاه اياه ثم بلغ معروفا بعد ذلك أنه باع النعل واشترى بثمنها فاكهة فقال معروف الحمد لله لعله كان يشتهي الفاكهة فواسيناه بثمنها قال ورأى سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم رجلا يسأل يوم عرفة فزجره وقال أما تستحي من الله تعالى تسأل غيره في مثل هذا الموطن ومثل هذا اليوم اه فاعلم ذلك يا أخي وفتش نفسك فيما أعطيته للفقراء في الزمن المتقدم فربما مننت به ولو في نفسك فحبط أجرك وربما نهرت المسكين فكان ما نهرته أرجح مما أعطيته اياه من حيث الأذى فاحذر ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم ﴾ أنهم لا يتخذون من الاخوان الا من علموا من نفوسهم الوفاء بحقه فان أخاك اذا لم توف بحقه كان فارغ القلب منك وقد كان المغيرة بن شعبة رحمه الله تعالى يقول أعطوا أولادكم ما سألوا بالمعروف ولا تكونوا أقفالا عليهم فيتمنوا موتكم ويملوا من حياتكم وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول عليكم بالاخوان فانهم عدة للدنيا والآخرة ألا تسمعون الى قول أهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وفي الحديث ما أحدث عبد أخا في الله الا أحدث الله له درجة في الجنة

مسكين لم تسمح نفسه بذلك لان حب المدح والثناء متمكن في باطنه (وفرقة أخرى) ربما اكتسبوا المال الحلال واجتنبوا الحرام وأنفقوه على المساجد وهم أيضا مغرورون من وجهين أحدهما الرياء وطلب السمعة والثناء فانه ربما يكون في جواره أو بلده فقراء وصرف المال

وكان المهلب بن أبى صفرة رحمه الله تعالى يقول الصديق أعز من السيف الصارم فى يد ومن اللفظ فى كف الرجل فان المودة لا تحتاج الى قرابة والقرابة تحتاج الى المودة ومن حق الاخ الصادق ان لا تفرط فى كثرة سؤاله من حوائجه وتقول ما بينى وبينه شىء من المال ومالى ماله كما يقع فيه كثير من الجهلة اذ من شأن البشر الشح وخوف الفقر الا من شاء الله وتأمل فى العجل وولد البقرة اذا أكثر من مص ثدى أمه حتى أجهدها كيف تنطحه وترفسه وقد كان الامام الشافعى رضى الله عنه يقول لولا محادثة الاخوان فى هذه الدار والتهجد فى الاسحار ما أحببت البقاء بها وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول لا تصاحب فى السفر من هو أوسع منك فى الدنيا فانك ان ساويته أضر بحالك وان نقصت عنه أستذلك بين الناس وكان سلمان الفارسى رضى الله عنه يقول اذا صادقت غنيا فاحذر من سؤاله ان طلبت حفظ مقامك عنده فان المسألة كدوح فى وجه السائل ومن رد ما أعطى له كبر فى قلب المعطى قهرا عليه وقد كان المهلب بن أبى صفرة رحمه الله تعالى يقول ينبغى للعاقل أن يجتنب مؤاخاة ثلاثة الاحمق والكذاب والفاجر فأما الاحمق فانه لا يشير عليك بخير ولا يرجى لصرف سوء ويكون سكوته خيرا من نطقه وبعده خيرا من قربه وأما الكذاب فلا يهنالك معه عيش وينقل خبرك الى غيرك ويغرى بينك وبين الناس العداوة والبغضاء وأما الفاجر فيزين لك فعاله ولا يعينك على شىء من أمور دينك وكان ابراهيم بن زيد العدوى رحمه الله يقول أربعة تفرح القلب التهجد فى السحر والزوجة الجميلة الصالحة والكفاف من الرزق والاخ المؤمن فاعلم ذلك يا أخى وفتش نفسك وانظر هل وفيت بحقوق اخوانك وهل تعففت عن سؤالهم بالحال أو بالقال أو بالتعريض وهل صحبتهم لله تعالى أو لغرض نفسانى فان كل ما لم يكن لله فهو وبال على العبد فى الدنيا والآخرة فطالب نفسك يا أخى بحقوق الاخوان ولا تطالبهم بحقك لا ظاهرا ولا باطنا وقد أنشد امامنا الشافعى رضى الله عنه قوله

صديق ليس ينفع يوم بأس * قريب من عدو فى القياس
ولا يبقى الصديق بكل عصر * ولا الاخوان الا للتآسى
عمرت الناس ملتمسا بجهدى * أخا ثقة فأكداه التماسى
تنكرت البلاد على حتى * كأن أناسها ليسوا بناس

وكان رضى الله عنه كثيرا ما ينشد قوله

وليس كثيرا ألف خل لواحد * وان عدوا واحدا لكثير

وأنشدنى شيخنا شيخ الاسلام زكريا رحمه الله قوله

صاد الصديق وكاف الكيمياء معا * لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا

اه فاعلم ذلك يا أخى وانتبه لنفسك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) ترك معاداتهم للناس وكثرة مداراتهم لهم وعدم مقابلتهم أحدا بسوء فالناس يعادونهم وهم لا يعادون أحدا وقد بلغنا أن داود عليه الصلاة والسلام قال لابنه يا بنى لا تستقل بالعدو الواحد ولا تستكثر أن يكون لك ألف صديق وقد نظم ذلك الامام الشافعى رضى الله عنه وهو قوله المتقدم وليس كثيرا الخ وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول اياك أن تشمت بمصيبة أخيك فان ذلك عنوان العداوة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول من لم يدار الناس لم يجد حلاوة الايمان وقد كان محمد بن الفضل رحمه الله تعالى يجالس أعداءه ويلاطفهم بالكلام الحلو ويعزم عليهم أن يأكلوا عنده فقيل له فى ذلك فقال لتخمد نار عداوتهم وكتب سفيان رحمه الله تعالى على باب داره رحم الله من لا يعرفنا ولا نعرفه فانه لم يأت لنا أذى الا من اخواننا الذين يعرفوننا ونعرفهم وقد قيل لايوب عليه السلام أى شىء كان أضر عليك أيام بلائك فقال شماتة أعدائى وقد أنشد بعضهم فى ذلك يقول

جميع فوائد الدنيا غرور * فلا يبقى لمسرور سرور
فقل للشامتين بنا استعدوا * فان نوائب الدنيا تدور

البهم أهم فان المساجد كثيرة والغرض منها الجامع وحده فيجزى عن غيره وليس الغرض بناء مسجد فى كل سكة وفى كل درب والمساكين والفقراء محتاجون وانما خف عليهم دفع المال فى بناء المساجد لظهور ذلك بين الناس ولما يسمع من الثناء عليه من عند الخلق فيظن أنه يحمل

قال ولما بلغ يزيد بن عبد الملك وهو مريض أن هشاما سر بمرضه وتمنى موته أنشأ يقول

تمنى رجال أن أموت وان أمت * فتلك سبيل لست فيها باوحد
فقل للذي يبغى خلاف الذي مضى * تهيأ لاخرى مثلها فكأن قد

وكذلك بلغنا أن امامنا الشافعى رضى الله عنه قال ذلك لما تمنى الاقران موته وكان محمد بن كدام رحمه الله تعالى يقول لابنه يا بنى عش مع أهل زمانك ولا تقتد بهم ثم يقول وما أشر هذا العيش مع الاحياء والاقتداء بالاموات وكان يقول لا تعادوا أحدا حتى تنظروا الى عمله فان كان عمله حسنا فان الله لا يسلمه اليكم وان كان عمله سيئا فخطاياه تكفيه وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لا تشتر مودة الف رجل بعداوة رجل واحد وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اياك ومعاداة الناس فانى ما خالفت صديقا فى هواه الا وخفت على نفسى منه أن يسعى فى قتلى فان لم يسع فى قتلى يتمنى ظهور عيوبى للناس وكان محمد بن مقاتل رحمه الله تعالى يقول احذر شر من تحسن اليه واعذر أخاك عما تعذر به نفسك ثم يقول

وتعذر نفسك لما أساءت * وغيرك بالعذر لا تعذر
وتبصر فى العين منه القذى * وفى عينك الجذع لا تبصر

اه فاعلم يا أخى ذلك واياك ومعاداة الناس لا سيما الزوالق ومن يحب الانفراد بالصيت فى بلدك فانهم يكدرون عليك العيش ولو كنت من أكابر الاولياء فان الجزء البشرى فيك يحرق ولا ينقطع فقد قالوا من تهاون بمعاداة الناس فهو دليل على نقص عقله وقالوا لو ابتلى أكمل الناس بالعوام ورموه بالزور والبهتان لتكدر عليه قلبه وصار لا يفرق بين الخواطر الربانية والشيطانية وقد رأيت بعض اخواننا تهاون بمعاداة شيخ من مشايخ العصر وكان بعض الامراء يعتقده فكلم الشيخ ذلك الامير فكاتب فيه الى أبواب السلطان فجاء الامر بنفيه من مصر فنفوه فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) كثرة مكاتباتهم الى بعضهم بالنصح اذا بعدت الديار وقبول المنصوح النصح وشكره فضل من نصحه خلاف ما عليه الناس اليوم فلا يكاد ينصح أحد الا ويصير ينظر فى عيوبك ليهجوك بذلك وكان آخر من أدركت من أصحاب هذا المقام سيدى على الكازرونى نزيل مكة المشرفة كان سيدى محمد بن عراق رحمهما الله تعالى يرسل له المكاتبات التى لا تحملها الجبال فيفرح لها ويقول صدق فينا سيدى محمد جزاه الله تعالى عنا من أخ خيرا وكتب الانطاكى رحمه الله تعالى الى بعض أصحابه يقول الى متى ترضى يا أخى تفرح بما يفتنك ويضرك وتحزن على ما ينفعك من نقص الدنيا وحظوظها وكتب حذيفة المرعشى رحمه الله الى يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى يقول له بعد السلام اعلم يا أخى أن من كانت الفضائل أهم عنده من ترك الذنوب فهو مخدوع ومن يحمل القرآن وخالف شيئا مما فيه فقد استهزأ بالقرآن وكتب طاوس الى مكحول رحمهما الله تعالى يقول له بعد السلام احذر يا أخى أن تظن بنفسك أن لك مقاما عظيما عند الله تعالى بما ظهر لك من أعمالك فان من ظن بنفسه ذلك ثم نقلت الى الآخرة صفر اليدين من الخير ورب ما عظمك الناس بسبب أعمالك الصالحة فاستعجلت ثوابها بذلك وكتب الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى الى بعض اخوانه يقول له بعد السلام كن يا أخى وصى نفسك ولا تنتظر أحدا من اخوانك ينهاك على نقصك فان ذلك أمر قد تودع منه والسلام وكتب عبد الله بن زيادة الى بكر بن عبد الله المزنى رحمهما الله تعالى يطلب منه أن يدعو له فكتب اليه بكر يقول له بعد السلام أما بعد يا أخى فاعلم أن الدعاء لا يكون الا ممن لا يقارف الذنوب وأنا قد اقترفت من الذنوب ما لا يحصى عدده الا الله تعالى ووالله انى لاستحى من الله عز وجل أن أدعو لنفسى فكيف لا أستحى أن أدعو لغيرى وكتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى أبى موسى الاشعرى رضى الله عنهما يقول له بعد السلام اياك يا أخى أن تكون مثل البهيمة كلما نظرت الى أرض خضرة رتعت فيها تبتغى السمن بذلك وفى ذلك السمن هلاكها والسلام اه فاعلم ذلك يا أخى وانصح نفسك أولا ثم انصح اخوانك مشافهة ومكاتبة واياك أن تتكدر ممن نصحك فان ذلك أى

فقد وهو يحصل لغير الله
ونيته أعلم بذلك وانما رنبته
عليه غضب وقال انما
قصدت الله عز وجل
والثانى انه يصرف ذلك فى
زخرفة المساجد وتزينها
بالنقوش المنهى عنها
الشاغلة قلوب للمصلين
لانهم ينظرون اليها
فتشغلهم عن الخشوع
فى الصلاة وعن حضور

نسكترك منه من علامة أهل النار والعياذ بالله تعالى والحمد لله رب العالمين

## ﴿الباب الرابع في جملة أخرى من الأخلاق﴾

﴿فمن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ كثرة عزلتهم عن الناس وعدم كثرة مخالطتهم الا لمصلحة شرعية وعلى ذلك درج السلف الصالح فكانوا أكمل يوم لا يجتمع بهم أحد فيه يعدونه يوم عيد فمن أكثر مخالطة الناس فقد خرج عن طريق سلفه وفاته النفع وذلك لأن من كثرت رؤية الناس له هان في عيونهم وسقط عندهم ورأوه كأحدهم في دناءة الأخلاق والغفلة عن الله تعالى (قلت) وما أذكر أنني زرت أحدا من مشايخ هذا العصر وسلم مجلسي معه من الغيبة الا القليل فلذلك أقللت من زيارتهم خوفا على ديني ودينهم لا تساهلا في حقهم فاذا كان هذا الحكم مجالس الأشياخ فكيف بغيرهم فاحفظ نفسك يا أخي كل الحفظ اذا زرت أحدا في هذا الزمان ولا تتهاون بذلك وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول خذوا حظكم من العزلة وكان طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه يقول من أراد أن يقل من معرفة الناس لعيوبه فليلزم بيته فمن خالط الناس سلب دينه ولا يشعر وكان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول وددت أن أغلق باب داري فلا أخرج لأحد حتى أموت وكان الشعبي رحمه الله تعالى يقول لم يجلس الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى في مجلس قومه طول عمره الا مرة واحدة جلس على باب داره فسقط عليه حجر فشج رأسه لا يدري من رماه فقام وقال لقد وعظت يا ربيع ثم لم يخرج من بيته بعد ذلك الا لعصر وروحي حتى مات رحمه الله وكان يقول من يجلس على الطريق فليؤد حقه وذلك برد السلام ونصرة المظلوم والشهادة على الظالم ومعاونة كل من كان في ضرورة وكان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول قل من يطيل مجالسة أخيه الا ويقع من أحدهما ما يكره الآخر فينبغي لكل من الأخوين أن لا يلقى أخاه الا غبا وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول سيأتي على الناس زمان لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا يستقيم لهم الغنى الا بالبطر والبخل ولا يستقيم لهم صحبة الناس الا باتباع الهوى فمن أدرك ذلك الزمان وصبر وحفظ نفسه أعطاه الله تعالى ثواب خمسين صديقا اهـ وكان رضي الله عنه يقول بلغنا أنه لا تكون الراحة للمؤمن في آخر الزمان الا ان كان خامل الذكر بين الناس وقد بلغ الفضيل بن عياض أن ولده علي رحمهما الله تعالى يقول وددت أني بمكان أرى الناس منه ولا يرونني فقال أبوه هلا أتمها فقال لا أراهم ولا يرونني وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول خالطت الناس خمسين سنة الى يومي هذا فما وجدت أحدا منهم غفر لي زلة ولا أقال لي عثرة ولا أمنته على نفسي اذا غضب مني وكان حاتم الأصم رحمه الله تعالى يقول اجعل الناس كالنار فلا تدن منهم الا عند الحاجة واذا دنوت منهم فكن على حذر كما تحذر من النار اذا دنوت منها وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول من خالط الناس فلا بد أن يغربوا عليه قلبه وكان جعفر بن حميد رحمه الله تعالى يقول الحق أنه لا بد لك من الناس ولا بد للناس منك فليكن كل منكما على حذر من الآخر وقد كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله في سفر فلما قدم منه قالوا لسليمان الخواص رحمه الله ألا تأتي ابراهيم فقال أخاف اذا لقيته أن أتزين له بكلام فأهلك وقد كان الحسن بن صالح رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يتحابون من بعيد ويكرهون اللقاء وكان الربيع بن خيثم رحمه الله يقول لا ينبغي لأحد أن يعتزل للعبادة الا بعد التفقه في دينه فقد كان الامام مالك رضي الله عنه يقول تفقه ثم اعتزل يعني عن الناس وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول خير جلوس الرجل في قعر بيته لا يرى ولا يرى وكان سفيان رحمه الله تعالى يقول والله لقد حلت العزلة عن الناس (قلت) يعني وجبت كما في حديث فقد حلت له شفاعتي أي وجبت وكان أبو سفيان يقول اعتزلوا عن الناس جهدكم فانهم سراق العقول وكان أبو بكر الوراق رحمه الله تعالى يقول لا تطمع في الأنس بالله أبدا وأنت تخالط الخلق ولا تطمع في رضا الله تعالى وأنت تخالط الظلمة ولا تطمع في حب الله لك وأنت تحب الدنيا ولا تطمع في لين قلبك وأنت تجفو على اليتيم وكان داود الطائي رحمه الله تعالى يقول لا تصلح العزلة عن الناس الا لمن زهد في الدنيا أما الراغبون فيها فلا فائدة في عزلتهم فمن اعتزل الناس

القلب وهو المقصود من الصلاة فكل ما طرأ في صلاتهم وفي غير صلاتهم فهو في ميزان الذي بناه اذ لا يحل تزيين المسجد بوجه قال الحسين رضي الله عنه لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبني مسجده بالمدينة أتاه جبريل وقال ابنه سبعة أذرع طولا في السماء

ولم يجعل الحق تعالى مؤنسا والقرآن محدثا فقد أخطأ الطريق ولم تصح عزلته وكان سفيان الثوري رحمه الله
تعالى يقول اجعل جلوسك في مكان يكون أخفى لشخصك وأخفض لصوتك وكان مالك بن دينار رحمه الله
تعالى يقول من لم يجالس الحق تعالى والنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فقد خابت عزلته فقيل له كيف
ذلك قال يدرس القرآن بتدبر وينظر في أفعال رسول الله ﷺ وأقواله وأفعال أصحابه رضي الله عنهم
وأقوالهم فمن فعل ذلك فقد حادث الله تعالى وحادث النبي ﷺ وحادث أصحابه رضي الله تعالى عنهم ولما
اعتزل عن الناس داود الطائي رحمه الله لامه أصحابه في ذلك فقال انما فعلت ذلك حين رأيت الصغير لا يوقر
الكبير ورأيت أخي يحصي علي عيوبي ليهجوني بها حال سخطه علي وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى
يقول أقل ما في العزلة عن الناس أن الانسان لا يرى منكرا فينكره وكان بشر بن منصور رحمه الله تعالى يقول
أقلل من معرفة الناس جهدك فانك لا تدري ماذا يقع لك من الفضيحة والعياذ بالله تعالى فيكون من يعرفك
من الناس قليلا وكان أيوب السختياني رحمه الله تعالى يقول ان من العزلة عن الناس اذا خرجت لحاجة أن
تقصد المشي في المواضع القليلة الناس وقد كان لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ولد اسمه عبد الله كان له
سرداب يجلس فيه لا يخرج منه الا في أوقات الصلاة وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول هذا زمان
السكوت ولزوم البيوت والقنع بالقوت الى أن تموت وكان مكحول رحمه الله يقول ان كان في مجالسة الناس
خير فالعزلة عنهم أسلم للدين وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول اجتمعت بأبي حبيب البدري رضي
الله عنه فقال لي يا سفيان ما رأينا خيرا قط الا من الله تعالى فما بالنا نقبل على من لا نرى الخير الا منه وقد رأيت
ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى بالشام فقلت له يا أبا اسحق انك قد تركت خراسان وجلست ههنا فقال نعم
ما هنالي العيش الا ههنا أفر بديني من جبل الى جبل فمن رآني ظن أني ملاح أو جمال أو موسوس وكان
سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم دواء يستشفى بهم فصاروا اليوم داء لا دواء له
وكان حماد بن زيد رحمه الله تعالى يقول زرت مالك بن دينار رحمه الله تعالى فرأيت عنده كلبا يحذائه فأردت
أطرده فقال لي دعه يا حماد فانه خير من جليس السوء الذي يغتاب الناس عندي ولما قدم عبد الله بن المبارك
من البصرة الى بغداد سأل عن محمد بن واسع رحمهما الله تعالى فلم يعرفه أحد فقال عبد الله انه من فضله لم
يعرف وازداد فيه محبة وتعظيما وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول رأيت مرة رجلا معتزلا عن
الناس فقلت له لم لا تخالط الناس فقال لي أنا مشغول عنهم بما هو أهم فقلت له وما هو فقال اني أصبح كل
يوم بين نعمة وبين ذنب فأنا مشغول بالشكر لأجل النعمة وبالاستغفار لأجل الذنب فقلت له أنت أفقه
من الحسن اجلس وحدك يا أخي وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول من سخافة عقل الرجل
كثرة معارفه وقد قيل لابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى ألا تخالط الناس فتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن
المنكر فقال لي عدم لقائهم يسقط عني ذلك وقيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله ألا تجالس الناس
فقال اني لم أتفرغ لهم وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول انما طلبوا العزلة والوحدة لأنها
تورث الانتباه من رقدة الغفلة وتورث كثرة مراقبة الله تعالى بالغيب وما أحد عبد ربه الا أحب أن
لا يشعر به أحد فان استطعت أن تمشي للناس ولا يمشوا لك وتسألهم ولا يسألونك فافعل ووالله اني لألقى الرجل
فلا يسلم علي فأرى الفضل له وكذلك اذا مرضت ولم يعدني وقد دخل عليه رجل مرة مهاجمة فقام وترك له
البيت فقال له الرجل ما بالك يا أبا علي قشعرت مني لماذا فقال له الفضيل وهل تريد الآن تتزين لي وأتزين
لك وأنا والله لا أجد لذة ولا راحة الا اذا كنت وحدي وكان أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه يقول لقد
أدركنا الناس وهم ورق لا شوك فيه وقد صار والآن شوكا لا ورق فيه وكان سفيان بن عيينة رحمه الله
تعالى يقول قال لي سفيان الثوري رحمه الله في حياته وبعد مماته حين رأيته في منامي أقلل من معرفة الناس
جهدك فان التخلص منهم شديد ولا يرى الشخص ما يكره الا ممن يعرفه وقيل مرة لابراهيم بن أدهم رحمه الله

فلا تزخرفه ولا تنقشه فهؤلاء رأوا المنكر معروفا واتكلوا عليه فهم مغرورون في ذلك (وفرقة أخرى) ينفقون الأموال في الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر وافشاء المعروف فيكرهون التصدق في السر ويرون

تعالى ألا تجالس الناس فقال ان الناس قد ذهبوا تحت أطباق الثرى اه فاعلم ذلك يا أخى واعتزل عنهم جهدك فقد سمعت مقالاتهم فى المائة الثانية فكيف بك وأنت فى المائة العاشرة واياك أن يلعب بك ابليس ويقول لك أنت بحمد الله قد وصلت فى المقام الى حد لا يشغلك شىء عن ربك فان ذلك من دسائس ابليس فانك يا أخى بيقين أدون من هؤلاء السلف فى المقام فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ زيادتهم فى التواضع كلما ترقى أحدهم فى المقام عكس حال من قرب الى السراج فان الشخص كلما قرب منه رأى نفسه كبيرا وهؤلاء القوم كلما قربوا من حضرة الله تعالى رأوا أنفسهم أصغر من البعوضة من شهودهم عظمة الله تعالى ولذلك طرد ابليس من الحضرة لما تكبر وقال أنا خير منه فافهم فى كل فقير رأيته يا أخى متكبرا فابعد عنه فانه عدو الله كما قال ابن عباس رضى الله عنهما أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام يا موسى أبغض خلقى الى من تكبر قلبه وغلظ لسانه وبخلت يده وساء خلقه وكان أبو مسلم الخولانى رحمه الله تعالى يقول ما تكبر الا وضيع ولا افتخر الا سقيط ولا تعصب بالباطل الا دنىء الأصل وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول لو اجتمع جميع الخلق على أن يزلونى عن شهود حقارة نفسى لما استطاعوا ذلك وكان أبو أيوب السختيانى رحمه الله تعالى يقول قد طلب قوم الارتفاع فوضعهم الله وأراد قوم الاتضاع فرفعهم الله قال ولما قدم سفيان الثورى رحمه الله تعالى الى الرملة أرسل اليه ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أن ائت الينا حدثنا فقيل لابراهيم ترسل الى مثل سفيان ليأتيك قال نعم أردت أن أرى كم شدة تواضعه ثم جاء سفيان فحدثهم وكان سلمان الخواص رحمه الله تعالى يشبه بابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فى الكرم وفى حسن الخلق وكان عروة بن الزبير رضى الله عنهما يقول عليكم بالتواضع فانه نعمة عظيمة ولا يحسدكم أحد عليها وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول من تكبر بغير حق حرم الفهم فى القرآن ومن اكتسب عزا بغير حق أورثه ذلك ذلا بحق وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول الزاهد بغير تواضع كالشجرة التى لا تثمر ومن لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لا يحبس عن مائدته أجذم ولا أبرص ولا مبتلى بل يأكل معهم وكان يقول رأس التواضع أن ترضى بأدون المجالس لا لحظ نفس فقد يجلس أحدهم عند النعال وهو معه من الكبر ما الله به عليم وما حمله على مجلسه ذلك الا ليقال انه متواضع وكان يقول من علامة تواضعك أن تكره ذكرك بالبر والتقوى بين الناس وكان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول أفضل التواضع أن لا ترى لك فضلا على أحد وترى فضل الناس عليك فتفضل كل من رأيته من أقرانك على نفسك بقلبك وترجو رحمته وتطلب دعوته وتظن أن الله تعالى يدفع عنك البلاء بتوسلك به فهذا هو التواضع الاكبر وقد بلغنا أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان يقول أحق الناس بخدمته للناس العالم وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول لو أن مناديا ينادى بباب المسجد ليخرج شركم رجلا ما سبقنى أحد الى الباب الا أن يكون له فضل قوة على اه وكان حاتم الأصم رحمه الله تعالى يقول لا يخرج الله تعالى المتكبر من الدنيا حتى يريه الهوان من أرذل خدمه وجيرانه ويتمرغ فى بوله وقذره قبل الموت وكان أبو تراب النخشبى رحمه الله تعالى يقول تحقير الفقير هو عين الكبر وكذلك الوقوع فى حق الفقراء من أخلاق الكلاب وقد دخل أبو سلمان يوما على عبد الملك رحمهما الله تعالى فوقف بعيدا فقال له لم وقفت بعيدا يا أبا سلمان فقال لأن أدعى من بعيد أحب الى من أن أدفع من قريب وكان عمر بن عبد العزيز قبل أن يلى الخلافة رحمه الله تعالى يلبس الحلة بألف دينار ويقول ما أجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يلبس الحلة بخمسة دراهم ويقول ما ألينها وأجودها فقيل له فى ذلك فقال ان نفسى كانت تطلب الرفعة فلما وليت الخلافة وهى أرفع مقام عند أهل الدنيا طلبت نفسى ما عند الله تعالى وزهدت فى الدنيا اه قالوا وكان رضى الله عنه لا يسجد على فرش بل على التراب وكان عبد الله الرسمى رحمه الله تعالى يقول لم يفرض الله تعالى الركوع والسجود بالأصالة الا على المتكبرين مثلى ومثل فرعون ونمروذ وأنوشروان وكان يحيى بن

احفاء الفقير لما يأخذه منهم خيانة عليهم وكفرانا للمعروف وربما تركوا جيرانهم جائعين ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما فى آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون لهم السفر ويبسط لهم فى الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوى بأحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره

خالد رحمه الله يقول الشريف اذا تعبد تواضع بخلاف الدنى. وقد كان أبو هريرة رضى الله عنه وهو أمير المدينة فى أيام مروان يحمل حزمة الحطب من السوق على رأسه و يمشى يقول أوسعوا الأمير كم وكان أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه يسرع فى المشى و يقول هو أبعد من الزهو والعجب وأسرع الى قضاء الحاجة. وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يخدم الضيف بنفسه و يصلح له السراج فى الليل ولا ينبه أحدا من الخدم. وفى الحديث ان سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لم يرفع طرفه الى السماء تخشعا مع ما أعطى من الملك حتى قبضه الله تعالى وفى الحديث أيضا أن رسول الله ﷺ كان يجلس مع الخادم و يطحن معها اذا أعيت وكان ﷺ لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق الى أهله وكان ﷺ يصافح الغنى والفقير ولما حج ﷺ ورمى جمرة العقبة لم يكن بين يديه ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول التكبر على من تكبر عليك بماله تواضع لله عز وجل وكان بشر الحافى رحمه الله تعالى يقول حج عيسى عليه الصلاة والسلام من الشام على ثور وكان حاتم الأصم رحمه الله تعالى يقول لا تنظروا الى صورة تواضع فقراء زماننا هذا وعلمائه وقرائه فانهم عندهم من الكبر ما ليس عند الأمراء والملوك اه وسيأتى زيادة على ذلك فى مبحث غير هذا ان شاء الله تعالى مفرقا فى هذا الكتاب فتأمل يا أخى حالك وانظر نفسك فربما تكون من أعظم المتكبرين وأنت لا تشعر وربما لبست الجبة الغليظة أو البشت وكنت بذلك أعظم فى الكبر ممن لبس رقيق الثياب والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) عدم التهاون بشئ من الفضائل التى رغبنا فى فعلها الشارع ﷺ واكثارهم منها وشهودهم أنها وان كانت كثيرة العدد لا يحصل لهم منها أجر فضيلة كاملة وكان يحيى بن أبى كثير رحمه الله تعالى يقول من بلغه عن الله عز وجل شئ فعمل به ايمانا به أعطاه الله تعالى أجر ذلك وان لم يكن كذلك وقد رأى رجل كثرة عبادة ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى فتمنى أن يكون مثله فبلغ ذلك ابراهيم فقال له والله يا هذا لروعة روعك على عيالك أفضل من جميع ما أنا فيه وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يكثر من فعل الطاعات و يقول ليس لأمثالنا نوافل انما النوافل لمن كملت فرائضه وقد كان سلمان الفارسى رضى الله عنه يقول مثل الذى يكثر الفضائل ولا يكمل الفرائض مثل تاجر خسر رأس ماله وهو طالب للربح وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول ان رب الدين لا يقبل الهدية الا بعد وفاء دينه كله وكان عبيد بن عمير رحمه الله تعالى يقول ما من عبد يضع جنبه على الفراش و يذكر الله تعالى حتى يأخذه النوم الا كتب ذاكرا لله تعالى حتى يستيقظ وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول اياكم أن تطلبوا نوافل عبادتكم فانها الى الرد أقرب منها الى القبول أما ترون الى قول الخليل عليه الصلاة والسلام لما بنى البيت ربنا تقبل منا مخافة أن لا يقبل بناؤه وقد كان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول من استخف بالنوافل استخف بالفرائض وكان ابراهيم النخعى رحمه الله يكره عد الآى والأذكار الا ان كان بقاعدة مشروع اه فاعلم ذلك يا أخى وأكثر من النوافل والفضائل ولا تمل منها ولا ترى بعد ذلك أنك قمت بواجب شكر نعمة واحدة من نعم الله عليك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) كثرة التوبة والاستغفار ليلا ونهارا لشهودهم أنهم لا يسلمون من الذنب فى فعل من الأفعال حتى فى طاعاتهم فيستغفرون من نقصهم من خشوعها ومن مراقبة الله تعالى فيها وقد درج على ذلك السلف خلاف ما عليه غالب متصوفة هذا الزمان الذى نحن فيه حتى انى سمعت مرة بعضهم يقول نحن قوم لا ذنوب علينا بحمد الله تعالى فقلت له وكيف قال لاننا نشهد أن الله تعالى هو الفاعل لا نحن فقلت له فاذا وجب عليك الاستغفار والتوبة لانك هدمت جميع أركان الشريعة وأبطلت حدودها والله لو كنت أنا ذا سلطان لضربت عنق مثل هذا فان الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وجميع الأكابر كانوا يشهدون أن الله تعالى هو الخالق لأفعالهم ومع ذلك استغفروا و بكوا حتى نبت العشب من

ثم ما سور الى جنبه فلا يواسيه ولا يتفقده (ومن فرقة أخرى من أرباب الأموال) يحفظون الأموال و يمسكونها بحكم البخل و يشتغلون بالعبادة البدنية التى لا يحتاجون فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لأن البخل المهلك قد استولى على

دموعهم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا أنبئكم بدائكم ودوائكم فان داءكم الذنوب
ودواءكم الاستغفار وقد كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول العجب ممن يقنط ومعه النجاة فاذا قيل له
وما هى النجاة يقول كثرة الاستغفار وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول استغفار الله تعالى
بلا اقلاع توبة الكذابين وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يناجى الله تعالى بقوله الهى ان ابليس
لك عدو وهو لنا عدو ولا تغيظه بشىء مثل أن تعفو عنا فاعف عنا برحمتك يا أرحم الراحمين وكان
أبو عبد الله الانطاكى رحمه الله تعالى يقول ترك معصية واحدة وان صغرت أرجى للرحمة من ألف حجة
وألف غزوة وألف رقبة يعتقها العبد لله تعالى وفى رواية ان ترك كذبة واحدة أو خلف وعد أو نظرة الى
ما لا يحل أرجى للرحمة والمغفرة من كثرة النوافل مع الكذبة أو النظرة أو خلف الوعد وكان سفيان الثورى
رحمه الله تعالى يقول أربع لا يعبأ بهن عاقل زهد الخصيان فى الجماع ونسك النساء وتوبة الجندى وقراءة
الصبيان وقد كانت رابعة العدوية رحمها الله تعالى تقول استغفارنا يحتاج الى استغفار يعنى من عدم
الصدق فيه وكان خالد بن معدان رحمه الله تعالى يقول يمر التوابون على جهنم فلا يرونها فيقولون يا ربنا
ألم تعدنا أننا نرد النار فيقال لهم انكم مررتم عليها وهى خامدة لسكونكم كنتم تائبين فانها لا تهيج الا من
الذنوب والاصرار عليها وقد أجمع أهل السنة على صحة توبة العبد من القتل ومن أخذ المال بلا حق ومن
شرب الخمر ومن سائر المعاصى قال وقد سئل مسروق رحمه الله تعالى هل لقاتل المؤمن من توبة فقال لا أغلق
بابا فتحه الله تعالى وقد كان أبو الجوزاء رحمه الله تعالى يقول ان العبد ليذنب فلا يزال نادما حتى يدخل
الجنة فيقول ابليس ليتنى لم أوقعه فيه وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول خياركم كل مذنب
تواب ثم يتلو ان الله يحب التوابين وكان الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى يقول لا يقل أحدكم أستغفر
الله تعالى وأتوب اليه فيكون ذلك ذنبا وكذبا ان لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لى وتب على فقيل له ان قول
العبد أستغفر الله قد ورد فى السنة فقال ذلك فى حق الصادقين اهـ وكان ابن عباس رضى الله عنهما
يقول لم يبلغنى فى كتاب ولا سنة ولا بلغ علمى أن الله تعالى قال لذنب لا أغفره قلت لعل مراده رضى الله عنه
عدم ورود هذا اللفظ بخصوصه والا ففى القرآن ان الله لا يغفر أن يشرك به فيحمل كلامه رضى الله عنه على
ذنوب أهل الاسلام كما حمل العلماء قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا على ذلك وقد كان ثابت البنانى
رحمه الله تعالى يقول ما شرب داود عليه الصلاة والسلام شرابا بعد الذنب الا ممزوجا بدموع عينيه وكان
مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول دخلت على جار لى وهو مريض وكان مسرفا على نفسه فقلت له يا أخى
عاهد الله تعالى أن تتوب عسى أن يشفيك فبكى فسمعت قائلا من ناحية البيت يقول ان كان عهده كعهدك
فلا فائدة فيه فانك عاهدتنا مرارا فوجدناك كاذبا قال فغشى عند ذلك على مالك وكان طلق بن حبيب
رحمه الله تعالى يقول ان حقوق الله تعالى أعظم من أن يقوم بها العباد وان نعمة الله تعالى أكثر من أن
يحصوها وكان ذو النون المصرى رحمه الله تعالى يقول ان الله تعالى رزقنا فوق قوتنا وكلفنا دون قوتنا فلم
نكتف بما رزقنا من القوت ولم نبذل قوتنا فيما كلفنا وكان مجاهد رحمه الله تعالى يقول من لم يتب كل
صباح ومساء فهو من الظالمين وقد قيل للحسن البصرى رحمه الله تعالى ماذا تقول فيمن يتوب ثم ينقض
ثم يتوب ثم ينقض وهكذا فقال ما أرى هذا الا مؤمنا فعل أخلاق المؤمن وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى
يقول زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين زلة قبلها وقد سئل سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى ما علامة
التوبة النصوح فقال أربعة أشياء قلة الدنيا وذلة النفس وكثرة التقرب الى الله تعالى بالطاعات ورؤية
القلة والنقص فى ذلك وكان بكر بن عبد الله المزنى رحمه الله تعالى يقول لو أن مذنبا طاف على سائر
المجالس والأبواب وهو يقول أستغفر الله لى لكان ذلك أولى من سؤاله لهم اللقمة والحلقة ونحوهما
وقد سئل يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى عن التائب من هو فقال هو من تاب أيام شبابه ولزم الفطام حتى أتاه
الحمام وليست التوبة توبة الشيوخ لخمود نار شهوتهم عن المعاصى وان كان الله تعالى وعد بقبولها حتى

بوطلنهم فهم يحتاجون الى
قمعه باخراج المال فاشتغلوا
بطلب فضائل وهم
مشتغلون عنها ومثلهم كمثل
من دخلت فى ثوبه حية وقد
أشرف على الهلاك فاشتغل
بطلب السكنجبين ليسكن
به الصفراء ومن بلدغته
الحية كيف يحتاج الى
ذلك وقيل لبشر الحافى
ان فلانا كثير الصوم

تطلع الشمس من مغربها وقد كان سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى يقول أنزل الله قوله تعالى انه كان
للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول
قال الله عز وجل ياداود بشر المذنبين أنهم ان تابوا قبلت توبتهم وحذر الصديقين أني ان وضعت عليهم
عدلي عذبتهم وكان عبد الله بن حبيب رحمه الله تعالى يقول انكم لن تطيقوا أغضب الله تعالى عليكم كلما
عصيتموه فامشوا تائبين وأصبحوا كذلك تائبين وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول من وقع في
خطيئة ثم تذكرها فوجل منها في قلبه محيت عنه من أم الكتاب وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى
يقول للمجاهدين اذا أرادوا أن يخرجوا للجهاد عليكم بالتوبة فانها ترد عنكم ما لا ترده السيوف وكان
يقول لما عاين قوم يونس عليه الصلاة والسلام العذاب قام رجل منهم فقال اللهم ان ذنوبي عظمت وجلت
وأنت أعظم منها وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله فكشف الله عنهم العذاب وقد كان
يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول في مناجاته في الليل اللهم ان خطيئتي تعذبني وتوبتي تذوبني فعيشتي
طول دهري بين تعذيب وتذويب وكان خبيب بن تمام رحمه الله تعالى يقول من وقع في ذنب ثم خاف من الله
تعالى أن يعذبه عليه غفره الله له وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول ان للجنة ثمانية أبواب كلها
تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به لا يدعه يغلق فادعوا ولا تيأسوا وقد كان عبد الرحمن
ابن القاسم رحمه الله تعالى يقول تذاكرنا في اسلام الكافر وانه يغفر له ما مضى فقلت اني لأرجو أن يكون
المسلم أولى بذلك عند الله تعالى فان توبة المسلم كاسلام بعد اسلام أي كتكراره الشهادتين وكان عبد الله
ابن سلام رضي الله عنه يقول لا أحدثكم الا عن كتاب منزل أو نبي مرسل ان العبد اذا عمل ذنبا ثم ندم
عليه طرفة عين واستغفر الله تبارك وتعالى سقط عنه أسرع من طرفة عين وكان أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه يقول جالسوا التوابين فانهم أرق أفئدة وفي الحديث ما أصر من استغفر وان عاد
في اليوم أكثر من سبعين مرة وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول ما ألهم الله تعالى عبدا الاستغفار
وهو يريد أن يعذبه وقد سئل الفضيل بن عياض رحمه الله عن معنى قول العبد أستغفر الله فقال معناه
اللهم أقلني من ذنبي وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول من قدم الاستغفار على الندم كان كالمستهزئ
على الله تعالى ولا يشعر وانها توبة الكذابين (قلت) ويؤيد ذلك قوله تعالى أفلا يتوبون الى الله
ويستغفرونه فأخر الاستغفار عن التوبة المشتملة على الندم فليتأمل فان الواو هنا للترتيب والله أعلم وقد
سئل يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى ما بال المسلم اذا وقع في ذنب يكره أن يطلع عليه الناس أكثر من كراهته
لاطلاع الله تعالى عليه هل ذلك من هوان منه بربه عز وجل فقال لا ولكن ذلك من شدة معرفته بكرم ربه
وجوده وأنه سبحانه لا يفضحه بخلاف الناس وقد بلغنا أن أعرابيا كان يقول في دعائه اللهم ان استغفاري
مع اصراري للؤم وتركي الاستغفار مع علمي بسعة عفوك ورحمتك عجز فاغفر لي يا من رجائي لرحمتك يا أرحم
الراحمين وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى اذا سمع قوله تعالى فقولا له قولا لينا يقول الهي اذا كان هذا
قولك في حق من قال أنا ربكم الأعلى فكيف يكون رفقك بمن لا يشرك بك شيئا بل يعلم أنك أنت الله لا اله
الا أنت وحدك لا شريك لك وكان رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن الله سبحانه وتعالى يحاسب المسلمين يوم
القيامة بالمن والفضل ويحاسب الكافر يومئذ بالحجة والعدل اهـ فاعلم ذلك يا أخي وأكثر من الاستغفار
ما دمت في هذه الدار فانه يطفئ غضب الجبار ولا تظن محو ذنوبك اذا فعلت الأمور التي ورد في الشرع أنها
مكفرة لذلك فقد يكون لها شروط لم تأت بها واعلم أن المؤمن لا يطمئن حتى يدخل الجنة فافهم والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وان لم يفعلوا ولم ينتهوا وهذا
الخلق يخل به كثير ممن لم يسلك على يد شيخ صادق فيقول ان الآمر بالمعروف لا يكون الا ممن كان تائبا عن
جميع الذنوب ونحن قوم قد عمرتنا الذنوب وهذا مخالف لما عليه العلماء العاملون فقد ورد في الحديث
الشريف أن أبا هريرة رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر وان لم نعمل

والصلاة فقال المسكين
ترك حاله ودخل في حال
غيره انما حال هذا اطعام
الطعام للجائع والانفاق
على الناس كيف يفوته فضل
له من نحو بيع نفسه ومن
صلاته مع جمعه الدنيا ومنعه
الفقراء (وفرقة أخرى)
غلب عليهم البخل فلا
تسمح نفوسهم الا باداء
الزكاة فقط ثم انهم

ولم تنته فقال عليه الصلاة والسلام مروا بالمعروف وان لم تعملوا به وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه كله وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول من نهى عن المنكر وشنأ الفاسقين وغضب اذا انتهكت حرمات الله غضب الله تعالى له وقد قيل لحفص بن حميد رحمه الله تعالى ما الذي بلغ بسفيان الثوري ما بلغ فقد كان في زمانه من هو مثله في كثرة العبادة والعلم فقال بلغ به رحمه الله تعالى استخفافه بالعصاة في مواضع الحق وعدم مراعاته لهم كان رحمه الله تعالى يرى المنكر فلم يقدر على ازالته فيبول الدم من القهر وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سيأتي على الناس زمان يكون صالحهم فيه هو ممن لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر فيقول الناس ما رأينا منه الا خير السكوته لم يغضب لله تعالى وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول مصائب المؤمن في الدنيا ثلاثة صلاة تفوته وأخ صالح يموت وحدث يحدث في الاسلام وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول سيأتي على الناس زمان يكون منكر المنكر فيه أقل من عشر الناس ثم يذهب العشر بعد ذلك فلا يبقى أحد ينكر منكرا وكان أويس القرني رضي الله عنه يقول ان قيام المؤمن بالحق لم يدع له في الدنيا صديقا وما أمر أحد الناس بتقوى الله ونهاهم عن المنكر الا رموه بالعظائم وشتموا عرضه وقد كان كعب الاحبار رضي الله عنه يقول جنة الفردوس خاصة بمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول في قوله تعالى وجعلني مباركا أينما كنت أي كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول من سمع أحدا يفعل منكرا ولم ينهه جاء يوم القيامة أصم مقطوع الأذنين وكان جرير بن عبد الله رحمه الله تعالى يقول ما من قوم أعزاء على الناس ثم لم يغيروا منكرا أقدروا عليه الا أذلهم الله عز وجل وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم وكان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول دخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرأيته مهموما حزينا فقلت ما يهمك يا أمير المؤمنين فقال أخاف أن أقع في منكر فلا ينهاني أحد منكم تعظيما لي فقال حذيفة والله لو رأيناك خرجت عن الحق لنهيناك فان لم تنته ضربناك بالسيف قال ففرح عمر وقال الحمد لله الذي جعل لي أصحابا يقوموني اذا اعوججت وقد أوحى الله تعالى الى يوشع بن نون عليه الصلاة والسلام اني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار فقال لانهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم وكان أبو أمامة رضي الله عنه يقول يحشر ناس من هذه الأمة على صورة القردة والخنازير بملاصقتهم لأهل المعاصي وتركهم نهيهم وهم يقدرون عليه اهـ قلت اذا كان هذا حال من يخالط أهل المعاصي ولا يفعلها فكيف حال من لا يكاد تسلم له جارحة نسأل الله اللطف وقد كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يخرج الى السوق فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ثم ترك ذلك فقيل له لم تركت فقال كان قد انفتح في الدين قناة فطلبنا أن نسدها وأما الآن فقد انفتح البحر فمن يقدر يسده وقد قيل للفضيل بن عياض رحمه الله تعالى ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال أخاف أن أفعل ذلك فيصيبني أذى فلا أقدر على تحمله فيقع مني السخط والندم على أمري بالمعروف وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول لأصحابه لا تقتدوا بي تهلكوا فاني رجل مداهن مخلط مقصر وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول ان من أكبر الذنوب عند الله تعالى أن يقول الشخص لأخيه اتق الله فيقول له عليك بنفسك وكان سفيان بن عيينة رحمه الله يقول لا يلزم أحدا الأمر بالمعروف الا فيما اجتمعت عليه الامة أما ما اختلفوا فيه فلا يلزم أحدا وكان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول سيأتي على الناس زمان تكون مجالسة الناس كجيفة حمار وتكون جيفة الحمار أحب اليهم من مجالسة المؤمن الذي يأمرهم وينهاهم وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول ما بقي أحد في سائر هذا الزمان يستحي منه فقيل له ولم ذلك فقال انما يستحي ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأما من ليس كذلك فلا هيبة له لعدم خوفه من الله تعالى وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله

يخرجونها من المال الخبيث الردي الذي يرغبون عنده ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حوائجهم أو من يحتاجون اليه في المستقبل للاستخدام له في الخدمة ومن لهم فيه على الجملة غرض ويسلمونها الى شخص بعينه واحد من الكبار ممن يستظهر بخشيته لينال بذلك عنده منزلة

عنه يقول لأصحابه من أهدى الى عيوبي سألت له رحمة الله تعالى وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول بلغنا أنه كان في بني اسرائيل حبر يعظ الناس و يجتمعون عليه يسمعون وعظه رجالا ونساء في بيته وكان له ولد شاب فغمز امرأة يوما امرأة جميلة من النساء ورآه أبوه فقال له مهلا يا بني قال فسقط من سريره صرعة متكبا على وجهه حتى انقطع بعض أعضائه وأوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان أن أخبر فلانا يعني هذا الحبر أني لا أخرج من صلبه صديقا أبدا أما كان من غضبه لي الا أن يقول لابنه مهلا يا بني وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم الرجل محببا عند جيرانه محمودا عندهم فاعلموا أنه مداهن وقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول اذا مات الرجل ولم يذمه أحد من جيرانه فاعلموا أنه مداهن اه قلت وحقيقة المداهن هو من يرضي الناس بما ينقص دينه كما أن المداراة هي ارضاء الناس بما ينقص دنياه فالأولى حرام والثانية مستحبة وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن الله تعالى أوحى الى الملائكة عليهم الصلاة والسلام أن صبوا العذاب على قرية كذا وكذا صبا فصاحت الملائكة وقالوا يا رب ان فيهم عبدك فلانا العابد فقال تعالى أسمعوني ضجيجه من العذاب فان وجهه لم يتمعر قط اذا رأى محارمي وكان لقمان عليه السلام يقول كذب من قال ان الشر يطفأ بالشر فان كان صادقا فليوقد نارين هل تطفئ احداهما الأخرى بل لا يطفأ الشر الا بالخير كما يطفئ الماء النار اه وقد دخل أبو اسحق الفزاري على هرون الرشيد رحمه الله تعالى فبلغ ذلك يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى فلامه وقال كيف تدخل على هذا الرجل وعنده الفرش الحرير فقال أبو اسحق ما بلغك الا الحرير يا يوسف فأين الدماء والفروج والأموال ولكنا انما دخلنا عليه للضرورة وقد كان يقال ان العالم اذا دخل على ظالم ولم يسأل عن شيء فهو في سعة واني لم أسأل عن شيء وأنا جالس عنده فلو قيل لي هذا الفرش حرام لقلت نعم هو حرام (قلت) وفي هذا الجواب نظر والله أعلم وقد قيل لسفيان الثوري رحمه الله تعالى أيأمر الرجل من يعلم أنه لا يقبل منه فقال نعم ليكون في ذلك معذرة له عند الله تعالى وكان مالك بن دينار رحمه الله يقول ذهب المعروف يبكي وجاء المنكر يضحك ثم ينشد

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم ✽ والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم ✽ بعضا ليدفع معور عن معور

اه فاعرض يا أخي هذه الصفات على نفسك لتعرف هل أنت ممن ينكر المنكر أولا وهل أنت ممن يحبك الله تعالى أولا وهل نصرت شريعة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أو خذلتها فانك تزعم أنك من الدعاة الى الله تعالى بحكم النيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه قد أمن علماء أمته على شريعته من بعده صلى الله عليه وسلم ولعل غالب الناس اليوم قد خذل الشريعة المطهرة بأقواله وأفعاله وسكوته عن المنكر فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ عدم العجب والادلال بشيء من أعمالهم بل يرون أنهم استحقوا التعذيب بالنار بصالح أعمالهم عندهم فضلا عن سيئها لما يشهدونه فيها من سوء الأدب مع الله تعالى وقد ورد أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان يقول كم من سراج قد أطفأته الريح وكم من عبادة قد أفسدها العجب وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول ساعة يزري العبد فيها نفسه خير له من عبادة سبعين سنة وكان أبو عبد الله الانطاكي رحمه الله تعالى يقول أضر الطاعات على العبد ما أنسته مساويه وذكرته حسناته فيزداد بها ادلالا واغترارا بين الناس فيذهب الى الآخرة صفر اليدين من الخير والثواب وهو يحسب أنه من الصالحين اه وكان الشعبي رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن رجلا ممن سبق كان اذا مشى يظله السحاب لفضله فرآه رجل آخر فقال والله لأمشين في ظله لعل أن تنالني بركته قال فأعجب الرجل الأول بنفسه حين رأى الناس يمشون في ظله فلما افترقا ذهب الظل مع ذلك الرجل التابع وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ان من علامة صدق توبتك أن تعترف بذنبك وان من خلاص عملك أن ترفض عجبك وان من صدق شكرك أن تعرف تقصيرك وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه

ليقوم بحاجته ولكل ذلك مفسد للنية ومحبط للعمل وصاحبه مغرور ويظن أنه مطيع لله وهو فاجر اذ يطلب بعبادة الله غرضا من غيره فهذا وأمثاله مغرورون بالأموال (وفرقة أخرى) من عوام الخلق وأرباب الأموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا أن ذلك يغنيهم

الله تعالى إذا خطب على المنبر فخاف العجب قطع الكلام وعدل الى غيره مما لا عجب فيه واذا كتب كتابا
فخاف العجب فيه مزقه وقال اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول
إذا رأى حلقة درسه قد كبرت قام عجلا مرعوبا وقال أخذنا والله ولم نشعر فتبعه الناس يوما وقالوا له مثلك
لا يخاف من مثل ذلك فقال بلى إنما أخوف الناس من ذلك لما أعرفه من دناءة أخلاقي ووالله لو رآني عمر بن
الخطاب رضي الله عنه جالسا في مثل هذا المجلس لضربني بالدرة وأقامني وقال لي أنت لا تصلح لمثل ذلك وكان
مطرف بن عبد الله يقول لأن أبيت نائما وأصبح نادما أحب إلي من أن أبيت قائما وأصبح معجبا أرى نفسي
على النائمين وقد كان السلف يعيبون على العباد كثرة صيامهم وقيامهم خوفا عليهم من العجب وكانوا يقولون
لهم تعلموا العلم ثم اعملوا فإن لكل عمل أدبا شرعيا وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لو أن عمل ابن
آدم كله كان حسنا لكان يهلك نفسه من العجب ولكن الله تعالى ابتلاه بشهود النقص فيه رحمة به وقد قال
رجل مرة لإبراهيم التيمي رحمه الله تعالى ما تقول يا فقيه في كذا فقال إبراهيم إن زمانا صرت أنا فيه فقيها لزمان
سوء وكان حذيفة المرعشي رحمه الله تعالى يقول إن لم تخف أن يعذبك الله تعالى على أفضل أعمالك فأنت
هالك اهـ وقد كانت رابعة العدوية رحمها الله تعالى تقول أكثر ما أكون راجية للخير حين تقل
أعمالي الصالحة أي لكونها كانت معتمدة على فضل الله تعالى وامتنانه لا على الأعمال وكان حسان بن سنان
رحمه الله تعالى يطلب من أعوان الولاة أن يدعوا له فقيل له في ذلك فقال لعل في أحدهم خصلة يحبها الله تعالى
ولعل في خصلة يبغضها الله تعالى ولعلي أرى نفسي خيرا منه فيكون خيرا مني ولما مرض عمر بن عبد العزيز
رحمه الله تعالى أشار واعليه بالدفن في المكان الرابع عند قبر رسول الله ﷺ قال فأبى أحد من كلامهم وقال
والله لأن يعذبني الله تعالى بالنار أحب إلي من أن يعلم الله تعالى من قلبي أني أرى نفسي أهلا لذلك وقد سئل
ابن السماك رحمه الله تعالى عن حقيقة العجب فقال هو أن تتطاول على الناس بعملك فتحقر كل من رأيته
مقصرا في العمل وكان سفيان الثوري رحمه الله يكثر العبادة فقيل له يوما إنا نراك تكثر من العبادة
فقال لا يستكثر عبادته في عينه إلا جاهل بالله تعالى فإن الملائكة عليهم الصلاة والسلام لا تفتر عن العبادة
طرفة عين ولو أنها استكثرت أعمالها لم يجعلها الله تعالى في حضرته السماوية وإنهم مع ذلك يقولون
سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول إن لم تخف أن
يهلكك الله تعالى بالنقص الذي في أعمالك الصالحة فضلا عن معاصيك فأنت هالك وكان يزيد بن هرون
رحمه الله تعالى يقول نظرت في قيام الليل فإذا الحارس يحرس الليلة كلها بدانقين أفيطلب أحدكم الجنة
بسهر ليلة واحدة بعبادة لعلها لا تساوي دانقين وربما من بها على ربه وقد كان الفضيل بن عياض رحمه
الله تعالى يقول السلامة من الرياء والنفاق في العلماء والقراء أعز من الكبريت الأحمر لأن أحدهم لا يقدر
على سماع قول الناس ما أعلم فلانا وما أحسن صوته بالقرآن إلا ويحصل عنده العجب بذلك وإن قالوا ليس هو
بعالم ولا حسن الصوت يشق عليه وكاد يموت غما وذلك من أكبر علامات الرياء ثم يشرع في تحسين حاله رياء
وسمعة وكان السري السقطي رحمه الله يقول كل من ظن بنفسه أنه محسن فهو ممن زين له سوء عمله ومن لم
يظن أنه هالك فهو هالك وقد قال رجل لعبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يا إمام إني لا أرى نفسي أحسن حالا
ممن قتل بين يدي نفسا ظلما فقال له عبد الله إني آمنك على نفسك أكثر ممن قتل نفسا ظلما وكان بشر الحافي
رحمه الله تعالى يقول إذا رأيت العبد لجوجا مماريا بالعلم معجبا بنفسه فاعلم أنه قد استكمل الخسارة وكان
أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول من أعجب بعمله فهو قدري لأنه لو رأى العمل خلقا لله تعالى لم يعجب
به (قلت) وذلك في العمل الحسن وأما العمل السيء فلا يجوز له تبرئة نفسه عنه بل الواجب عليه أن
يتوب منه ويندم ويستغفر منه والله أعلم وقد كان لعطاء السلمي رحمه الله تعالى غلمان يخدمونه في
بيته ويوضئونه فقيل له ألم تستقذر هؤلاء أن يكونوا في بيتك فقال والله إنهم عندي أطهر من نفسي وأقل
ذنوبا وأقل رياء ونفاقا فكيف أستقذرهم وقد كان أبان بن عياش رحمه الله تعالى يقول لا يكره العمل

ويكفيهم فاتخذوا ذلك
عادة ويظنون أن لهم أجرا
على مجرد سماع الوعظ دون
العمل ودون الاتعاظ وهم
مغرورون لأن فضل مجالس
الذكر إنما تحصل لكونها
مرغبة في الخير فإن لم تهيج
الرغبة فلا خير فيها والرغبة
محمودة لأنها تبعث على العمل
فإن لم تبعث على العمل فلا
خير فيها وربما يغتر بما

بالرخص الا معجب بنفسه أو صاحب هوى أى لأن الرخص لا يجد أحد قائلها فلا يحصل عنده عجب وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يخاف من العجب كل الخوف وكانوا اذا أثنوا عليه خيرا يقول اللهم اجعلنى خيرا مما يقولون واغفر لى ما لا يعلمون وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا أثنوا عليه خيرا يقول اللهم انى أعوذ بك من شر ما يقولون وأسألك أن تغفر لى ما لا يعلمون وقد قال رجل لعائشة رضى الله عنها يا أم المؤمنين متى يعلم الرجل أنه من المحسنين فقالت اذا علم أنه من المسيئين فقال الرجل ومتى يعلم أنه من المسيئين قالت اذا رأى نفسه من المحسنين قال وحضر بكر بن عبد الله المزنى ومطرف بن عبد الله رحمهما الله تعالى الوقف بعرفة فكان من دعاء مطرف أن قال اللهم لا تردهم فى هذا اليوم من أجلى خائبين وكان من دعاء بكر قوله ما أشرف هذه البقعة وما أرجاها للدعاء لولا أنى كنت فى الناس وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول رب هالك بالثناء عليه ورب مستدرج بالاحسان اليه وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول ربما بلغ العجب بالفقير الى أن يصير يقول لو عرضت على حور الجنان ما التفت اليهن دون الله تعالى وهو ربما لو رأى جارية من جوارى الدنيا لصاح قلبه بالميل اليها حتى بلغ العرش والله لذنب تفتقر به الى عفو الله تعالى خير لك من طاعة تفتخر بها على العباد وكان محمد بن واسع رحمه الله تعالى يقول لعباد زمانه أف لكم دخل العجب فى أعمالكم مع قلتها وقد كان من قبلكم لا يعجبون بأعمالهم مع كثرتها والله ما أنتم الا كاللاعبين بالنظر لعبادة من كان قبلكم فاعلم يا أخى ذلك وفتش نفسك كل التفتيش فربما تعجب بترك العجب وتكون سوأ حالا ممن أعجب يعنى بالأعمال فافهم واياك يا أخى أن ترى نفسك على أحد من المسلمين والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ تقديمهم انفاق الدراهم والدنانير فى اطعام الجائع وكسوة العريان ووفاء الديون التى على الناس وهم لا يقدرون على وفائها على عمارة الزوايا والدور ونحوها لا سيما فى هذا الزمان الذى لا يوجد فيه القوت الا بمعاينة أسباب الموت ان كان الفقير محترفا أو بذهاب دينه ان كان متعبدا لا حرفة له وقد رأيت مرة شيخا من مشايخ العصر يبنى له فى ضريح بقبة وتابوت فجاءه رجل أعمى معيل فطلب منه نصفا يأخذ لعياله به خبزا فلم يعطه فقلت له أعطه نصفا فهو أفضل من عمارة هذه القبة فأبى أن يعطيه فسقط من عينى من ذلك اليوم وقد كان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول أربعين دارا من كل جانب وكان الدجاج المشوى يحمل الى سماطه وسألوه فى شئ يعاونهم فى عمارة مسجد فأبى وقال لقمة فى بطن جائع أرجح فى ميزانى من عمارة المسجد أو عمرته وحدى وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول اذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله فى الماء والطين وفى الحديث أيضا كل درهم ينفقه العبد فان الله يخلفه الا ما كان فى بنيان أو معصية وقد كان أنس بن مالك رضى الله عنه يقول رأيت درجة فى سلم غرفة رسول الله ﷺ تتحرك فأردت أن أبنيها بقطعة طين فنهانى ﷺ وقال ما لى وللدنيا وفى رواية انى بعثت بخراب الدنيا ولم أبعث بعمارتها اهـ وقد بنى أبو الدرداء رضى الله عنه كنيفا فبلغ ذلك عمر بن الخطاب وكان فى خلافته رضى الله عنه فكتب اليه يقول من عمر الى عويمر سلام عليك أما بعد تكلتك أمك أما كان لك كفاية الآن تجدد عمارة الدنيا بعد رسول الله ﷺ حكمت عليك أن لا تضع كتابى من يدك حتى تهدمه قال فهدمه لوقته وقد كان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول من استغنى بأموال الفقراء أفقره الله ومن سخر الفقراء فى بناء داره أعقبه ذلك الخراب ومن استغنى بأموال الفقراء أخذها على اسمهم واختص بها وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول ما وقع لى أنى أنفقت درهما فى بناء قط قال ومالت حائط فى دار مطرف بن عبد الله فقالوا له ألا تصلحها يوما فقال ان رب المنزل لا يدعنا نقيم فيه حتى نعمره وقد كان خص نوح ﷺ من خوص النخل فقيل له لو بنيت لك بيتا فقال هذا كثير على من يموت وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ما زخرف قوم البناء الا أوشك أن يرجموا من السماء وكان ثابت البنانى رحمه الله يقول قد أوحى الله تعالى الى نبى من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ان عمر أمتك ثلاثمائة عام قال فأخبرهم نبيهم بذلك فقالوا ان عمرنا قصير ثم خرجوا من دورهم وضربوا الأخبية فى البرية وأقبلوا على عبادة ربهم

يسمعه من الوعظ وربما تداخله رقة كرقة النساء فيبكى وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزال يصفر بين يديه ويقول يا سلام سلم ونعوذ بالله وحسبى الله ولا حول ولا قوة الا بالله ويظن أنه محمود أتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثله كمثل المريض الذى يحضر مجالس الأطباء

عز وجل فلم يتناسلوا ولم يتوالدوا حتى ماتوا عن آخرهم وقد دخل حامد اللفاف رحمه الله تعالى على امرأة يوما فوجدها تطين كانونها وتزلفه فقال لها ماهذا فاعتذرت اليه وقالت ان ذلك تبقى للكانون حتى لا يقع القدر من فوقه فيذهب الطعام على الارض فقال لها ان الله مطلع على باطنك وقد كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول كان لأبى دار واسعة ورثها من أبيه وكان يسكن فى البيت منها فاذا خرب تحول الى غيره حتى مات فى آخر بيت منها ولم يعمر منها شيئا وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول سيأتى على الناس زمان يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين ويصلون الى قبلتكم ويموتون على غير ملتكم وكان أبو سلمة بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى يقول كل شئ دخله زهو ومباهاة من مركب وملبس ومطعم ومسكن فهو سرف ومعصية وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول اذا منع الرجل الحق من ماله أهلكه الله فى الماء والطين وقد كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه لا يصلى فى مسجد مزخرف وقد مر يوما على مسجد بنى تميم وكانوا قد زخرفوه وقد حضرته الصلاة فقالوا يا أمير المؤمنين ألا تصلى فى مسجد بنى تميم فقال لا تقولوا فى مسجد بنى تميم ثم جاوزه وصلى فى مسجد بنى ليث وقال نهينا أن نصلى فى مسجد أسس على غير تقوى وقد مر عبد الله بن مسعود رضى الله عنه على مسجد منقوش فقال لعن الله تعالى كل من بنى هذا فانه أنفق ماله فى معصية الله تعالى وان له بكل درهم أنفقه فيه كية من نار وقد بلغ عمر بن عبد العزيز أن أساطين فى مسجد دمشق قد حمروها وخلقت بالزعفران فكتب الى عامله ان المساكين أحوج الى تلك الدراهم من الأساطين وقد كان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول من بنى بناء ونقشه بالاحمر والاصفر فهو آثم وهو من أعانه وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول كنت أدخل حجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فأتناول سقفها بيدى وقد جاء رجل الى الحسن البصرى رحمه الله تعالى فقال له انى عمرت دارا وقصدى أن تدخلها وتدعو لى فيها بالبركة فقال له الحسن لقد غرك أهل الارض ومقتك أهل السماء بنيت شديدا وأملت بعيدا وستموت قريبا وقد سئل محمد بن سلام البيكندى رحمه الله عن السنة فى طول البناء فى المساجد والمنازل فقال قدر قامة الرجل وكان أحمد بن حرب رحمه الله تعالى يقول من نظر الى بستان أو بنيان بشهوة من غير عبرة سلبه الله تعالى حلاوة العبادة أربعين يوما وقد كان المعتمر بن سليمان رحمه الله تعالى يقول سقط بيت لنا فلم يبنه أبى وقال الأمر أعجل من ذلك ثم ضرب لنا خيمة وأدخلنا فيها فنحن فيها ثلاثين سنة اه فتأمل يا أخى هذه الأخلاق واستغفر ربك ان وجدت نفسك مخالفا لها فانه لا شرف للعبد الا باتباع سلفه الطاهر فى الأفعال والأقوال والاخلاق وقد رأيت من عمر له مسجدا فعادى غالب الناس لكونهم لم يساعدوه وصار يحقر أصاغى أعراضهم نسأل الله العافية فمثل هذا عاص لله سبحانه وتعالى ولعل ثوابه الحاصل ببناء زاويته لا يرضى به واحد من الذين اغتابهم فى غيبة واحدة اغتابها فيه واذا كان من له مال لا ينبغى له أن ينفقه فى الماء والطين الا لضرورة شرعية فكيف بمن يسأل الناس أن يساعدوه ويعاونوه فى البناء فاعلم ذلك يا أخى واحذره كل الحذر والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ كثرة مجاهدة نفوسهم فى العبادات وترك الشهوات وعدم رضاهم بعد ذلك عنها الى أن يموتوا وهذا مجمع عليه عند القوم فمن خالفهم فى ذلك فقد خرق اجماعهم وذلك حرام لأنه من قاعدة ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقد قالوا من ظن أنه بغير بذل الجهد فى الطاعات يبلغ شيئا من الدرجات فقد رام المحال وقيل أيضا لا تخرق لعبد العادات الا ان زاد على الناس فى العبادات وذلك لأن الكرامات فرع المعجزات فكما تميز النبى صلى الله عليه وسلم بكثرة الطاعات والمعجزات فكذلك الولى لا يقع له كرامة الا ان جاوز أقرانه فى الجد والطاعات وفى الحديث المجاهد من جاهد نفسه فى الله عز وجل اه وقد كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول أول ما تنكرون من الجهاد جهاد نفوسكم وكان أبو مالك الاشعرى رضى الله عنه يقول ليس عدوك الذى ان قتلته آجرك الله عليه ولكن عدوك الذى بين جنبيك يعنى النفس وامرأتك التى تضاجعك وولدك الذى من صلبك فهؤلاء أعدى عدو لك وكان خضر القارى

ويسمع ما يصفونه من الأدوية ولا يفعلها ولا يشتغل بها ويظن أنه يجد الراحة بذلك وكذلك الجائع الذى يحضر عند من يصف الاطعمة اللذيذة فحصل وعظ لا يغير منك صفة تغييرا تتغير به أفعالك حتى تقبل الى الله عز وجل وتعرض عن الدنيا وتقبل اقبالا قويا

رحمه الله تعالى يقول نحت الجبال بالاظافر حتى تنقطع الاوصال أهون من مخالفة الهوى اذا تمكن فى النفس وكان بشر الحافى رحمه الله تعالى يقول يعنون من مردة الشياطين لا يفسدون ما يفسده قرين السوء فى لحظة ويعنون من قرناء السوء لا يفيدون ما تفيده النفس فى لحظة واذا جعلت الامور كلها على وفق المراد للعبد أتاه الخلل فيها من قبل نفسه وقد أجمع سائر الملل على أن رضا الرب جل وعلا فى مكروه النفس وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول الدنيا كلها محشوة بالعجائب وأعجب العجائب نجاة نفوسنا ونفوس أمثالنا من النار وكيف ينجو من النار من كل أعماله تجره اليها وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول أصاب شخصا من الزهاد سهم فذبحه فقال الحمد لله الذى أخذ لى بثارى من نفسى فكم ذبحتنى ممن ذبح وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول انا أعلم شقاوتى من الآن فقيل له مرة وكيف ذلك قال لانهم قالوا من علامة سعادة المرء أن يكون عدوه عاقلا وانا أرى خصمى لا عقل له فقال ومن هو خصمك قال نفسى فقيل له أنت بحمد الله ذو عقل فقال وكيف عقلى وأنا أبيع الجنة بشهوة نومة أو لقمة أو كلمة اه وكان بشر الحافى رحمه الله تعالى يقول الهوى متمكن فى النفس لا يؤمن اتباعه قال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول نحن اليوم لا نرى أحدا يعمل على وفق السنة وانما كل يعمل على موافقة الهوى ما بين عالم وجاهل وعابد وزاهد وشيخ وشاب وكل يعمل ليحمد على ذلك اما عند الله واما عند الناس وكذلك يترك المعاصى خوفا من ازدراء الناس له لا خوفا من الله تعالى ومن ذا الذى لا يغضب منا ممن ذكره بسوء بين الناس اصطلحنا والله على المداهنة وتحاببنا بالالسن وتباغضنا بالقلوب وطلبنا العلم لغير العمل بل للتزين والمباهاة والرياسة على الناس لنكون أول من تسعر بهم النار وقد بلغنا أن الله تعالى أوحى الى داود عليه الصلاة والسلام ياداود ان أردت محبتى لك فعاد نفسك وودنى بعداوتها اه وكان عبد العزيز بن أبى رواد رحمه الله تعالى يقول اذا ذكرت أحوال السلف بيننا افتضحنا كلنا وكان مالك بن دينار رحمه الله يقول والله لو أنكم تجدون للمعاصى ريحا ما استطاع أحد منكم أن يجلس الى من خبث ريحى وكان عطاء السلمى رحمه الله تعالى اذا أصاب أهل بلد ريح أو غلاء أو فناء أو بلاء يقول كل هذا من أجل ذنوب عطاء لو مات عطاء لاستراح الناس منه وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول ينبغى للعبد أن يكون عند الله من أجل الناس وعند نفسه من أشرهم وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول كل من ادعى درجة سقط منها واذا كان الرجل فى أعلى درجة فمن حقه أن يحقر نفسه وكان أبو معاوية الأسود رحمه الله تعالى يقول كل من فضلنى على نفسه من أصحابى فهو خير منى وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى اذا جلس اليه أحد وثقل على قلبه يوبخ نفسه ويقول لها انك لا تحبين الصالحين ولما رأيت خيرا منك كرهتيه وثقل عليك مجالسته وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى كثيرا ما يقول من أحب أن ينظر الى مراء فلينظر الى ثم يمسك لحيته بيده ويبكى ويقول كنت يا فضيل فى شبابك فاسقا ثم صرت فى كهولتك مرائيا والله للفسق أهون من الرياء وقد قال شخص مرة لمالك بن دينار رحمه الله تعالى يامرائى فقال له مالك لقد عرفت ياأخى لقبى الذى أضله أهل البصرة وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول كل من زعم أنه يحب الله وهو يحب نفسه فقد كذب وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لا يكمل العابد حتى يصير يرى اخلاصه رياء والله لو قيل لى ان الخليفة داخل عليك الساعة فسويت لحيتى بيدى لقدومه لخفت أن أكتب فى جريدة المنافقين اه وأما ترك القوم رضى الله عنهم للشهوات فقد ذكرنا لكم فى ذلك الاخبار من الكتاب والسنة وقد كان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول تصدى الشيطان لعنه الله لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فقال له ما أنت صانع بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ان أنت أدركتهم فقال أزين لهم الدنيا حتى يكون الدينار والدرهم أشهى الى أحدهم من شهادة أن لا اله الا الله وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول من غلب شهوته فهو خير من الملائكة لانهم عليهم الصلاة والسلام عقول بلا شهوة ومن غلبته شهوته فهو شر من البهائم لانهم شهوة بلا عقول وكان الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى يقول من ترك الشهوات

فان لم تفعل بذلك الوعظ كان زيادة حجة عليك فاذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورا

(الصنف الرابع) من المغرورين المتصوفة وما أغلب الغرور على هؤلاء منهم متصوفة أهل هذا الزمان الآمن عصمه الله اغتروا بالزى والمنطق والهيئة فشابهوا الصادقين من الصوفية فى زيهم

وطلب

وطلب حفظ فرجه فقد رام المحال وقد كان أبو حازم رحمه الله تعالى يمر على الجزار فيقول له الجزار خذ لك لحما فأنا أصبر عليك فيقول له أنا أولى منك بالصبر على نفسي وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول مجاربة الزاهدين تكون مع الشهوات ومحاربة التوابين تكون مع السيئات ومن أراد حماية نفسه من دخول النار فليترك سائر ما تشتهيه نفسه في الدنيا وقد قال عتبة الغلام يوما لعبد الواحد بن زيد رحمهما الله تعالى ان فلانا يصف نفسه بأخلاق لا نذوقها وهو صادق عندنا فما سبب عدم فهمنا بحاله فقال لانه يأكل خبزه بلا ادام وأنتم تأكلونه بالادام وكل ما زاد على الخبز فهو شهوة وكان أبو العباس الموصلي رحمه الله تعالى يقول من زعم أن أكل الشهوات لا يضره فقد أعظم الفرية على الله تعالى وكان الداراني رحمه الله تعالى يقول من المحال أن يجد أحد لذة الطاعات وهو يتناول الشهوات وقد كان طاوس رحمه الله يصف للمريض قلة الأكل ويقول لم يجعل الله تعالى لصحيح ولا لمريض دواء أعظم من ترك الاكل وما أتى المرض لمريض الا من جهة الاكل ولذلك كانت الملائكة لا تمرض لعدم أكلهم عليهم الصلاة والسلام وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول من نظر الى قصر أو بستان أو غير ذلك فاستحسنه الا نقص من عقله بقدر ما استحسن وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول من تناول الشهوات فليتهيأ للذل في الدنيا والآخرة وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول شهوات النفس نيرانها وحطبها لذتها والجوع ماؤها التي تطفأ به وقد كان يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام من أطيب الناس طعاما كان يأكل الجراد وقلوب النخل وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجوع نفسه ويعيبها ويقول لها الا كل ما أملك وكان بشر بن السرى رحمه الله تعالى يقول لان أترك ذرة من غداي أو عشاي أحب الي من عبادة العابدين وصلاة المصلين وحج الحاجين وصوم الصائمين وجهاد المجاهدين وكان يحي بن معاذ رحمه الله يقول مذهب جميع الصالحين الجوع فمن فر منه فهو من الفاسقين ولقد أدركنا العلماء وهم ربيع فصاروا الآن مزابل الدنيا واذا رأيتم الزاهد يرخص بأكل الشهوات فاعلموا أنه قد رجع عن الزهد لان التبسط في الدنيا معدود من فسق العارفين ووالله ما بقي أحد من زهاد هذا الزمان تقر العين برؤيته ولقد أدركنا أقواما كانوا يحرصون على ترك الدنيا أكثر مما يحرص هؤلاء على تحصيلها واعلموا أن من كان شبعه بالطعام لم يزل جائعا ومن كان استناده الى الخلق دون الله تعالى لم يزل مخذولا وقد كان يزيد الرقاشي رحمه الله تعالى لا يشرب الماء البارد أبدا ويقول أخاف أن أحرم شربه غدا ان شربته اليوم يعني في الآخرة وكان مالك ابن دينار رحمه الله تعالى يقول الناس يقولون ان من ترك اللحم أربعين يوما قل عقله واني قد تركته ستين وما نقص من عقلي شيء ولله الحمد وكان رحمه الله تعالى لا يأكل من رطب البصرة شيئا واذا مضى زمنه يقول يا أهل البصرة هذا بطني ما نقص ترك أكل الرطب منه شيئا ولا زاد في بطونكم شيئا وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول صاحب الشهوات معذب في الدنيا والآخرة في الدنيا في تحصيلها وفي الآخرة في الحساب عليها واعلموا أن من كثر أكله كثر لحم بطنه ومن كثر لحم بطنه كثرت شهواته ومن كثرت شهواته كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه قسا قلبه ومن قسا قلبه غرق في الذنوب والآفات ومن غرق في الذنوب والآفات دخل النار وقد اشتهى مالك بن دينار رحمه الله في مرض موته خبزا أبيض ولبنا فلما أتوه به نظر اليه وقال دافعت نفسي عن الشهوات طول عمري أفأوافقها في آخره ثم قال اذهبوا به الى يتيم بني فلان ولم يأكله وقد مكث معروف الكرخي رحمه الله تعالى ثلاثين سنة يشتهي أن يغمس جزرة في دبس ثم مات رحمه الله تعالى ولم يفعل ذلك قال وقدم بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه اناء فيه لبن وعسل فرده ولم يأكل منه وقال تذهب لذته وتبقى تبعته وقد رأى ابنه عبد الله رضي الله عنهما يوما يأكل خبزا وسمنا فعلاه بالدرة وقال له كل خبزا وملحا واترك السمن لغيرك اه فتأمل يا أخي نفسك وانك على حالك فان تداك وحمتك الشهوات فأنت محجوب عن ربك في عموم الأوقات لا تلتذ بشيء من العبادات ولا تراقب ربك في الخلوات فكيف تدعي أنك من الصالحين وأنت قد خالفتهم في جميع أحوالهم فان لم توافقهم في الأمور

وهيئتهم وألفاظهم وآدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وأحوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادة مع اطراق الرأس وادخاله في الجيب كالمتفكر مع تنفيس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث وفي الصباح الى غير ذلك فلما تعلموا ذلك ظنوا أن

الباطنة والآيا أخى فانزع زيهم الظاهر من عمامة صوف وجبة وعذبة وقد رأيت مرة شخصا بهذه الصفة فى وليمة يمد يده يمينا وشمالا فيلتقط اللحم وأطايب الطعام من بين يدى اخوانه ور بما يدعى الى أكلة واحدة الى المطرية خارج مصر أو بلبيس فيسافر اليها ور بما يدعى أنه يفعل ذلك جبرا لخاطر من يدعوه لا لأجل شهوة بطنه والناقد بصير والحمد لله رب العالمين

﴿ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ﴾ شدة اجتهادهم فى العبادة ليلا ونهارا رجالا ونساء ودوام مواظبتهم على قيام الليل لا سيما فى ليالى الشتاء وعدم رؤيتهم نفوسهم بذلك على أحد من النائمين أو أنهم قاموا بذرة واحدة من واجب حقوق الله تعالى عليهم بل يرون جميع عباداتهم من النعم التى لا يطيقون لها شكرا كما يأتى بسطه فى أماكن من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رحم الله أقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن يعنى أجهدتهم العبادة وكانوا يعملون أعمال البر ويخافون عليها الرد وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لقد أدركت أقواما وصحبت طوائف فما كانوا يفرحون بشىء من الدنيا أقبل ولا يحزنون على شىء أدبر وكانت فى أعينهم أهون من التراب الذى يطاون عليه وكان أحدهم يعيش طول عمره لا يطوى له ثوب ولا يأمر أحدا من أهله بصنعة طعام ولا يجعلون بينهم وبين الأرض شيئا اذا ناموا وكانوا عاملين بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا جنهم الليل قاموا على أقدامهم وافترشوا وجوههم وجرت دموعهم على خدودهم حتى كان يظن الداخل لهم أن هذا من ماء الوضوء وقد دخل جماعة على عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فى مرضه يعودونه فرأوه ناحل الجسم جدا فقالوا له ما الذى بلغ بك الى ما نرى فقال هموم وأحزان تولدت من خوف الحساب وسوء المنقلب ولما مات منصور بن المعتمر رحمه الله تعالى قال رجل لأمه ما فعل منصور فقالت ان منصورا رحمه الله تعالى صام فلم يفطر الا عندربه عز وجل وقد كانت ابنة جاره تراه دائم القيام بالليل على سطح داره فكانت تظن أنه عمود لطول قيامه فلما مات فقدته فقالت لأهلها ما فعل ذلك العمود الذى كان فوق سطحكم فقالوا انما قدم على ربه عز وجل فقالت كيف قالوا لم يكن فى سطحنا عمود وانما ذلك منصور كان يقوم طول الليل وقد كان الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه دائما يذكر ذلك ويبكى حتى تبتل لحيته وكان داود الطائى رحمه الله يواصل العبادة ليلا ونهارا حتى لم يبق له وقت يأكل فيه ولا يشرب فكان غالبا يأكل السويق والفتيت دون الخبز ويقول بين مضغ اللقمة وبلعها قراءة كذا وكذا آية قال ودخل عليه رجل يوما يزوره فرأى فى سقف بيته جذعا مكسورا فأخبره بذلك فقال والله يا أخى ان لى فى هذا البيت عشرين سنة ما رفعت رأسى الى سقفه حياء من الله تعالى وقد كان الناس يجلسون الى أحمد بن رزين رحمه الله تعالى فلا يرونه يلتفت يمينا ولا شمالا فقالوا له فى ذلك فقال ان الله تعالى انما خلق العينين للاعتبار فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة وقد كانت امرأة مسروق رحمهما الله تعالى تقول والله ما كان مسروق يصبح من ليلة من الليالى الا وساقاه منتفختان من طول القيام وكنت أجلس خلفه فأبكى رحمة له وكان رحمه الله اذا طال عليه الليل وتعب صلى جالسا ولا يترك الصلاة وكان اذا فرغ من صلاته يزحف كما يزحف البعير من الضعف وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول لولا ظمأ الهواجر وقيام الليل ما أحببت البقاء فى هذه الدار وقد صام الأسود بن يزيد رحمه الله تعالى فى الحر حتى اخضر جسده واصفر وكان رحمه الله تعالى يصلى حتى يسقط من قيامه وقد قالوا مرة لعلقمة بن قيس رحمه الله تعالى الى كم تعذب هذا الجسد فقال انما أريد كرامته غدا وقد صام العلاء بن زياد رحمه الله تعالى حتى اخضر جسده وصلى حتى سقط فدخل عليه الحسن البصرى ومالك بن دينار رحمهما الله فقالا له ان الله لم يأمرك بكل هذا فقال انما أنا عبد مملوك والله لو أنى سجدت على الجمر عمرى كله بل منذ خلق الله الدنيا الى قيام الساعة ما أديت شكر عافية ساعة واحدة ولا شربة ماء وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يصلى كل يوم ألف ركعة حتى أقعد من رجليه فصار يصلى خمسمائة ركعة قائما ومثلها جالسا وكان على بن الفضيل رحمه الله تعالى لا يستطيع أن يقرأ

ذلك يتعجبهم فلم يتعبوا أنفسهم قط بالمجاهدة والرياضة والمراقبة للقلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الجلية والخفية وكل ذلك من منازل التصوف ثم انهم يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون فى الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون

سورة القارعة ولا يسمعها من غيره قال فهجم عليه شخص مرة فقرأ بها في صلاة المغرب فغشي عليه ثلاثة أيام بلياليها لا يفيق وقد كان الحرث بن سعيد رحمه الله تعالى يقول مررنا يوما براهب فرأينا شدة اجتهاده وما يصنع بنفسه فلمناه على ذلك فقال وما هذا الأمر بالنسبة لما نلاقيه يوم القيامة مما نحن عنه غافلون فقال له بعضنا نريد نسألك عن أمر فهل أنت مخبرنا عنه فقال سلوا ولا تكثروا فان الوقت لن يعود والعمر لن يرجع والطالب حثيث فعجبنا من كلامه ثم قلنا له ماذا يحكم الخالق غدا على عباده قال يكونون على قدر نياتهم فقلنا له أوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم ثم أدخل رأسه في صومعته وتركنا وكان عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى يقول مررت يوما براهب من رهبان الصين فقلت له يا راهب فلم يجبني فقلت له لم لا تجيبني فقال خفت أن أقول نعم فأكذب لأن الراهب هو من رهب من الله في سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضي بقضائه وحمده على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وتفكر في حسابه وعقابه وظل نهاره صائما وليله قائما قد أسهره ذكر النار ومساءلة الجبار فهذا هو الراهب وأما أنا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة لئلا أعقر الناس قال فتعجبت من كلامه ثم قلت له أخبرني ما الذي قطع الناس عن ربهم بعد أن عرفوه فقال قطعهم عنه حب الدنيا لأنها محل المعاصي والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب الى الله من ذنبه وأقبل على ما يقربه من حضرة ربه اه قال وقيل لداود الطائي يوما الا تسرح لحيتك فانها قد تلبدت فقال اني اذا لفارغ وكان أويس القرني رحمه الله تعالى يحيي الليل كله بسجدة واحدة ولما تاب عتبة الغلام رحمه الله تعالى كان لا يتفرغ لأكل ولا شرب فقالت له أمه لو رفقت بنفسك يا ولدي فقال دعيني يا أماه أتعب في عمر قصير ليوم طويل ولما حج مسروق رحمه الله تعالى كان لم ينم قط في الطريق الا ساجدا على وجهه وكان محمد بن هلال رحمه الله تعالى يقول أرجو من الله تعالى أن لا يشهد علي الليل بنوم ولا نهار بفطر وكان عبد الله بن داود رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم اذا دخل عليه الليل يصلي منه محاذيا فاذا بلغ الأربعين طوى فراش النوم الى أن يموت وكان كهمس بن الحسين رحمه الله تعالى يصلي كل يوم ألف ركعة فاذا تعب قال لنفسه قومي يا مأوى كل شر فلما عجز كان يصلي كل يوم خمسمائة ركعة ثم يبكي ويقول يا ويلي نقص نصف عبادتي وقد كانت ابنة الربيع بن خيثم رحمهما الله تعالى تقول يا أبت مالي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام فيقول لها لأن أباك يخاف أن يموت في نومه فيدخل النار قال ولما سافر مالك بن دينار لزيارة أويس القرني رحمهما الله تعالى فدخل عليه بعد صلاة الصبح فوجده جالسا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم لم يتكلم الى الظهر فصلى الظهر ولم يتكلم الى العصر فصلى العصر ولم يتكلم الى المغرب فصلى المغرب ولم يتكلم الى العشاء ثم صلى ولم يتكلم الى الصبح فلما صلى الصبح غلبته عينه وهو جالس فانتبه فزعا وهو يقول اللهم اني أعوذ بك من عين نوامة ومن بطن لا يشبع قال مالك فقلت في نفسي حسبي هذا من شهود أحواله ثم رجعت ولم أكلمه وقد نظر رجل الى أويس رحمه الله تعالى فقال له مالي أراك مريض الدهر فقال ومالأويس لا يكون مريضا ان المريض يطعم وأويس غير طاعم وينام المريض وأويس غير نائم ثم قال يا عجبا ممن يعلم أن الجنة تزين فوقه وأن النار تسعر تحته كيف ينام من هو بينهما ينظر اليهما وقد دخل رجل على ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى فوجده قد صلى العشاء فجلس الرجل يرقبه الى الفجر وابراهيم مضطجع فلما طلع الفجر قام ابراهيم الى الصلاة فقال له الرجل كيف تصلي وقد كنت نائما فقال لم يأخذني نوم بل كنت جائلا في أودية النار أنظر عذاب أهلها فكيف أنام وقد كان ثابت البناني رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم يصلي فلا يأتي فراشه الا زاحفا وكان عامر بن عبد الله رحمه الله تعالى يصوم الدهر ويقوم الليل كله فقيل له في ذلك فقال ما هذا ان هو الا أني جعلت طعام النهار الى الليل ونوم الليل الى النهار وليس في ذلك كبير أمر وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول كان الصحابة رضي الله عنهم يصبحون شعثا غبرا قد باتوا سجدا وقياما يراوحون بين أقدامهم وجباههم وكانوا اذا ذكر الله عز وجل يميدون كما تميد الشجرة في يوم الريح وتهمل أعينهم حتى تبل ثيابهم وتصير دموعهم كأنها ماء

على النفير والقطمير
ويمزق بعضهم أعراض
بعض مهما خالفه في شيء من
غرضه فهؤلاء مغرورهم
ظاهر فمثلهم كمثل عجوز
سمعت أن الشجعان
والأبطال والمقاتلين تثبت
أسماؤهم في الديوان
فتزيت بزيهم ووصلت
الى الملك فعرضت على
ميزان العرض فوجدت

الوضوء فاذا كان وقت السحر يدهنون وجوههم ويكتحلون كأنهم باتوا نائمين غافلين وكان أبو مسلم
الخولاني رحمه الله تعالى قد وضع في مكان تهجده سوطا فكان كلما أخذته فترة ضرب نفسه بالسوط ويقول
لها قومي لعبادة ربك والله لأزحفن بك زحفا حتى يكون الكلال منك لا مني وانك أولى بالضرب من الدابة
لموضع عقلك وكثرة دعاويك وقد تعبد كهمس العابد رحمه الله تعالى قائما حتى اقعد وتعبد قاعدا حتى استلقى
وتعبد مستلقيا حتى مات رحمه الله وكان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا قوما كانوا في العبادة
على حد لا يقبل الزيادة قال وتعقدت ساقا صفوان بن سليم رحمه الله تعالى من طول القيام حتى لو قيل له ان
الساعة تقوم غدا ما وجد زيادة على ما هو فيه وكان اذا جاء الشتاء يتهجد فوق السطح حتى مات وهو ساجد
وكان القاسم بن محمد رحمه الله تعالى يقول رأيت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تصلي الضحى وهي تردد
قوله تعالى فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم الى قريب الزوال وهي تبكي وكان أمير المؤمنين علي رضي الله
عنه يقول علامة الصالحين صفرة الالوان من طول السهر وعمش العيون من طول البكاء وذبول الشفاه من
كثرة الصوم وقد كان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لمجتهدي زمانه في العبادة والله ان اجتهادكم
كاللعب بالنظر لمن كان قبلكم وكان عتبة الغلام رحمه الله تعالى يقطع الليل بثلاث صيحات فكان يضع
رأسه في طوقه يتفكر فاذا مضى كل ثلث من الليل يصيح صيحة فقالوا لجعفر بن محمد الصادق رضي الله
عنهما على ذلك فقال لا تنظروا الى صياحه ولكن انظروا لما صاح منه وقد كانت حبيبة العدوية رحمها
الله تعالى اذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم تقبل على صلاتها الى
الفجر وكانت تقول في مناجاتها اللهم اغفر لي سوء أدبي في صلاتي وقد كانت عجرة العابدة رحمها الله تعالى
تحيي الليل كله وهي مكفوفة ثم تنادي بصوت محزون الهي سار العابدون الى حضرتك وأنا خامدة
العزيمة وقد كانت عفيرة العابدة رحمها الله تعالى لا تضع جنبها الى الأرض في ليل ولا نهار وتقول أخاف أن
أؤخذ على غرة وأنا نائمة وقد كانت شعوانة العابدة رحمها الله تعالى تنوح كل ليلة وتبكي الى الصباح
فدخل عليها جماعة يوما فقالوا لها ارفقي بنفسك فقالت والله لقد وددت أن أبكي الدم فضلا عن الدموع
حتى لا يبقى في جسدي قطرة من دم وكانت تقول اللهم اغفر لكل من تعرض لمعصيتك بعد معرفتك
وقد قالت مرة اللهم بحبك لي الا ما غفرت لي فقالوا لها ومن أين عرفت أنه يحبك فقالت لولا محبته لي ما
أقامني بين يديه في الظلام والناس نيام وقد كانت معاذة العابدة رحمها الله تعالى تحيي الليل كله بالصلاة فاذا
غلب عليها النوم قامت فجالت في الدار وهي تقول يا نفس النوم أمامك في القبر اما في سرور وفرح واما في
عذاب وحسرة وقد أرادت أم ابراهيم العابد رحمها الله تعالى أن تجاور بمكة ثم تركت ذلك فقالوا لها في ذلك
فقالت علم أني لا أصلح لخدمته فطردني من حضرته وقد كان ذو النون المصري رحمه الله تعالى يقول خرجت
ليلة من وادي كنعان فلما علوت الوادي اذا سواد مقبل فحققت النظر فاذا هي امرأة فقلت من هذا
السواد فقالت ومن هذا الرجل فقلت غريب فقالت سبحان الله وهل مع الله غربة قال ذو النون فبكيت
من قولها فقالت لو كنت صادقا ما بكيت فقلت وهل يعدم البكاء من الصدق قالت نعم لأن البكاء راحة للقلب
والصادق لا يطلب راحة في هذه الدار قال ذو النون فعجبت من قولها وقلت لها عظيني بموعظة فقالت لي
عليك بالحياء من الله تعالى فان عطاء السلمي مكث أربعين سنة لا يرفع طرفه الى السماء حياء من الله وقد
سمعت رابعة العدوية سفيان الثوري رحمهما الله تعالى يقول واحزناه فقالت له يا سفيان لا تقل ذلك لو كنت
حزينا ما تفرغت لهذا القول قل واقلة حزناه فانه الى الصدق أقرب وقد كانت عفيرة العابدة رحمها الله تعالى
لا تمل من البكاء فقيل لها أما تسأمين من كثرة البكاء فقالت كيف يسأم انسان من دوائه وشفائه وقد كانت أم
العلاء السعدية رحمها الله تعالى تبكي وتصلي طول ليلها وتقول ذنوبي كثيرة فلم تزل تبكي حتى ذهب بصرها
وقد بكت بردة العابدة رحمها الله تعالى حتى ذهب بصرها فلاموها على ذلك فقالت لو رأيتم بكاء العصاة يوم
القيامة لقلتم ان هذا البكاء كلا لعب وقد مكثت ابنة محمد بن سيرين رحمهما الله تعالى عشرين سنة في مصلاها

عجوز سوء فقيل لها أما
تستحي في استهزائك بالملك
أطرحوها لفحول الفيل
فطرحت لفحول الفيل
فركضها حتى قتلها (وفرقة
أخرى) زادت على هؤلاء
في الغرور اذ صعب عليها
الاقتداء في بذاذة الثياب
والرضا بالدون في المطعم
والمنكح والمسكن وأرادت
أن تتظاهر بالتصوف ولم

لا تقوم الا للوضوء والصلاة فقط وقد كانت معاذة العدوية رحمها الله تعالى تصلي في الليل الطويل فكانت تسكن الرجال وهي لا تسكن وقد كانت رابعة العدوية رحمها الله تعالى لا تهدأ ولا تنام ولا تفطر حتى ماتت قال الداراني رحمه الله صليت معها ليلة فلما كان الصباح قلت لها يا رابعة ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت ان نصوم له النهار ونقوم له الليل حتى نموت وقد كانت رملة العابدة رحمها الله تكثر الصوم حتى اسود جلدها وبكت حتى عميت وصلت حتى اقعدت قال ابراهيم الخواص رحمه الله صليت معها ليلة فلما كان السحر سمعتها تقول يا ليتني لم اخلق ثم تبكي وكان صالح المري رحمه الله تعالى يقول قرأت مرة قوله تعالى يوم تقلب وجوههم في النار عند عابد فصعق ثم افاق فقال اعدها علي فاعدتها عليه فخر ميتا وقد وعظ عبد الواحد بن زيد رحمه الله الناس مرة فصاح رجل من ناحية المسجد كف عن كلامك يا واعظ فقد كشفت قناع قلبي فلم يكف عبد الواحد فصرخ الرجل ثم خرجت روحه قال ابن القاسم وانا ممن شهد جنازته رحمه الله تعالى وقد قرأ زرارة بن ابي اوفى رضي الله عنه قوله تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير وكان في الصلاة فخر ميتا وكان عمرو بن ادهم رحمه الله تعالى يعصب عينيه اذا خرج الى السوق لا يرى كافرا ولا غافلا عن الله تعالى وكان له غلام يقوده فقال لغلامه يوما اين نحن قال في المقابر فحل العصابة عن عينيه فوقع بصره على القبور فخر ميتا وقد كان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام اذا ذكر النار يبكي حتى يسمع وجيب قلبه من مسيرة ميل فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام يوما هل رأيت خليلا يعذب خليله فقال يا جبريل اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول بلغنا انه لما نزل قوله تعالى وان جهنم لموعدهم اجمعين صاح سلمان الفارسي رضي الله عنه ووضع يده على رأسه وخرج هائما ثلاثة ايام لا يعي شيئا وكان محمد بن المنكدر رحمه الله تعالى اذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول بلغني ان النار لا تأكل موضعا مسته الدموع وقد كان الامام ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يقول من استطاع ان يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول من كان يريد القرب من المحبوب فليكثر من البكاء على الذنوب وكان محمد بن عثمان رحمه الله تعالى يقول ما شبهت عيني الفضيل بن عياض رحمه الله الا كانهما ميزابان وقد قال انس بن مالك رضي الله عنه يوما لثابت البناني رحمه الله تعالى ما اشبه عينيك بعيني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى ثابت حتى عمشت عيناه غيرة على عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشبه بهما غيرهما وقد بكى فتى من الانصار رضي الله عنهم حتى اظلم بصره فعوتب على ذلك فقال والله لا بكين ما عشت فاذا مت فعند الله احتسب تقصيري في مرضاته ولما بكى الحسن البصري على ابنه سعيد رحمهما الله تعالى لاموه على ذلك فقال رحم الله سعيدا والحمد لله الذي لم يجعل بكاء يعقوب على يوسف عليهما الصلاة والسلام عارا ولم يعاتبه الله على ذلك والا لو كان عارا لكان الامر قد ضيق علينا وكان العتبي رحمه الله تعالى يقول اجتمع اصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي والدموع تتقاطر على وجهه ولحيته وهو يضطرب فقال لهم ما بالكم فقالوا له عظنا يا ابا علي فقال عليكم بالقرآن عليكم بالسنة عليكم بالصلاة ويحكم هذا الزمان ليس بزمان حديث وانما هو زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج الليل وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وكان ابو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول بلغنا انه ما سالت قطرة من عين قبل الرواح الى الجمعة الا اوحى الله تعالى الى كاتب الشمال ان امح صحيفة عبدي فلان ولا تكتب عليه خطيئة الى مثلها من الجمعة الاخرى وكان منصور بن زاذان رحمه الله تعالى يصلي ويبكي ويحل عمامته كورة كورة يمسح بها دموعه حتى تبتل ثم ينشرها في الشمس وقد كان كعب الاحبار رضي الله عنه يقول والذي نفسي بيده لان ابكي من خشية الله تعالى حتى تسيل دموعي على وجهي احب الي من ان اتصدق بجبل من ذهب وكان ذر بن عمرو رحمه الله يقول لابيه يا ابت ما لي ارى المتكلمين يتكلمون فلا يبكي احد فاذا تكلمت انت سمعت البكاء من ههنا ومن ههنا فقال يا بني ليست النائحة بالاجرة كالنائحة الثكلى وقد كان كعب الاحبار رضي الله عنه يقول مر عيسى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام بولده

نجد بدا من التزي بزيهم فتركت الخز والابريسم وطلبت المرقعات النفيسة والفوط الرقيقة والسجادات المصبوغات وقيمتها اكثر من قيمة الخز والابريسم ولا يجتنبون معصية ظاهرة فكيف بالباطنية وانما غرضهم رغد العيش واكل اموال السلاطين وهم مع ذلك يظنون بانفسهم الخير

وهو يبكي على قبر يبكي فقال له ما الذي يبكيك يا ولدي فقال أخبرني جبريل عليه الصلاة والسلام ان بين الجنة والنار مفاوز لا يطفئ حرها الا الدموع فقال له عليك بالبكاء يا بني ثم أكب على القبر يبكي معه حتى بلا الثرى اهـ وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول اللهم ارزقني عينين هطالتين تبكيان من خشيتك قبل أن تكون الدموع دما والأضراس جمرا وكان ذو النون المصري رحمه الله تعالى يقول وقفت مرة على عابد في جبل وهو يبكي فقلت له علام تبكي فقال لست أبكي على فوات شيء وانما هي زوعة يجدها الخائفون في قلوبهم من هيبة الله تعالى لا يمكنهم التلفظ بها وكان ابراهيم الخواص رحمه الله تعالى يكثر من البكاء آخر عمره ويقول يا رب قد كبرت وقد ضعف جسمي وقلت عبادتي فاعتقني بفضلك من النار فاني لا أقدر أمكث فيها لحظة وقد كان نافع رحمه الله تعالى يقول كان بوجه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطان أسودان من مجرى الدموع ولما رمدت عينا ثابت البناني رحمه الله تعالى وضعف بصره قال له الحكيم ان تركت البكاء والسجود أمكنني مداواتك فقال ثابت وما عيناي في الدنيا بغير هذين اذهب فلا حاجة لي بمداواتك وقد قالوا لمالك بن دينار رحمه الله تعالى ههنا شخص حسن الصوت بالقرآن أفلا نأتيه فنسمعه فقال ان الثكلى لا تحتاج الى نائحة وقد كان الضحاك بن مزاحم رحمه الله تعالى يبكي كل ليلة عند الغروب حتى تبتل لحيته ويقول اني أخاف أن يكون قد صعد من عملي في هذا اليوم ما يسخط ربي وكان مكحول الدمشقي رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم أحدا يبكي فظنوا به خيرا فاني نظرت مرة الى رجل يبكي فظننت به انه مراء فعوقبت بحرماني البكاء سنة وكان يزيد بن ميسرة رحمه الله تعالى يقول البكاء يكون من خمسة أشياء من الفرح والحزن والوجع والفزع والرياء وسادسها البكاء من خشية الله تعالى وهو يأتي صاحبه بغتة ولا يكون بالتفعل وهذا هو الذي تطفئ الدمعة منه أمثال الجبال من النار اهـ وكان كعب الأحبار رضي الله عنه يقول ان العبد ليبكي حتى يرسل الله عز وجل ملكا فيمسح عينيه بجناحيه وحينئذ يبكي العبد من خشية الله تعالى وكان مجاهد رحمه الله تعالى يقول بكى داود عليه الصلاة والسلام أربعين يوما لا يرفع رأسه من السجود حتى نبت المرعى من دموعه وغطى رأسه حياء من الله عز وجل فنودي يا داود أجيعان أنت فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عريان فتكسى فأجيب داود من غير ما طلب حتى تبلغ المؤاخذة حدها قال ثم نحب داود نحبة هاج منها العود فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله تعالى عليه التوبة والمغفرة فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته منقوشة في كفه فكان لا يبسط كفه لطعام ولا شراب ولا غيرهما الا رآها وبكى وكان يؤتى بالقدح من الماء ليشرب به فما يضعه على شفتيه حتى يفيض من دموعه ولم يرفع بصره الى السماء بعد ذلك حياء من الله تعالى الى أن مات عليه الصلاة والسلام وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول بلغني أن داود عليه الصلاة والسلام ذكر ذنبه ذات يوم فذهب صارخا واضعا يده على رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت اليه السباع فقال ارجعوا لست اريدكم انما أريد كل بكاء على خطيئته مثلي ومن لم يكن ذا خطيئة فما اذا يصنع بداود الخطاء وقال كعب الأحبار رضي الله عنه كان الناس اذا لاموا داود عليه الصلاة والسلام على طول البكاء يقول ذروني أبكي قبل بكاء اليوم الطويل قبل تحريق العظام واشتعال اللحى بالنار قبل ان يؤمر بالعبد الى جهنم فتسحبه ملائكة غلاظ شداد وقد كان عبد العزيز بن عمير رحمه الله تعالى يقول لما أصاب داود عليه الصلاة والسلام الخطيئة نقصت قوته وبح صوته فقال الهي قد بح صوتي في صفاء أصوات الصديقين فأوحى الله اليه ان الصديقين لا يخطئون وقد كان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول كان داود عليه الصلاة والسلام قبل وقوعه في الخطيئة يقول اللهم لا تغفر لمن عصاك غيرة لجناب الحق عز وجل فلما وقع في الخطيئة صار يقول اللهم اغفر لكل خطاء حتى تغفر لعبدك داود معهم وكان مجاهد رحمه الله تعالى يقول لما اشتد البكاء على داود عليه الصلاة والسلام ولم ير البكاء ينجع قال يا رب أما ترحم بكائي فأوحى الله تعالى اليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهي كيف أنسى ذنبي وكنت اذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح وأظلني الطير

وضرر هؤلاء على المسلمين أشد من ضرر اللصوص لأن هؤلاء يسرقون القلوب بالزي فيقتدي بهم غيرهم فيكونون سبب هلاكهم فان اطلع على فضائحهم فيظنون أهل التصوف كذلك فيصرحون بذم الصوفية على الاطلاق (وفرقة أخرى) ادعت علم المكاشفة ومشاهدة

وأنست

وأنست الوحوش الى بحرابي فماهذه الوحشة التي بيني وبينك يارب فأوحى الله اليه ياداود ذاك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية ياداود آدم خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتي وألبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج وقاري وشكا الى الوحدة فزوجته بحواء أمتي وأسكنته جنتي فلما عصاني مرة واحدة بأكله من الشجرة طردته عن جواري عريانا ذليلا ياداود اسمع مني ما أقول والحق أقول أطعتنا فأطعناك وسألتنا فأعطيناك وعصيتنا فأمهلناك وان عدت الينا أقبلناك (قلت) اعلم أن الذي يجب على كل مسلم أن يعتقد أن خطايا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا تعقل لأمثالنا بل ربما تقرب أحدنا بها الى الله تعالى ولا يجوز حملها على ما نتعقله نحن من المعاصي التي نهانا الله عنها فاحفظ ياأخي نفسك ولسانك في حق أكابر حضرة الله تعالى وخواص خلقه من أنبيائه وأصفيائه وقد ذكرنا في كتابنا الأجوبة عن الأكابر أن معاصي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام صورية لا حقيقية أجراها الله تعالى على أيديهم تعليما لهم بالفعل ليعلموا قومهم كيفية الخروج من المعاصي الحقيقية اذا وقعوا فيها وكان بكاؤهم أيضا صوريا فاعلم ذلك ياأخي وابك على قلة بكائك وادخل من الباب الذي دخل منه البكاؤن من خشية الله تعالى وهو الجوع وعدم أكل الحرام والشبهات فان من شبع من ذلك تحجر قلبه ضرورة كما تقدم لك بسطه مرارا وكان عبد الرحمن بن الأسود اذا اعتلت رجله قام على رجل واحدة الى الصباح ولا يترك قيام الليل وقيل للحسن البصري مرة ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وكانت شعوانة تقول لأصحابها ألزموا قلوبكم الحزن ومحبة الله ثم لا يبالي أحدكم حين مات وكان لأبي بكر بن عياش خطان أسودان في خديه من الدموع ولما سرق مصحف مالك بن دينار فكان اذا وعظ الناس بكوا فيقول كلنا نبكي فمن سرق المصحف والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة الاستغفار وخوف المقت كلما قرأوا القرآن لشهودهم عدم عملهم به وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله يقول كم من حامل للقرآن والقرآن يلعنه من جوفه. واذا عصى حامل القرآن ربه ناداه القرآن من جوفه والله ما لهذا حملت الا تستحي من ربك واعلم انه يجب على تالي القرآن أن يروض نفسه على يد شيخ صادق حتى يلطف كثائفه وحجبه المانعة من العمل بالقرآن وعن شهود عظمة الله تعالى فانه لو شهد عظمته عز وجل ما عصاه كما عليه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكمل ورثتهم اذ لا يقع أحد في معصية قط الا مع الحجاب اه وقد كان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى كلما ختم القرآن يستغفر الله تعالى سبعمائة مرة ثم يقول اللهم لا تمقتني بما قرأته من غير عمل سبعين مرة وكان الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى يقول حامل القرآن مقامه يجل عن أن يعصي ربه وكيف يصح له أن يعصي ربه وكل حرف من القرآن يناديه بالله عليك لا تخالف ما أنت حامله مني فلا ينبغي لحامل القرآن أن يلهو مع اللاهين ولا يسهو مع الساهين ولا يغفل مع الغافلين وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول يا أهل القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم فان القرآن ربيع القلب كما أن الغيث ربيع الارض وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله اذا الناس ناموا وبنهاره اذا الناس أفطروا وبحزنه اذا الناس ضحكوا وبصمته اذا الناس لغوا وبخشوعه اذا الناس يختالون يعني في ثيابهم ومشيهم وقد كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول لا ينبغي لحامل العلم والقرآن أن يكون جافيا ولا ممارِيا ولا رافعا صوته بالحديث والعلم ولا راغبا في الدنيا الان كل كلمة مما هو حامله تقول له ازهد في الدنيا وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من تأمل وجد كل كتاب أنزل يقول له اتق الله سبحانه وتعالى وكان صالح المري رحمه الله تعالى يقول قرأت القرآن على رسول الله ﷺ في المنام فلما ختمته قال لي ﷺ هذا القرآن فأين البكاء. وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ما مصيبة أعظم من مصيبتنا يتلو أحدنا القرآن ليلا ونهارا ولا يعمل به وكله رسائل من ربنا الينا وكان ولده علي رحمهما الله تعالى يقول من لم يبك على نفسه عند تلاوة القرآن فهو مغرور لأن المراد منه العمل

الحق ومجاوزة المقامات والوصول والملازمة في عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف ذلك والوصول اليه الا باللفظ والاسم فتلقف من الالفاظ الطامة كلمات فهو يرددها وهو يظن أن ذلك من أعلى علم الأولين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمقرئين والمحدثين وأصناف

لا التلاوة وكان أبو اذا قرأ القرآن يبكى حتى يكاد لا يقدر على اتمام السورة ويقول انى لأتعجب ممن يفرح كلما ختم القرآن تلاوة ولا يطالب نفسه بشىء من مواعظه وزواجره وقوارعه وقد كان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول ربما أقوم خمس ليال متوالية بآية واحدة أرددها وأطالب نفسى بالعمل بما فيها ولولا أن الله تعالى يمن على بالغفلة لما تعديت تلك الآية طول عمرى لأن لى فى كل تدبر علما جديدا والقرآن لا تنقضى عجائبه وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لولا أن الله تعالى يعطى لكل من الأولياء من معانى القرآن هبة منه تبارك وتعالى حال تلاوتهم له لما قدر أحد منهم على تلاوته كله فى ليلة واحدة واذا الكمل لبثت قلوبهم المتعلقة بالقرآن خمسة مستنبطة بفكر ولا امعان نظر انما هى مواهب يهبها لهم حال تلاوتهم فتكون عين التلاوة وهى عين المعانى ومتى تخلفت المعانى عن النطق فذلك من نتيجة الفكر قال رحمه الله وعليه يحمل قول الحق عز وجل للامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه حين رآه فى المنام وقال له يارب بم يتقرب اليك المتقربون قال بكلامى يا أحمد قال يارب بفهم أم بغير فهم قال تعالى بفهم وبغير فهم فالمراد من قوله وبغير فهم أن معانيه تأتى اليهم من طريق الكشف لا بواسطة الفكر وهذا هو اللائق بشرح هذا الكلام وان كان تالى القرآن له الثواب على كل حال اه (قلت) وهو كلام غريب فليتأمل وكان أنس بن مالك رضى الله عنه يقول رب تال للقرآن والقرآن يلعنه وكان أبو ميسرة رحمه الله تعالى يقول الغريب هو القرآن فى جوف الفاجر وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول الزبانية الى حملة القرآن أسرع منهم الى عبدة الأوثان أى لكونهم خالفوا ما حملوا وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اذا قرأ العبد كلام الله ثم تكلم بلغو ثم عاد الى القرآن قال الله تعالى له مالك ولكلامى (قلت) ومن هنا كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى اذا كان يقرأ ثم كلمه أحد فى حاجة يقول بقلبه دستور يارب أكلم فلانا ثم يكلمه وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول ان حملة القرآن يسألون يوم القيامة عما يسأل عنه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعنى يسألون عن العمل بالقرآن أوغيره كاملا لانهم مأمورون أن لا يخلوا منه بحكم واحد وفى الحديث أكثر منافقى هذه الأمة قراؤها وقد أخبرنى سيدى الشيخ أبو السعود الجارحى رحمه الله أنه مكث عشرين سنة يتلو فى النهار ختما وفى الليل ختما وذلك قبل اجتماعه بشيخه فى الطريق سيدى أحمد المرحومى رحمه الله تعالى فلما اجتمع به وأخبره بذلك قال له ما حصلت شيئا لأنك كنت تفرح بعدد الختوم ولا تطالب نفسك بالعمل بشىء منه فقال نعم قال ثم أمرنى الشيخ بعد ذلك بالتدبر ومطالبة نفسى بالعمل بكل آية فما قدرت بعد ذلك على عشر ما كنت أقرأ فاعلم ذلك ياأخى والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ التهيؤ للوقوف بين يدى الله تعالى فى كل صلاة من أول الوقت فكان أحدهم يستشعر عظمة الله تعالى شيئا فشيئا من حين وضوئه ومن حين ينادى بحى على الصلاة حتى يصل الى الحضور مع الله تعالى بحسب مقامه لا سيما ان كان أحدهم يطالع علما قبل الصلاة أوفى خصومة أونحو ذلك فان استحلات الحضور عليه بعد الآن كان يستعد له من قبل دخول الوقت وقد كان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله يستعد للوقوف فى الصلاة قبل دخول الوقت بعشر درج فقلت له يوما أنت بحمد الله ليس لك علاقة دنيوية تمنعك من الحضور فقال ان لكل انسان عوائق بحسب مقامه ولولا الحجاب الذى لهم قبل الصلاة لما أضربت ألوانهم عند القيام اليها فلا بد لكل ولى من حجاب ينكشف له عند القيام الى الصلاة فيزداد بذلك تعظيما لربه عز وجل ولولا وجود الحجاب النسبى لما كان الخليل عليه الصلاة والسلام اذا دخل فى الصلاة يسمع لجوفه ضجيج من مسيرة ميل وانما نقل عن الأكابر زيادة التعظيم لله تعالى فى الصلاة لانهم يقفون فيها بين يدى الحق عز وجل كما يقف غلام الملك بين يديه ولله المثل الأعلى اه وفى الحديث خمس صلوات كتبهن الله تعالى على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة وفى الحديث أيضا أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فان وجدت تامة قبلت منه سائر أعماله وان وجدت ناقصة ردت عليه سائر عمله وفى الحديث أيضا من لم يتم ركوع الصلاة ولا

سجودها

---

العلماء بعين الازدراء فضلا من العوام حتى أن الفلاح ليترك فلاحته والحائك حياكته ويلازمهم أياما معدودة فيتلقف تلك الكلمات الزائفة فتراه يرددها كأنه يتكلم عن الوجد ويخبر عن أسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول فى العباد أجراء متعبون ويقول

سجودها ولا خشوعها خرجت وهي سوداء مظلمة تقول لصاحبها ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شاء الله تعالى لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وكان سعيد التنوخي رحمه الله تعالى كلما صلى تنحدر دموعه تتناثر على خده ولحيته قال ورأى الحسن البصري رحمه الله تعالى رجلا يصلي وهو يعبث بلحيته فسمعه وهو يقول في سجوده اللهم زوجني في الجنة من الحور العين ما تقر به عيني فقال له الحسن يا هذا ما رأيت خاطبا للحور أقل حياء منك تخطب الحور من الله تعالى وأنت تلعب وكان مسلم بن يسار اذا دخل في الصلاة لا يدري أي شيء يكون ممن حوله وكان رحمه الله تعالى يقول لاهله لا ترفعوا أصواتكم عندي الا اذا رأيتموني دخلت في الصلاة فاني اذا كنت فيها لا أسمع شيئا من كلامكم وقد سقط جانب المسجد وهو يصلي فيه فوقعت ضجة عظيمة وخرج الناس مسرعين منه وهو لا يعلم بذلك حتى سلم من الصلاة وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه اذا حضرت الصلاة يصفر لونه ويتغير ويقول انها أمانة وانها عرضت على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وحملتها أنا فلا أدري هل أوفي بآدابها أم لا وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول قال داود عليه الصلاة والسلام يا رب من الذي تقبل صلاته وينبغي له أن يدخل بيتك يعني المسجد فأوحى الله اليه من تواضع لعظمتي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من أجلي وأطعم الجائع وآوى الغريب ورحم المصاب فذلك الذي ينبغي له أن يدخل بيتي وأجيب دعاءه وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول ما صليت صلاة قط الا ورأيت ما أتيت به فيها من سوء الأدب أكثر مما فعلت فيها من الطاعة وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول ركعتان مع حضور قلب خير من ألف ركعة والقلب ساه وقد كان علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم يسمى السجاد لكثرة سجوده وكان يقول ان الخضوع فيه أفضل من الخضوع في الركوع فلذلك كنت أكثر منه قيل كان ورده كل يوم ألف ركعة وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يسجد في صلاته على التراب دون الحصير ويقول ان ذلك أقرب الى الخضوع بين يدي الله تعالى وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم اذا دخل المسجد ارتعد وتغير من شدة هيبة الله حتى لا يعي شيئا من أمور الدنيا ويذهل عن كل شيء وقد كان شيخنا سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى آخر من أدركته من رجال هذا المقام كان رحمه الله لا يتجرأ أن يدخل المسجد الا تبعا للناس وكان سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى يقول من جلس في المسجد فانما يجالس ربه عز وجل وسيأتي على الناس زمان يجلسون في المسجد حلقا حلقا حديثهم فيه الدنيا فلا تجالسوهم (قلت) هذا في الحديث المباح فما بالك بمن يجلس في المسجد يستغيبون فيه العلماء والصالحين نسأل الله العافية فاعلم ذلك يا أخي وتخاشع عسى تحشر من الخاشعين والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ العمل على كشف حجابهم حتى يصير أحدهم يصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره الشريف كلما شاء وكذلك يصلي خلف كل نبي عليهم الصلاة والسلام لما ورد أنهم عليهم الصلاة والسلام يصلون في قبورهم باذان واقامة وقد كان سيدي الشيخ أبو العباس المرسي قدس الله سره يصلي الصلوات الخمس خلف رسول الله ﷺ كما أخبر بذلك عن نفسه وكذلك كان أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى وقد قال سيدي أبو العباس رحمه الله يوما لاصحابه أيكم يجالس رسول الله ﷺ ولا يحتجب عنه في ليل ولا نهار فقالوا كلهم ليس منا أحد يقع له ذلك فقال لهم ابكوا على قلوب محجوبة عن أسرار الملكوت والله لو احتجب عني رسول الله ﷺ لحظة ما عددت نفسي من المسلمين انتهى (قلت) وهو مقام شريف لا يصل اليه السالك الا بعد مجاوزة مائة ألف حجاب وسبعة وأربعين ألف حجاب وتسعمائة وتسعة وتسعين حجابا فليس ذلك لكل ولي كما أوضحنا ذلك في كتابنا العهود المحمدية وتقدم أيضا في أوائل هذا الكتاب فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ مراعاتهم الأدب في الصوم والحج زيادة على آدابهم في القربات الشرعية وذلك ليحفظ أحدهم من وصول ابليس اليه بالوسوسة من العام الى العام أو من بعد حجه الى

في العلماء انهم بالحديث محجوبون ويدعي لنفسه أنه الواصل الى الحق وأنه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند أرباب القلوب من الحمقاء الجاهلين لم يحكم قط علمه ولم يهذب خلقا ولم يرتب علما ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان ولو اشتغل بما ينفعه لكان أحسن له

أن يموت كما أنه اذا احضر قلبه فى صلاة الجمعة يحفظ من ابليس الى الجمعة الآتية كما أنه اذا احضر قلبه فى صلاة من الخمس يحفظه من ابليس الى الصلاة التى بعدها كما يعرف ذلك من أطلعه الله تعالى على أسرار الشريعة ممن يصلون الصلاة المأمور بها شرعا بخلاف من كانت صلاته عادية وقد سمعت شيخا مرة يقول لسيدى على الخواص رحمه الله تعالى أصليتم العصر فسكت الشيخ ولم يجبه لحظة ثم قال له لا تعد تقول لى مثل ذلك فتوقعنى فى الكذب اذ لا تسمى صلاة الا ما حضر العبد فيها مع ربه عز وجل من أولها الى آخرها بحيث لا يمر بخاطره فيها الا حب الله تعالى وكونه بين يديه وما يتلفظ به ويفعله من قراءة وذكر وركوع وسجود ونحو ذلك فقال الرجل لحاذا فأقول لكم اذا أردت أن أسألكم عن مثل ذلك فقال له قل لى هل قمت وقعدت مع الناس فى الوقت أم لا وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم ينزهون صومهم عن الضحك فيه ويقولون انه شهر المسابقة الى الخيرات لا شهر الضحك واللعب والغفلة وكان الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى يقول ان شهر الصوم شهر الجوع فمن لم يجع فيه حتى يتغير جلده لا يحصل على طائل من صومه وقد كان الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى يقول من لم يحبس جميع جوارحه عن المعاصى فهو مفطر وان جاع ومن حبس جوارحه فهو الصائم حقيقة (قلت) والمراد به كالمفطر فى نقص الاجر فى أحكام الآخرة حين يوفى العامل أجره وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول حج على بن الحسين رضى الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وتغير وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبى من الهيبة فقالوا له ألا تلبى فقال أخشى أن أقول لبيك فيقال لى لا لبيك ولا سعديك فقيل له لا بد من قولك فلما لبى غشى عليه وسقط عن راحلته ولم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه ولما قبل الحجر الأسود قال لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك وكذا أصحابه رضى الله عنهم ما قبلتك (قلت) وهذا يفهم أن عدم تقبيل أضرحة المشايخ أولى من تقبيلها لكون النبى ﷺ لم يثبت عنه أنه قبل شيئا من قبور اخوانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا بلغنا أنه صلى الله عليه وسلم أمر أحدا على ذلك يعنى على تقبيل قبر أحد من صالحى أمته فلذلك كان من الأدب التوقف عن تقبيل أضرحة المشايخ وأعتابهم ويجعل بدل ذلك الاقتداء بأخلاقهم ولما أحرم أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى بالحج لم يقدر أن يلبى حتى سار الركب ميلا وأخذته كالغشية فى المحمل ثم أفاق فقال لأحمد بن أبى الحوارى رحمه الله وكان معه يا أحمد ان الله عز وجل أوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام أن مر ظلمة بنى اسرائيل أن يقلوا من ذلك فانى أذكر من ذكرنى منهم باللعنة حتى يسكت عن ذكرى ويحك يا أحمد بلغنا أن الله تعالى يلعننا وقد ظلمنا أنفسنا وظلمنا غيرنا وكان مالك ابن دينار رحمه الله يقول رأيت شابا محرما وهو ساكت فقلت له لم لا تلبى يا غلام فقال لى يا شيخ وما تغنى عنى التلبية وقد سبق منى ذنوب وجرائم وقبائح وفضائح لا تحصى فأخاف اذا لبيت أن يقال لى لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك ولا أنظر اليك قال مالك فقلت له يا ولدى ان الله تعالى كريم غفور فقال أو تشير على بالتلبية قلت نعم فوقع بجنبه على الارض وقال لبيك فشهق وخرجت روحه رحمه الله تعالى وكان الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى يقول حج سفيان الثورى رحمه الله تعالى ماشيا من البصرة فقيل له ألا تركب فقال أما يرضى العبد الآبق أن يأتى الى مصالحة سيده الا راكبا والله انى على غاية الخجل من مجيئى الى تلك الارض وقد كان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول رأيت شابا مصفر اللون وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يقول اللهم ان لك على حقوقا فتصدق على بها وان لعبادك على حقوقا فتحملها عنى من فضلك وقدم فضلك على وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يحجون على الراحلة من غير محمل ولا مظلة ويقولون المحرم أشعث أغبر وهذا ينافى ذلك وكان أحدهم اذا أراد الحج يمكث سنين يحصل فى الدراهم الحلال التى ينفقها فى حجه وكانوا لا يستعينون فى حجهم بشئ من أموال الولاة ولا أعوانهم والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم﴾ شدة الحياء من رؤية الخلق فضلا عن شدة حيائهم من ربهم

(وفرقة أخرى) تجاوزت هؤلاء فأحسنت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعى المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدعى الوجد وحب الله ويزعم أنه واله بالله ولعله قد تخيل بالله خيالات فاسدة

سبحانه وتعالى وفى الحديث الحياء من الايمان ولكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء وكان بشر الحافى رحمه الله تعالى يقول لكل شئ زينة وزينة الحياء ترك الذنوب ولكل شئ ثمرة وثمرة الحياء اكتساب الخير وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول ما عاقب الله تعالى قلبا باشد من ان يسلب منه الحياء وكان يوسف ابن أسباط رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يستحيون من الله تعالى أن يسألوه رضاه والجنة وانما يسألونه العفو والصفح وقد كان الامام مالك رضى الله عنه يقول أول من ضرب الاخبية فى سفره أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه قال انى رجل شديد الحياء من الناس فاستروني من رؤيتهم لى وكان رضى الله عنه لا يذهب الى الخلاء الا وهو مغطى رأسه حياء من الملائكة عليهم الصلاة والسلام (قلت) ولذلك جوزى رضى الله عنه باستحياء الملائكة منه دون غيره كما أشار اليه الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم الا أستحيى ممن تستحيى منه ملائكة السماء وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن عثمان رضى الله عنه كان يفرش للملائكة عليهم الصلاة والسلام رداءه على باب الخلاء ويقول اجلسا ههنا حتى أخرج اليكما اه فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) شدة التقوى لله تعالى وروية نفوسهم بعد ذلك انهم غير متقين وحبهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لنفسه والله لتتقين الله يا ابن الخطاب أو ليعذبنك ثم لا يبالى بك وكان رضى الله عنه يقول من اتقى الله لم يصنع كل ما يريده نفسه من الشهوات وفى الحديث من قيل له اتق الله فغضب أوقف يوم القيامة فلم يبق ملك الا مر به وعاتبه وقال له أنت الذى قيل لك اتق الله فغضبت يعنى يوبخونه بذلك وقد قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يزال الناس بخير ما دمت فيهم يا أمير المؤمنين فقال لا يزال الناس بخير ما أرضوا ربهم وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى اذا قرأ قوله تعالى واتقون يا أولى الألباب يقول عاتبهم لحبه اياهم وكان عروة الرقى رحمه الله يقول محبة العبد لربه حب القرآن والعمل به وحبه لرسوله صلى الله عليه وسلم هو عمله بسنته وكان مطرف ابن عبد الله رحمه الله تعالى يقول محبة العبد لربه أن لا يمل من تلاوة كتابه وكان سعيد بن جبير رحمه الله تعالى يقول من علامة محبة العبد لربه كثرة النصب والتعب فى عبادته فان حب الله تعالى لا ينال بالراحة وكان عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى يقول مررت برجل نائم فى الثلج فقلت له أما تحس بألم البرد فقال من ذاق طعم محبة الله تعالى لم يجد للبرد ولا للنار ألما والمراد المحبة الكاملة بالنسبة لكل مقام وكان محمد بن واسع رحمه الله تعالى يقول كم ممن يزعم أنه محب لله تعالى والله له مبغض اه فاعلم ذلك يا أخى والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) الزهد فى الدنيا وذمهم لكل من طلبها ومبالغة أحدهم فى ذلك حتى يصير ينطق بالحكمة كأنبياء بنى اسرائيل عليهم الصلاة والسلام وقد كان رأسهم فى الزهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتى عليه أربعون ليلة ما يوقد فى بيته نار ولا مصباح فقيل لعائشة رضى الله عنها كيف كنتم تعيشون قالت بالاسودين التمر والماء وكانت تقول قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كساء ملبد أى مرقع وازار غليظ وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول انما مثلى ومثل الدنيا كمثل رجل استظل تحت شجرة ثم راح وتركها وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول الزهد ثلاثة احرف فمعنى الزاى أن تترك زينة الدنيا ومعنى الهاء أن تترك هوى نفسك ومعنى الدال أن تترك الدنيا بأسرها فاذا فعلت ذلك فأنت زاهد وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول الزهد على ثلاثة أصناف فرض ويكون فى الحرام وواجب ويكون فى الشبهات وسنة ويكون فى الحلال قال ولذلك كان الزهد فى الرياسة أشد من الزهد فى الذهب والفضة لأنك تبذلهما فى تحصيلها وقد كان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول ليس الرجل الذى يعمل أهله وعياله على حد الزهد فى الدنيا وانما عليه أن يدعوهم اليه فان أجابوه والا زهد فى نفسه وأتاهم بما يصلحهم وكان رحمه الله تعالى يقول كل ما أشغلك عن ربك من أهل أو مال أو غير ذلك فهو مشئوم عليك (قلت) وذلك لأن الله تعالى جعل الموجودات كلها مذكرة للعبد بربه عز وجل وهناك تكون مباركة

رهى بدعة أو كفر فبدعى حب الله قبل معرفته وكذلك لا يتصور قط ثم انه لا يخلو قط مما يفارقه مما يكرهه الله وايثار هوى نفسه على أوامر الله وعن ترك بعض الأمور حياء من الخلق ولو خلا بنفسه لما تركها حياء من الله وليس يدرى ان كل ذلك يناقض الحب وبعضهم يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادى من غير

عليه بخلافها اذا حجبت العبد عن ربه ومن هنا كان الولد والمال أعظم فتنة للعبد لانه لا يصح له الاقبال على
الله تعالى مع الميل اليهم فافهم وقد بلغ وكيعا رحمه الله تعالى أن سفيان الثورى رحمه الله تعالى أكل الطباهيج
فعاب ذلك عليه وقال ان الناس يقتدون بك فى أكل الشهوات وكان بلال بن سعد رحمه الله يقول لولم يكن
لنا الارغبتنا بعد أن زهدنا الله فيها لكان فى ذلك كفاية من الذنب وقد كان أبو سليمان الدارانى رحمه الله
تعالى يقول قد سمعنا فى الزهد كلاما كثيرا واحسن ما رأيناه فيه أنه الزهد فى كل شىء يشغل عن الله تعالى
حتى العلم والعمل (قلت) يعنى بأن دخل فيهما الرياء والعجب أو حب ثناء الناس أو نحو ذلك والافمن أخلص
فى علمه وعمله لا يصلح فى حقه الزهد فى ذلك لأن الاخلاص فيهما مما يجمع قلب العبد على ربه عز وجل والله
أعلم وقد قال رجل مرة لسفيان بن عيينة رحمه الله تعالى دلنى على زاهد أجلس اليه من العلماء فقال له يا هذا
تلك ضالة لا توجد وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول الزهد كله تعب نفس فمتى مال صاحبه الى الراحة
فى الدنيا فقد رجع عن الزهد حينئذ وكان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى يقول قد طلبوا الامام أبا حنيفة
للدنيا فهرب منها وطلبنا نحن الدنيا فهربت منا فانظروا الحكم بين الرجلين وكان يوسف بن أسباط رحمه الله
يقول طلبت من الله تعالى ثلاث خصال أن أموت وليس فى ملكى درهم ولا على درهم ولا على عظمى لحم قال
فمات رحمه الله كذلك وقد أرسل الخليفة مرة بجوائز الى الفقهاء فقبلوها وأرسل الى الفضيل بن عياض
عشرة آلاف درهم فردها فقال له أولاده قد قبل الفقهاء ذلك وهم قدوة الناس فهلا قبلت أنت الآخر قال فبكى
وقال ما مثلى ومثلكم الا كمثل قوم لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت قالوا لبعضهم اذبحوها قبل أن لا تنتفعوا
بجلدها ولحمها وكذلك أنتم تريدون ذبحى على كبر سنى فاصبروا على الجوع خير لكم من أن تذبحونى
فقالوا أما نجد ما نشترى به تتقوت به اليوم قال فأخذ سكينا وقطع لهم قطعة من بساط بالية كان تحته وقال اشتروا بثمن
هذه شيئا تأكلونه وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام من رؤس الزهاد فكان يلبس الشعر ويأكل من ورق
الاشجار وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر قوت غد وأى مكان أدركه المساء نام فيه وقيل له مرة يا روح
الله ألا تتخذ لك حمارا تركبه فقال أنا أكرم على الله من أن يشغلنى بخدمة حمار وكان عليه الصلاة والسلام يقول
للحواريين بحق أقول لكم ان أكل نخالة الشعير مخلوطة بالرماد والنوم على المزابل مع الكلاب ولبس المسوح
الخشنة لكثير على من يموت قال ولم يتخذ له عليه السلام فراشا ولا مخدة ولا قصعة وقد وضع مرة لبنة تحت
رأسه فجاء جبريل عليه السلام وقال له يا عيسى ركنت الى الدنيا بعد زهدك فيها وجعلت تحت رأسك مخدة
من لبن قال فمن ذلك الوقت صار ينام جالسا الى أن رفع عليه الصلاة والسلام وكان يقول لبنى اسرائيل عليكم
بالماء القراح والبقل البرى ونخالة الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكر نخالة الشعير اه وقد اشترى
أمير المؤمنين على رضى الله عنه قميصا بثلاثة دراهم وهو اذ ذاك خليفة وقطع كميه من موضع الرسغين ولبسه
وقال الحمد لله الذى هذا من رياشه وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى اذا لبس القميص لا ينزعه حتى يخلق
وقيل له مرة الا تغسل قميصك فقال الأمر أعجل من ذلك وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لو
أن الدنيا كانت بأسرها تحت يدى ما فرحت بها ولو أن أحدا أخذها كلها من يدى ما تبعته ولا حزنت عليها
وكان رحمه الله يتقوت من ساقية الماء بمكة كان له جمل ينقل عليه الماء ويبيعه ويتقوت هو وعياله منه وكان
عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى يقول من يحفظ بطنه حفظ دينه وقد كانت بلية أبيكم آدم عليه الصلاة
والسلام كلة واحدة وهى بليتكم الى يوم القيامة فاعلموا ذلك (قلت) المراد بالبلية هنا الاختبار وهو
اختبار الحق سبحانه بنى آدم هل يصبرون على ترك شهواتهم أو يقعون فيها وأما اختبار آدم صلى الله عليه وسلم فانما
كان صوريا أوقعه الحق تعالى على يديه ليعرف ما يقع من بنيه اذا وجدوا من باب اطلاع رسله على الغيب
وليعرفه بما وقع على يديه كيف يتوب بنوه اذا وقعوا فيه فالخطاب له والحكم لغيره كما أوضحنا ذلك فى كتاب
الأجوبة عن الأكابر ومن أنطقهم بالحكمة يعنى القوم رضى الله عنهم لما أحكموا الزهد فى الدنيا قول
ابراهيم بن أدهم رحمه الله ليس بعاقل من ارتكب الذنب ومنه قول وهب بن منبه رحمه الله تعالى من قال

زاد ليصحح التوكل وليس
يدرى أن ذلك بدعة لم تنقل
عن الصحابة وسلف هذه
الامة وقد كانوا أعلم بالتوكل
منه فما فهموا من التوكل
المخاطرة بالروح وترك الزاد
بل كانوا يأخذون الزاد وهم
متوكلون على الله لا على
الزاد وهذا ربما يترك الزاد
وهو متوكل على سبب من
الأسباب يثق به وما تقدم
من المقامات المنجية الاوفى

فيك

فيك من الخير ما ليس فيك فلا بد أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن
من ساء به الظن وقوله اياكم وما يعتذر منه وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول ما رأيت يقينا اشبه
بالكذب من يقين الناس بالموت مع غفلتهم عنه وكان الأحنف بن قيس رحمه الله يقول لا يرجع الشباب
بالخضاب ولا الصحة بالدواء وكان معاوية رضى الله عنه يقول أنت الزمان فان صلحت صلح وان فسدت
فسد وقد قال معاوية رضى الله عنه مرة لرجل من سبأ ما كان أجهل قومك حتى ملكوا عليهم امرأة فقال له
الرجل قومك أجهل فان الله تعالى لما بعث محمدا ﷺ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر
علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم هلا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له قال
فسكت معاوية وفى الحديث لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وفى
الحديث أيضا الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادى من لا علم له
وعليها يحسد من لا فقه له وعليها يسعى من لا يقين له وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ان الله
تعالى جعل الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا
وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول بحب الدنيا يخرج حلاوة الايمان من القلب وقد كان وهب بن
منبه رحمه الله تعالى يقول من ملك الدنيا تعب ومن أحبها صار عبدا لها فقليلها لا يكفى وكثيرها لا يغنى وكان
أبو سليمان الدارانى رحمه الله يقول ليس لطالب الدنيا غاية يقف عندها كما أنه ليس لطالب الآخرة غاية وقد
روى أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان يقول لا يستقيم حب الدنيا والآخرة فى قلب كما أنه لا يستقيم جعل
الماء والنار فى اناء واحد وكان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول من أخذ الدنيا من حلها وأنفقها فى مرضاة
الله عز وجل فقد أرضى ربه سبحانه وتعالى وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول الدنيا حانوت الشيطان
فلا تسرق من حانوته شيئا فيأت فى طلبك فيأخذك وقد روى أنه لما مات نوح عليه الصلاة والسلام قال له
جبريل عليه الصلاة والسلام يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من
أحدهما وخرجت من الآخر وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول الدنيا عروس ومحبها ماشطتها والزاهد
فيها يمزق شعرها ويسود وجهها ويقطع ثيابها ويكسر حليها وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول
من علامة محبة العبد لربه عز وجل أن يبغض ما أبغضه الله فمن ادعى أنه يحب الله ثم هو يحب الدنيا فهو كاذب
فى دعواه لأن الله يبغضها وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول فى دعائه اللهم يا حابس السماء أن تقع
على الأرض الا باذنه احبس عن ابراهيم الدنيا وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول كنا معاشر
بنى آدم نسلا من نسل الجنة فسبانا ابليس وأخرجنا منها الى دار الفناء والبوار فلا ينبغى لعاقل أن
يفرح ويطمئن الا بعد عوده الى الدار التى خرج منها وقد دخل جماعة على رابعة العدوية رحمها الله تعالى
فأكثروا من ذم الدنيا عندها فقالت لهم كفوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها
وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول ان الجسم اذا اكامل سقمه لا ينجع فيه طعام ولا شراب وكذلك
القلب اذا علق فيه حب الدنيا لا تنجع فيه المواعظ وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول من نافسك فى دينك
فنافسه ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره والمنافسة المفاخرة وقد كان كعب الأحبار رضى الله عنه يقول
مر عيسى عليه الصلاة والسلام يوما على رجل نائم فقال له ألا تقوم يا هذا فتعبد الله عز وجل فقال الرجل
انى قد عبدته بأفضل العبادة قال عيسى وما هى قال تركت الدنيا لأهلها فقال له عيسى صدقت نم فقد فقت
العابدين وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئا فليصبر على مخالطة
الكلاب له وكان مسلم النحات رحمه الله تعالى يقول والله لجراب بعر أوقد به تحت التنور أحب الى من جراب
ذهب اه فاعلم ذلك يا أخى واعمل عليه ان طلبت النجاة فقد ورد فى الحديث ان بين أيديكم عقبة
كئودا لا ينجو منها الا المخفون فقال رجل يا رسول الله أمن المثقلين أنا أم من المخفين فقال له النبى ﷺ
أعندك قوت يومك قال نعم وقوت غد يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لو كان عندك قوت

رغرور وقد اغتر بها قوم
وقد ذكرنا مداخل الآفات
فيها فى ربع المنجيات من
كتاب الاحياء (وفرقة
أخرى) ضيقت على أنفسها
أمر القوت حتى طلبت منه
الحلال الخالص وأهملت
تفقد القلب والجوارح من
غير هذه الخصلة الواحدة
ومنهم من استعمل الحلال
فى مطعمه وملبسه ومكسبه
ويتعمق فى ذلك ولم يدر أن

بعد غد كنت من المتقين اه فهذا ميزان الشريعة وأنت أعلم بنفسك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ تقديمهم عمل الحرفة والصنعة التي تكفهم عن سؤال الناس على سائر نوافلهم وواجباتهم الموسعة وقد سئل الحسن البصري رحمه الله تعالى عن رجل يحتاج الى الكسب فلو ذهب لصلاة الجماعة احتاج ذلك النهار الى سؤال الناس فقال يتكسب ويصلي منفردا وفي الحديث ان الله عز وجل علم آدم عليه الصلاة والسلام ألف حرفة وقال قل لولدك يتعلمون هذه الحرف ويأكلون بها ولا يأكلون بدينهم وفي الحديث أيضا ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وان أبطأ عنها فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فان الله لا ينال ما عنده بمعصية وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لا يقعد أحدكم في المسجد ويترك طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فان ذلك خلاف السنة وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقد سئل الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن رجل يجلس في بيته أو في المسجد وقال لا أعمل شيئا حتى يعطيني الله تعالى رزقي فقال هذا رجل جهل العلم أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم جعل الله رزقي تحت ظل سيفي يعني الغنائم (قلت) ويشهد لذلك أيضا حديث الطبراني الذي في الطير وأنها تغدو خماصا وتروح بطانا فقد ذكر فيه أنها تغدوا في طلب الرزق وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتجرون في البر والبحر والقدوة بهم أولى وقد قال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فسماهم رجالا لما أقاموا في الأسباب ولم يشتغلوا بها عن ذكر الله وهذا هو الكمال وقد روي عن عيسى عليه الصلاة والسلام مر يوما برجل جالس فقال له ما تفعل ههنا فقال أتعبد يا روح الله قال فمن يعولك قال أخي فقال له أخوك أعبد منك وفي الحديث أنهم ذكروا للنبي ﷺ رجلا وصاروا يثنون عليه خيرا ويذكرون من عبادته سفرا وحضرا فقال ﷺ فمن كان يطعمه ويسقيه ويعلف دابته ويكفيه صنعته قالوا نحن يا رسول الله فقال ﷺ كلكم خير منه وكان حذيفة رضي الله عنه يقول خيركم من عمل لآخرته ودنياه وقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول اني لأكره أن أرى رجلا فارغا من أعمال الدنيا والآخرة وكان أبو قلابة رضي الله عنه يقول اذا كان الرجل في معاشه ساعيا فهو أفضل من الجالس في المسجد وقد كان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول ليس الشأن أن تصف قدميك بالعبادة وغيرك يتعب لك انما الشأن أن تحوز رغيفك في بيتك ثم تعلقه وتصلي فلا تبالي بعد ذلك بأي داق دق الباب بخلاف من قام في بيته يصلي وليس عنده شيء فانه يصير كل داق دق الباب يقول ان معه رغيفا وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول لأصحابه عليكم بالحرفة فان عامة من أتى أبواب الأمراء انما أتاهم من حاجة اه فاعلم ذلك يا أخي واعمل عليه واتبع سلفك والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ حب المساكين والتواضع لهم والنفرة من مجالسة الأغنياء من غير احتقار لهم عملا بقوله ﷺ اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين وقد كان سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام مع ما أوتيه من الملك اذا دخل المسجد يجالس المساكين ويقول مسكين يجالس مساكين وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يحب أن ينادى يا مسكين ولم يكن اسم أحب اليه من هذا الاسم وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول يختبر عقل الرجل عما اذا جلس بجنبه على بساطه مسكين رث الهيئة بغير اذنه فان تكدر منه فهو ناقص العقل وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن نبيا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال يا رب كيف لي أن أعلم رضاك عني فأوحى الله تعالى اليه أن انظر رضا المساكين عنك وروي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه زجر جماعة من أهل الصفة في أمر بلغه عنهم رضي الله عن الجميع فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال له لعلك يا أبا بكر أغضبتهم ان كنت أغضبتهم فقد أغضبت ربك قال فذهب اليهم أبو بكر وتعطف بهم وقال لعلي أغضبتكم فقالوا لا ويغفر الله لك يا أبا بكر وقد كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول أتباع الأنبياء

الله لم يرض العباد الا بالكمال والطاعات فمن اتبع البعض وأهمل البعض فهو مغرور (وفرقة أخرى) ادعت حسن الخلق والتواضع والسماحة فقصدوا الخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة لحطام الدنيا وجمعا للمال وانما غرضهم التكبر والتكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع

فى كل زمان الفقراء والمساكين دون الأغنياء والمتكبرين وقد كان رسول الله ﷺ أشد الناس تواضعا للفقراء وكان اذا جلس عندهم يضع الركبة على الركبة ويقول انما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد وفى الحديث من سره أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار (قلت) ومعنى الحديث كما قاله بعض العلماء أن يحب وقوف الناس بين يديه وهو جالس كما يفعل الملوك وبعض مشايخ العجم والله أعلم وكان أنس ابن مالك رضى الله عنه يقول لم يكن أحد أحب الينا من النبى ﷺ وكنا اذا ورد علينا لا نقوم له لما نعلم من كراهيته لذلك إلا حسان بن ثابت رضى الله عنه كان يقوم له ولا يتمالك الصبر عن ذلك ويقول لا يليق بمثله دين وعقل أن يراك يا رسول الله ولا يقوم وكان ﷺ يقره على ذلك وقد كان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول لا يزداد عبد يمشى الناس معه إلا بعدا من الله تعالى وفى رواية لا يزداد العبد بالمشى خلفه من الله تعالى الا بعدا وقد قيل ليونس بن عبيد رحمه الله تعالى لما انصرف من الموقف بعرفة كيف كان الناس قال بخير الا أنى كنت فيهم ولولا أن الله تعالى لطف بهم لما أنزل عليهم رحمة بسببى وكان زياد النميرى رحمه الله تعالى يقول الزاهد بغير تواضع كالشجرة التى لا تثمر وكان عبد العزيز بن أبى رواد رحمه الله تعالى يقول والله لا أعرف على وجه الأرض الآن رجلا أشر منى وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يخدم الضيوف بنفسه ويقوم يصلح المصباح فاذا قيل له فى ذلك يقول قمت وأنا عمر وجلست وأنا عمر وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى اذا دعى الى وليمة يجلس بين المساكين ويلحس الأوانى معهم قال وثارت ريح حمراء فسألوا عبد الله بن مقاتل رحمه الله تعالى أن يدعو لهم فقال ياليتنى لا أكون سبب الهلاك لهم قال فرأى بعضهم النبى ﷺ تلك الليلة فى منامه وقال له ان الله تعالى دفع عنكم شر ذلك الريح بدعاء عبد الله بن مقاتل حين هضم نفسه وقد صلى بشر بن منصور رحمه الله تعالى مرة وأطال فيها وكان ذا خشوع وكان خلفه رجل لم يعلم به فلما سلم من صلاته قال له يا أخى لا يعجبنك ما رأيته منى فان ابليس قد عبد الله تعالى مع الملائكة آلافا من السنين ثم صار الى ما تعلم وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم ينفرون من مجالسة الأغنياء ومن مجالسة كل غافل عن الله تعالى وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لا تدخلوا على هؤلاء الذين يجمعون الدنيا ولا ينفقونها فى سبيل الله تعالى فان ذلك مسخطة للرب عز وجل وربما ازدرى أحدكم ما هو فيه من النعم برؤية أمتعتهم وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول كم من عالم يدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج وليس معه من دينه شىء والعياذ بالله تعالى وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول التعزز على الأغنياء تواضع وقد كان حذيفة رضى الله عنه يقول اتقوا الوقوف على أبواب السلاطين فانها مواضع الفتن وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول ما أنصفنا اخواننا الأغنياء يقول لى أحدهم انى أحبك فى الله يا أبا الدرداء فاذا طلبت من أحدهم شيئا من الدنيا فارقنى وهرب ويكفينا من الاغنياء فى الشرف فرارهم الينا عند الشدائد وعدم فرارنا نحن اليهم وقد كان سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى يتجر فى الزيت ويقول ان فى هذا الغنى عن الوقوف على أبواب الأمراء وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول صحبة السلطان خطر عظيم فانك ان أطعته خاطرت بدينك وان عصيته خاطرت بنفسك فالسلامة أن لا تعرفه ولا يعرفك ولما خالط الزهرى السلطان كتب اليه مالك بن دينار يقول عافانا الله يا أخى مما وقعت أنت فيه من الفتن بعد أن كنت شيخا ما لختمت عمرك بصحبة الظالمين وصرت تحاجج عنهم اذا أنكر أحد عليهم ولو لم يكن فى قربك منهم الا أنك آنستهم وطردت وحشتهم لكفاك ذلك من الاثم ثم ان مالكا هجره الى ان مات اهـ فاعلم يا أخى ذلك واياك ومجالسة الاغنياء وأبناء الدنيا الا لضرورة شرعية يسوغ لك معها ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) محبة المال للانفاق لا للامساك وتقديمهم الخوف من الحاجة الى الناس على خوف الحساب من جهة ذلك المال الذى ربما دخلته الشبهة وقد كان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول لأن أخلف بعدى أربعين ألف دينار أسأل عنها يوم القيامة أحب الى من أن أقف

ويظهرون أن غرضهم الانفاق وغرضهم الاستتباع ويظهرون أن غرضهم الخدمة وهم يجمعون الحرام والشبهات لينفقوا عليهم فتكثر أتباعهم وتنتشر بتلك الخدمة ذكرهم ومنهم من يأخذ من أموال السلاطين وينفق عليهم ومنهم من يأخذ من أموال السلاطين والظلمة لينفق ذلك بطريق الحج على

على باب أحد أسأله حاجتي وفي حكمة لقمان عليه السلام قال لابنه يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر أحد الا أصابته ثلاث خصال الأولى رقة الدين والثانية ضعف العقل والثالثة ذهاب المروءة وهي أعظمها وأعظم من هؤلاء الثلاثة استخفاف الناس به وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول يحفظك لما في يدك لتقضي به حاجتك أولى من تصدقك به وطلبك لما في يد غيرك فان العبد لا يزال بخير ما حفظ خصلتين كرهه لمعاشه ودينه لمعاده وكان قيس بن عاصم مع شدة زهده وورعه رحمه الله تعالى يقول لبنيه عليكم بجمع المال الحلال فانه يسر الصديق ويكمد العدو وتستغنون به عن سؤال الناس لاسيما اللئيم واياكم وسؤال الناس فانه كسب العاجز بن اه وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يبيعون في السوق وعلى أحدهم الزحام من الناس فاذا سمع الأذان للصلاة نهض مسرعا وترك البيع وأما أهل زماننا فان نفق السوق أخروا الصلاة وان كسد ندموا وكان أبو قلابة رضي الله عنه يقول عليكم بملازمة السوق والصنعة فانكم لن تزالوا كرماء على اخوانكم ما لم تحتاجوا اليهم وقد وقف سائل مرة على باب مالك بن دينار رحمه الله تعالى فخرج اليه برغيف فأعطاه له فقال له زدني فأعطاه آخر فلم يزل يسأل ويستزيد ومالك يعطيه حتى أخرج اليه جميع ما عنده في البيت حتى الأواني والفرش وغير ذلك فقال له زدني فقال مالك والله يا أخي لم يبق عندي شيء الآن تأخذني وتبيعني وتقبض ثمني قال فتركه السائل وذهب ولم يأخذ شيئا مما أعطاه له قال بعضهم ويقال انه كان ملكا جاء ليختبره وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة بيته سبعة أيام عقوبة له (قلت) ومحل ذلك ما اذا رده مع القدرة وأما العاجز فلا والله أعلم وقد سئل سحنون رحمه الله تعالى عن الرجل يسأله السائل فيخرج له بصدقته فيجده قد ذهب فماذا يفعل بتلك الصدقة فقال أحب أن يتصدق بها على غيره وان أعادها الى ماله فلا بأس اه فاعلم ذلك يا أخي أنفق كل ما دخل في يدك وفضل عن حاجتك ولا تدخر شيئا الا على اسم غيرك من العائلة ونحوهم والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ كثرة الصدقة ليلا ونهارا بكل ما فضل عن حاجتهم بشرط الحل في ذلك كما تقدم مرارا فقد ورد في الحديث ولا يكسب عبد مالا من حرام فيتصدق به فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار وقد كان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول تركك قبول الشبهات وعدم التصدق بها أولى وهذا الخلق قد كثر تخلق الفقراء به في هذا الزمان فيأخذ أحدهم في الشبهات ويتصدق بها ويعمل منها مولدا ويطعم الناس تأليفا لقلوبهم أو لتعظم له عليهم الرياسة وبعضهم يقبل الشبهات على اسم الفقراء ويأكلها وحده وهذا أقبح حالا من الأول وقد حث رسول الله ﷺ على الصدقة وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة ومعلوم ان الصدقة من الشبهات لا تقي صاحبها من النار وقد كانت عائشة رضي الله عنها تقول قال لي رسول الله ﷺ يا عائشة اذا طبختم قدرا فأكثروا من مرقتها وتعاهدوا الجيران وكذلك قال ﷺ لأبي الدرداء رضي الله عنه يا أبا الدرداء اذا صنعت طعاما فأكثر المرق وتعاهد جيرانك وقد تصدقت عائشة رضي الله عنها بسبعين ألف درهم وان درعها لمرقع وكان مجاهد رحمه الله تعالى يقول لا يتصدق أحدكم الا بما يشتهيه فان الله تبارك وتعالى يقول ويطعمون الطعام على حبه أي وهم يشتهونه وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا فلعلهم يعودون على أولي الحاجة منا وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول تصدقوا فانه بلغنا أن الصلاة تبلغ العبد نصف الطريق والصوم يبلغه باب الملك والصدقة تدخله على الملك وفي الحديث ان عابدا عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله بها ثم نزل يغتسل فمر به مسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمله وفي الحديث أيضا باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتجاوزها وقد كان الصحابة رضي الله عنهم لا يخرجون لصلاة الصبح الا بشيء يتصدقون به على أول مسكين يلقونه ولو بلقمة أو بصلة أو زبيبة وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول ما أعرف حبة توزن بجبال

الصوفية ويزعم أن غرضه البر والانفاق والباعث لجميع ذلك انما هو طلب الرياء والسمعة وكذلك انما المهم لجميع أوامر الله ورضاهم بأخذ الحرام والانفاق منه ومثال الذي ينفق المال الحرام في طريق الحج كمن يعمر مسجدا ويطينه بالعذرة وغيرها من النجاسات ويزعم أن قصده الطهارة (وفرقة أخرى)

الدنيا الا حبة الصدقة وكان ابراهيم النخعي رحمه الله تعالى يقول تصدقوا بالسليم فانه لا ينبغى أن يكون فيما يخرجه المرء لله تعالى عيب أو نقص وقد سئل الامام مالك رضى الله عنه عن شرب الاغنياء من الماء الذى يسبل فى المسجد فقال لا بأس به لانه انما جعل للعطشان كائنا ما كان ولم يرد صاحبه تخصيص أهل الحاجة به وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول اكتسبوا من الحلال وتصدقوا منه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله به من أين يدخله النار اهـ وفى الحديث من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحما أو تصدق به أو انفقه فى سبيل الله جمع له ذلك جميعا ثم قذف به فى نار جهنم وقد كانت عائشة رضى الله عنها تقول انكم لتغفلون عن الورع وهو أفضل العبادة وقد كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يقول لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار ما قبل الله تعالى ذلك منكم الا بورع حاجز وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول ما أدرك من أدرك من القوم الا من كان يعقل ما يدخل جوفه يعنى رغيفه من الحلال وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول من عرف كل ما يدخل فى جوفه كتب عند الله صديقا وممن يصحبه الورع فى فقره كل الحرام المحض ولا يشعر وكان بشر الحافى رحمه الله تعالى يقول الورع هو ترك التأويل وترك الاخذ بالرخص عند الضرورات وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول لو انا نجد درهما من حلال لكنا نشترى به قمحا ونطحنه ونحوزه عند نا فكل من عجز الاطباء عن مداواته داويناه به فيخلص من مرضه لوقته وكان مسعر بن كدام رضى الله عنه يقول لا أعلم اليوم فى زماننا هذا حلالا الا ما يشرب به الرجل من النهر بكفه وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول ركب الحلال أشد من نقل جبل الى جبل وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول لو قام أحدكم حتى صار كهذه السارية ما قبل الله منه ذلك حتى يعلم ما يدخل فى جوفه وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول من تصدق من حرام أو انفقه فى طاعة فهو كمن يطهر ثوبه بالبول وكان يقول لا تكفر الصدقة شيئا من الذنوب الا ان كانت من حلال وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول لا يقبل الله صلاة أحدكم وفى جوفه شيء من الحرام وقد أقام ابراهيم بالشام أربعا وعشرين سنة لاجل طلب القوت الحلال ولم يقم لجهاد ولا غيره وكانت اقامته فى جبل لبنان فكان يأكل من فواكهه المباحة التى لم تدخل فى ملك أحد من الخلق رحمه الله تعالى وكان بشر الحافى يقول بلغنا ان معبدا رحمه الله تعالى ترب مرة كتابا من حائط جاره بغير اذنه فرأى تلك الليلة فى منامه قائلا يقول له سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه غدا من سوء الحساب وقد كان السلف يسافرون لتعلم الورع كما يسافرون لطلب العلم والحج رضى الله عنهم فاعلم ذلك يا أخى ودقق فى الورع وهيهات أن تصل الى شبهات السلف الصالح والحمد لله رب العالمين

✱ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ✱ عدم حبهم للرياسة فى شيء من أمور الدنيا لما فيها من كثرة الآفات وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول ما أحب أحد الرياسة على الناس الا أحب ذكر عيوب الناس ونقائصهم وكره ذكرهم بخير لتتم له الرياسة عليهم وكان محل ذلك فيمن طلب الرياسة بغير حق أما الطالب بالله فلا وكان يقول من أحب الرياسة على الناس لم يرتفع أبدا وكان الامام الشافعى رضى الله عنه يقول من طلب الرياسة قبل حينها فرت منه ومن تركها تبعته وكان يحيى بن الحسين رضى الله عنه يقول سمعت سفيان الثورى يقول من طلب الرياسة قبل وقتها أخفاه علم كثير وتقدم بسط الكلام على الرياسة فى هذا الكتاب فراجعه والحمد لله رب العالمين

✱ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ✱ سرورهم بالفقر وضيق المعيشة وغمهم بالغنى اذا أقبل وهذا الخلق لا يوجد اليوم الا فى بعض أفراد من الفقراء الذين صدقوا فى محبة رسول الله ﷺ وقد أدركت بحمد الله تعالى جماعة من أشياخ مصر كانوا رضى الله عنهم ينشرحون للفقر وضيق المعيشة ويكثرون من الحمد والشكر على ذلك منهم شيخنا سيدى على الخواص وسيدى الشيخ محمد بن عنان وسيدى محمد المنير والشيخ محمد العدل وغيرهم ولهذا الخلق لذة عظيمة أشد من لذة الغنى كما ذقنا ذلك ولله الحمد ولكن لا تحصل

ثم اشتغلت بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها فصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة لهم فهم فى جميع أحوالهم مشتغلون بالتحقيق عن عيوب النفس باستنباط دقيق الكلام فى آفاتها فيقولون هذا فى النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب ويتعمقون فيه

تلك اللذة الآلمن كمل زهده في الدنيا كما تقدم بسطه مرارا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس الزاهدين وكان يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وفي رواية كفافا وهو الذي لا يفضل عن غدائهم ولا عشائهم شيء منه وفي الحديث من أصبح آمنا في سربه أي نفسه معافى في جسمه عنده قوت يومه فكأنه حيزت له الدنيا بحذافيرها وقد قيل مرة لمحمد بن واسع رحمه الله ألا تأتي السلطان فتسأله شيئا تأكله فإنا نخاف عليك أن تموت مهزولا فقال لأن ألقى الله تعالى مؤمنا مهزولا خير لي من أن ألقاه منافقا سمينا وقيل مرة لإبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى بم نلت هذه الحكمة التي نراك تنطق بها فقال ببدن عار وقلب خائف وبطن جائع وفي رواية قال نلتها بقلة الأكل وقلة النوم وقلة الكلام وعدم ادخار شيء لغد وقد سئل ذو النون المصري رحمه الله تعالى من أقرب الناس إلى الوقوع في الكفر فقال شخص ذو فاقة وعيال ولا صبر له (قلت) ووقوع مثل هذا في الكفر يكون بالألفاظ التي ظاهرها السخط على مقدور الله تعالى والله أعلم وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول صاحب الدرهمين أشد غما بالدنيا من صاحب الدرهم الواحد وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول إن افتقر أحدكم فلا يجعل فقره بينه وبين الناس وليجعله فيما بينه وبين الله لئلا يهون في أعين الناس ولو كشف الله الحجاب عن قلب العبد إذا ضيق عليه المعيشة ورأى ما أعد الله تعالى له في الجنة لسأله أن يزيده من الضيق في الدنيا وقد جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم رحمه الله بعشرة آلاف درهم فلم يقبلها منه وقال له تريد أن تمحو اسمي من ديوان الفقراء بدراهمك هذه وتحبسني عن دخول الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام اذهب عافاك الله تعالى وقد روي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه الصلاة والسلام يا موسى إذا رأيت الدنيا مقبلة عليك فقل ذنب عجلت لي عقوبته وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل أراد أن يغسل ثوبه فلم يجد له خلقة يلبسها ورجل لم ينصب على مستوقده قدرين ورجل طلب شرابه فلا يقال له أيهما تريد وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول رأيت في منامي محمد بن واسع ويوسف بن أسباط رحمهما الله واقفين على باب الجنة فنظرت أيهما يدخل أولا فإذا هو يوسف ابن أسباط فقلت للملك كان هناك لم دخل هذا قبل هذا فقال لأنه كان له قميص واحد وكان لهذا قميصان اهـ وقد وقع مرة حريق بالبصرة فخرج الناس بما لهم من الأمتعة وخرج مالك بن دينار رحمه الله ومصحفه معلق في عنقه وقال هكذا نخرج من قبورنا غدا وقد كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول من أكرم الغني وأهان الفقير فهو ملعون فإن حب الفقراء من أخلاق المرسلين والفرار من صحبتهم من صفات المنافقين وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول كان الفقراء في مجلس سفيان الثوري رحمه الله تعالى كالأمراء وقد جاءه مرة رجل فقير فجلس بعيدا عنه فقال له تقرب يا أخي لو كنت غنيا ما قربتك وكان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول من يخاف من الفقر لم يرفع له عمل إلى السماء لأنه ما خاف الفقر إلا لتهمته لربه عز وجل والتهم له عدو الله وفي الحديث جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وفي الحديث لا تميتوا القلب بالطعام والشراب فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء وفي الحديث أيضا أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة ولا تناموا عليه يعني من غير ذكر فتقسو قلوبكم وفي الحديث شرار أمتي الذين يأكلون مخ الحنطة وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة ونتن في الممات وكان شقيق البلخي رحمه الله تعالى يقول آلة العبادة الجوع فإن المعدة إذا امتلأت تقاعدت الأعضاء عن العبادة وكان فتح الموصلي رحمه الله إذا اشتد به المرض والجوع يفرح بذلك ويكثر من الشكر وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول قلت لمحمد بن واسع رحمه الله طوبى لمن كان له قوت يغنيه عن الناس فقال لي طوبى لمن أصبح جائعا وأمسى جائعا وهو راض عن ربه عز وجل ثم أخرج خبزا يابسا فبله بالماء وأكله بالملح وقال من رضي من الدنيا بهذا فلا يحتاج إلى الناس اهـ فاعلم ذلك يا أخي واقتد بسلفك الصالح والحمد لله رب العالمين

﴿ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم﴾ كثرة الحزن على تفريطهم في جنب الله لا سيما عند رؤيتهم

بكلمات مسلسلة فضيعوا في ذلك أوقاتهم لأنهم وقعوا مع أنفسهم ولم يتعلقوا بخالقهم ومنهم من اشتغل بأوقات الحج وعوائقه ولم يسلك طريق الحج وذلك لا يغنيه عن الحج فهو مغرور (وفرقة أخرى) تجاوزت هذه المرتبة وابتدأوا سلوك الطريق وانفتحت لهم أبواب المعرفة فلما شموا من مبادي المعرفة المحة تعجبوا منها وفرحوا بها وأعجبتهم

القبور وتذكرهم أهوال يوم القيامة وخوفهم من الفتنة ماداموا في هذه الدار وفي الحديث لا تقوم الساعة
حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر اه نخاف القوم أن يدركوا ذلك
الزمان فلا يصح لهم فيه صبر ويقع منهم سخط فيهلكوا قال ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه بكى
فقيل له في ذلك فقال أخذني ما يأخذ الولد من الرقة وكان صلى الله عليه وسلم قد استأذن ربه في أن يستغفر لها فلم
يأذن له (قلت) وقد نقل الحافظ الجلال السيوطي رحمه الله تعالى وغيره من الحفاظ إحياء أبوي النبي
صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به ثم رجعا الى القبر وكان أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا مر بقبر بكى
حتى يبل لحيته وقد مر عمرو بن العاص رضي الله عنه يوما على مقبرة فنزل وصلى ركعتين قريبا من القبور
فسئل عن ذلك فقال اني رأيتهم قد حيل بينهم وبين الصلاة فأحببت أن أتقرب لهم بينهم بركعتين استغناما
للعمر وقد كان مجاهد رحمه الله تعالى يقول أول من يكلم الميت حفرته فتقول له أنا بيت الغربة أنا بيت الظلمة
أنا بيت الدود هذا ما أعددته لك فما ذا أعددت لي وقد كان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لما مات
هرم بن حيان رضي الله عنه جاءت سحابة فظللت على سريره فلما واريناه رشت على قبره حتى ساح الماء
ولم يزل على ما حول قبره قطرة وكان أبو ذر رضي الله عنه يقول الا أخبركم بيوم فقري يوم أوضع في قبري
وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقعد بين القبور كثيرا فسئل عن ذلك فقال انهم يذكروني معادي واذا
قمت وفارقتهم لم يغتابوني وكان جعفر بن محمد رضي الله عنهما يأتي المقابر وينادي بهم فلا يجيبونه فيقول
لنفسه يا جعفر كأنك وقد صرت مثلهم لا تجيب المنادي ثم يصف قدميه للصلاة فلا يزال كذلك الى الفجر
وفي الحديث ما من ليلة الا ومناد ينادي يا أهل القبور من تغبطون اليوم فيقولون نغبط أهل المساجد لأنهم
يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلي ويذكرون الله تعالى ولا نذكره وكان عطاء السلمي رحمه الله تعالى
اذا جنه الليل يخرج الى المقابر فلا يزال يناجيهم الى الفجر وكان أحمد بن حرب رحمه الله يقول ان الأرض
لتعجب من رجل يمهد فراشه للنوم في دار الدنيا وتقول له ألا تذكر طول رقادك في بطني من غير أن يكون
بيني وبينك فراش وكان ثابت البناني رحمه الله تعالى يقول دخلت المقابر فلما أردت الخروج منها اذا أنا
بصوت حزين يقول يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس معذبة فيها وقد وقف محمد بن سليمان
على قبر ابنه رحمهما الله تعالى وقال اللهم اني أصبحت أرجوك له وأخاف عليه كما أخاف على نفسي فحقق رجائي
فيك يا أرحم الراحمين اه وقد وقف أبو سنان على قبر ولده رحمهما الله فقال اللهم اني قد عفوت عنه وغفرت
له ما وجب لي عليه فأسألك أن تغفر له ما وجب لك عليه يا كريم وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول
رأيت محمد بن يسار بعد موته رحمه الله تعالى فقلت له ماذا فعل الله تعالى بك فدمعت عيناه وقال رأيت والله
أهوالا وزلازل عظاما شدادا ثم خر مالك مغشيا عليه وكان يقع له ذلك كلما حكى هذه الحكاية ثم حكاها يوما
فغشي عليه ومرض ثم مات بعد ثلاثة أيام رحمه الله تعالى ولما مات منصور بن عمار رحمه الله تعالى رآه بعض
أصحابه في المنام فسأله عن حاله وما فعل الله تعالى به فقال قال لي عز وجل يا منصور قد غفرت لك على تخليط
كثير كان منك لأنك كنت تحرض الناس على كثرة ذكري وقد كان الحرث المحاسبي رحمه الله تعالى
لا يزال يذكر أهوال يوم القيامة ويقول لأصحابه اجعلوا الأهوال التي بين أيديكم على بالكم لعل أن تتوبوا
عن المعاصي قبل موتكم فانه ما من أحد يقضي ربه عز وجل الا وهو ناس للحساب ومقاساة الأهوال واني
أحذركم وأحذر نفسي من يوم لي الله فيه على نفسه أن لا يترك عبدا حتى يسأله عن عمله كله دقيقه وجليله
يسيره وعلانيته فانظروا بأي بدن تقفون بين يديه مع هول ذلك الموقف وبأي لسان تجيبون فأعدوا للسؤال
جوابا وللجواب صوابا وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول كم من فضيحة يكشفها الحساب غدا وكان
أبي بن كعب رضي الله عنه يقول يؤتى بالنار يوم القيامة تقاد بسبعين ألف زمام على صورة الجاموس يقود
كل زمام منها سبعون ألف ملك مغلقة أبوابها عليها ملائكة سود معهم السلاسل الطوال والأنكال الثقال
وسرابيل القطران ومقطعات النيران لأعينهم لمعان كلمع البرق الخاطف ولوجوههم لهب كالنار شاخصة

غرائبها فتعلقت قلوبهم
بالالتفات اليها والتفكر
فيها وفي كيفية انفتاح بابها
عليهم واستيلائه على غيرهم
وذلك غرور لأن عجائب
طريق الله ليس لها نهاية
فمن توقف مع كل أعجوبة
وتقيد قصرت خطاه وحرم
الوصول الى المقصد ومثال
ذلك كمن قدم على ملك
فرأى على باب ميدانه روضة
فيها أزهار وأنوار ولم يكن
قد رآها قبل ذلك ولا رأى

أبصارهم لا ينظرون الى ذى العرش جل جلاله تعظيما له فاذا دنت النار وكان بينها وبين الخلائق خمسمائة عام زفرت زفرة فلا يبقى أحد الا جثا على ركبتيه وأخذته الرعدة فصار قلبه معلقا الى حنجرته لا يخرج ولا يرجع الى مكانه وذلك قول الله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين وينادى ابراهيم الخليل وغيره من الانبياء اللهم لا تهلك عبادك بخطيئاتنا ثم توضع النار عن يسار العرش ثم يؤتى بالميزان فيوضع بين يدى الجبار جل جلاله ثم يدعى الخلائق الى الحساب فلو أن لرجل مثل عمل سبعين نبيا ما ظن أنه ينجو من شدة ذلك اليوم ومكث عتبة الغلام يأكل الخبز بالماء ثلاثين سنة وكان يأتدم فى بعض الأحيان بالملح أو البقل أو الخل وكان يعجن عجينته ويقرصه فى الشمس فاذا جف أكله ويقول الزاد بالا كل ظان يردعنى كلب الجوع وكان يحيى بن معاذ يقول جوع الصديقين تكرمة لهم وجوع الزاهدين جوع حكمة وكان أبو سليمان الدارانى يقول الجوع عند الله فى خزائنه لا يعطيه الا لمن أحب وكان يقول أحلى ما تكون العبادة لى اذا لصق بطنى على ظهرى وكان يقول لأن أترك لقمة من عشائى أحب الى من قيام ليلة الى الصباح وكان وهب بن منبه رضى الله عنه يقول التقى ملكان فى السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر من أين أتيت فقال أمرت بسوق حوت فى البحر الى فلان اليهودى ليأكله فقال الآخر ومن أين جئت قال أريق زيتا اشتهاه محمد العابد خوفا أن يأكله فينقص من حظه فى الآخرة وفى الحديث طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع * ورأى بعض الملوك فقيرا جالسا فى ظل قصره فأكل كسيرة يابسة بلها بالماء ثم شرب ونام فلما استيقظ طلبه السلطان وقال أما أكلت الكسيرة وشربت الماء عليها ونمت كنت راضيا عن ربك فقال نعم فدارت الكلمة فيه ثم خرج من ملكه ولبس المسوح وخرج سائحا ومر عمر بعامر بن قيس وهو يأكل ملحا وبقلا فقال له يا قيس رضيت من الدنيا بهذا فقال نعم ولكن أدلك على من رضى بأيسر من هذا فقال نعم فقال من رضى بالدنيا عن الآخرة وكان محمد بن واسع يخرج خبزا يابسا ويبله بالماء والملح ويأكله ويقول من رضى من الدنيا بهذا لا يحتاج الى الناس * ودق هرون الرشيد باب الفضيل بن عياض بمكة لما حج هرون فلم يفتح له فقال جعفر البرمكى افتح لرجل تجب عليك طاعته فعلم الفضيل أنه الرشيد ففتح له فتحادثا طويلا ثم أمر له بعشرة آلاف دينار فلم يقبلها الفضيل فقال له فرقها على المساكين فقال من جمعها فهو أحق بتفرقتها ثم غافله وهرب وترك الرشيد فى البيت فما ظهر الفضيل حتى خرج الرشيد من مكة * وتقدم قول سفيان الثورى تعففوا عن الأكل من أطعمة الناس جهدكم فانه ما وضع رجل يده فى قصعة رجل الا ذل له اهـ وكان يزيد الرقاشى اذا وقع بصره على قبر يصرخ كما يصرخ الثور وكان حاتم الاصم يقول من مر بالمقابر ولم يتفكر فى نفسه ولم يدع لنفسه ولهم فقد خان نفسه وخانهم وكان كرز بن وبرة اذا رأى قبرا بكى وقال ليت أمى كانت عقيما فان لولدها فى القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك أهوالا عظاما يشيب منها الأطفال وكان الحسن بن صالح اذا رأى القبور يقول ما أحسن ظواهركم وانما الدواهى فى بواطنكم وكان شقيق البلخى يقول القبر روضة من رياض الجنة على من كان يذكره وحفرة من حفر النار على من نسيه وحفر الربيع بن خيثم قبرا فى داره فكان كلما وجد فى قلبه قساوة ينزل فيه ويتفكر فى أمره وما يلاقيه من أهوال يوم القيامة فلا يزال كذلك حتى يصبح ونزل فيه مرة وصار يردد قوله تعالى قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا ثم قال يا ربيع قد ارتجعناك وها أنت فى الدنيا فقم للصلاة فيقوم * وخرج الحسن البصرى فى جنازة امرأة الفرزدق الشاعر فقال الحسن للفرزدق ماذا أعددت لهذا اليوم فقال أعددت له شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله منذ ستين سنة فقال أفلحت يا فرزدق ان مت عليها وجاء حوشب بن مالك الى مالك بن دينار فقال انى رأيت البارحة كأن مناديا ينادى أيها الناس الرحيل الرحيل فما رأيت أحدا ارتحل غير محمد بن واسع فصاح مالك صيحة وخر مغشيا عليه وكان سفيان بن عيينة يقول مات أخ لى فرأيته بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لى كل ذنب استغفرته منه وما لم أستغفره منه لم يغفره لى وكان صالح بن بشر يقول رأيت عطاء السلمى بعد موته فقلت له يرحمك الله لقد كنت طويل الحزن فى دار

مثلها فوقف ينظر اليها حتى فاته الوقت الذى يكون فيه لقاء الملك فانصرف خائبا (وفرقة أخرى) جاوزت هؤلاء ولم تلتفت الى ما يفيض عليها من الأنوار فى الطريق ولا الى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يلتفتوا اليها ولا عرجوا عليها بل جدوا فى السير فلما قاربوا الوصول ظنهم انهم وصلوا فوقفوا ولم يتعدوا ذلك فغلطوا

الدنيا فما فعل الله بك فقال أعقبني ذلك الحزن راحة طويلة وفرحا شديدا قال ورأيت الفضيل بن عياض
بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال لم أر شيئا أفضل من تأدية الفرائض فعليكم بها وكان عبد الله بن مسعود
رضى الله عنه يقول انى لأود ان حسناتى تفضل على سيئاتى ولو بمثقال ذرة ولو انهم أوقفونى بين الجنة والنار
وقالوا لى تمن ما تريد لتمنيت أن أكون ترابا وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لو أنى خيرت
بين أن أبعث وأحاسب ثم أدخل الجنة بعد ذلك لاخترت أن لا أبعث وكان أبو ذر رضى الله عنه يقول ان
خوف الحساب لم يترك على بدنى لحما وقد كان أبو هريرة رضى الله عنه يقول اذا سيق العصاة الى جهنم
وهم عطاش فأول ما يتحفون فى النار بسم العقارب والحيات فتذوب أبدانهم والعياذ بالله تعالى وقد كان
عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول فى قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع انه الشوك اليابس الذى
يقف فى حلوقهم وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول يرسل الله تعالى على العصاة البكاء فلو أن السفن
أجريت فى دموعهم لجرت وقد تقدم أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان يقول كم من وجه صبيح ولسان
فصيح بين أطباق الثرى يصيح انتهى وأقاويل السلف فى الخوف كثيرة والحمد لله رب العالمين

{ ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم } كثرة استشهادهم فى تربية المريدين بما أدب الله تعالى به
عباده المقربين من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام والأولياء والصلحاء رضى الله عنهم فى
الكتب السالفة وذلك ليعلم المريدون أن تقوى الله تعالى لم تزل مأمورا بها فى كل شريعة وقد كان شيخنا
سيدى على الخواص رحمه الله تعالى كثيرا استشهاده لشريعتنا بما فى الزبور من القوارع والزواجر
وكثيرا ما يخاطب الله تعالى فيه نبيه داود عليه الصلاة والسلام والمراد بذلك غيره نظير ذلك قوله تعالى
لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لئن أشركت ليحبطن عملك ويا أيها النبى اتق الله ونحو ذلك فكان الشيخ رحمه
الله تعالى يقول لنا اياكم أن تجالسوا المغتابين أو تصاحبوا النمامين فقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة
والسلام يا داود طوبى لمن لا يقف فى مواقف الخطائين ولا يجلس فى مجالس المستهزئين ولا يجالس المغتابين
ولا يصاحب النمامين يا داود من ذكر عيوب الناس أوهم أن يذكر عيوبهم فضحته على رؤوس الأشهاد يوم
القيامة يا داود من غض طرفه وصان فرجه وحفظ لسانه فهو عندى من المقربين وقد سمعته رحمه الله تعالى
يقول لبعض العلماء يا أخى عليك بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فان ذلك من زكاة العلم فقد أوحى
الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود اذا ترك العلماء الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ذهبت الهيبة
منهم وصارت فى السفهاء والأشرار طوبى للمنفردين عن الناس الصامتين عن عيوبهم طوبى لمن ترك
فراشه فى الليل وقام يناجينى فى شدة البرد والناس نائمون تحت لحفهم طوبى لقوم عظمونى ولم ينظروا الى
الفروج الحرام خوفا منى يا داود ما أهون ما يصانع بالزناة ان أذهب بهجة النضارة من وجوههم وأمحق
بركة عمرهم يا داود قل لبنى اسرائيل تغفلون عنى والأقلام جارية لا تغفل وقل للذين أغلقوا أبوابهم
وأرخوا ستورهم عند المعاصى انى لو شئت أهلكتهم وخسفت بهم الأرض يا داود قل لبنى اسرائيل يخافونى
ألبس وجوههم الهيبة والقبول وأجعل عدوهم تحت قدمهم كالكبش تحت السكين يا داود علامة من أحببته
أن يقل كلامه ويكثر استغفاره يا داود غض طرفك عن حرم المؤمنين تأتك الدنيا وهى راغمة يا داود قد
أحاط سخطى بالزناة الذين يفسدون حرم المؤمنين يا داود قل لبنى اسرائيل لا يعصونى سرا ويجعلونى فى
أعينهم أهون من عبادى فانى أعذبهم بالنار (وقد سمعته) رحمه الله تعالى كثيرا يقول ربما كانت النعم على
العبيد استدراجا لهم فقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود قل للعقلاء يخافون منى اذا
رادفت عليهم نعمتى ويكثرون من النوح كلما زادت عليهم النعم فان ذلك استدراج لهم ولو انى أحببتهم
لجردتهم عن الدنيا يا داود كن لليتيم كالأب الشفيق أكثر رزقك وأكفر ذنبك يا داود ما عظمنى من
عصانى يا داود اذا مرت بك امرأة جميلة فاذكر عرضك على يوم القيامة يا داود من لقينى وهو [illegible]

فان لله سبحانه وتعالى سبعين حجابا من نور وظلمة ولا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب الا و يظن أنه قد وصل واليه الاشارة بقوله تعالى اخبارا عن ابراهيم عليه السلام فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الآية وما أكثر فى هذا المقام أول الحجب بين العبد وربه نفسه فانه أمر ربانى عظيم وهو نور من أنوار الله أعنى سر القلب

من رعايتي يا داود غض طرفك وصن لسانك فانى لا أحب الفاسقين يا داود قل لبنى اسرائيل لا يقعوا فى
أعراض الناس فان الوقيعة فيهم تزمد القلب عمى وموتا طوبى لمن نظر فى عيب نفسه فأصلحه يا داود انقطع
الى تنكس لك رؤس الملوك والبس وجهك المهابة يا داود طهر ثيابك الباطنة فان الظاهر منها لا تنفعك عندى
(وقد سمعته) رحمه الله يقول لتاجر تحولت عنه الدنيا أبشر بخير فان الله تعالى قد أحبك فقد أوحى الله تعالى
الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود لا تقوم الساعة حتى يذل الأشراف وترتفع الأذلة ويهجر كتابى فلا يتلى
ويكثر فيه رزق العاصى والفاجر ويقل فيه رزق المؤمن الطائع الفاضل فاذا صار الأمر الى ذلك حببت الدنيا
الى أهل ذلك الزمان ومنعتهم من محبة الآخرة فاذا فعلوا ذلك سلطت عليهم سيف النقمة وأعليت أسعارهم
وجعلت الصغير لا يوقر الكبير وابتليتهم بالفسق والفجور وذلك جزاؤهم عندى يا داود كم من لسان فصيح
أخرسته عن النطق بالشهادة عند الموت لكثرة وقيعته فى الناس يا داود قل لبنى اسرائيل ان لم تهجروا آباءكم
وأخاكم وولدكم من أجلى فلا أقبل لكم صلاة يا داود قل لبنى اسرائيل ردوا التبعات التى عليهم قبل الموت فانى
أقسمت على نفسى ان أبعث صاحب التبعات وفى عنقه طوق من نار يكوى به بكل تبعة كية يا داود ليس كل من
صلى قبلت صلاته ولا كل من عبد نفعت عبادته * وقد سمعته رحمه الله تعالى يقول لبعض الاخوان عليك
يا ولدى بتقوى الله واياك أن تعصى ربك عز وجل وتقول ربنا غفور رحيم فان ذلك من تسويلات النفس
وكيد ابليس وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود قل لبنى اسرائيل كم من ليلة تجاهرونى
بالمعاصى ثم أصبحتم تخادعونى بالاستغفار من غير اقلاع عنها كأنكم تعاملون من يغيب عنه فكركم وخداعكم
يا داود قل لبنى اسرائيل صونوا أحداقكم فكم من نظر نظر الى أخيه وهو فى فاحشة فأشاعها عنه وقد أتى
هو أكبر منها ولم أفضحه ولو شئت لفضحته يا داود من طلب العلم لغير وجهى أدخلته النار يا داود من عمل
بالمعاصى وسترها عن المخلوقين هل يقدر على سترها منى يا داود طوبى للذين يستحيون منى أن يعصونى فى
الخلوات يا داود اصحب النواحين واترك البطالين وقل لعصاة بنى اسرائيل كيف تستحيون من عبادى ولى
وجلالى لكم ظهر من جلالتهم لا تى شيدهم (وقد سمعته) رحمه الله تعالى مرة أخرى يقول لشخص
لا يعيش له ولد قل الحمد لله الذى لم يشغلنى بأهل ولا ولد فقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام
يا داود لا تطلب الأولاد فليس كل الأولاد ينفع رب ولد أشغل والده عن ربه وأشعل عليه قبره نارا يا داود
احفظنى بظهر الغيب أحفظك فى الملأ وأكثر من ذكرى أكثر لك من الرزق يا داود لا تبغ على من بغى عليك
فتستخلف نصرى عنك يا داود قل لبنى اسرائيل كم تعلمون أن الدنيا فانية وتتعبون جوارحكم فى جمعها يا داود
قل لبنى اسرائيل أما تخشى أحدكم اذا عصى أن أقبضه على تلك الحالة قبل التوبة فيلقانى وأنا غضبان عليه
فأورده النار وبئس المصير يا داود لو شئت لأمرت السماء ان تقع على العاصى أو أمرت الأرض ان تبتلعه
يا داود قل لبنى اسرائيل اذا أردتم المعصية فاذكروا اهتول الزبانية وضيق الأغلال فى طباق النيران يا داود لو
اطلع عبادى على غضبى عليهم اذا عصونى لماتوا ولكنى احتجبت عنهم غضبى رحمة بهم يا داود ضع خدك على
التراب وناجنى يا داود أبوك آدم من أكرم الناس على لم يمس فرجه الحرام ولم يقتل نفسا وانما نهيته عن الأكل
من الشجرة فأكل منها ناسيا فتطايرت الحلل من على بدنه وسقط التاج عن رأسه وأوقفته موقف الندم
فكيف بمن مس فرجه حراما وقتل نفسا سبحانى ما أرأفنى بكم أيها الخلق وما أقل حياءكم منى تعصونى
وعينى ترعاكم ولو أن أحدا من عبادى يراكم لذبتم حياء منه وأنا أولى بالحياء يا داود ملى أراك مطمئنا لا تبكى
مع الباكين ولا تنوح مع النائحين فلو رأيت النار وزبانيتها وما أعددت للزناة فيها لذبت كما يذوب الرصاص
فى النار يا داود تجد منك على وجهك فى الثلج أهون عليك من مناقشتى لك فى الحساب وعزتى وجلالى لا وقفن
الخصوم وأسأل أحدهم عن وزن الخردلة يا داود قل لبنى اسرائيل ترمقون وتزنون بأعينكم كأنكم

الذى تتجلى فيه حقيقة الحق
كما هى حتى انه ينسخ عمله
العالم كله ويحيط به صور
الكل فعنده يشرق نوره
اشراقا عظيما اذ يظهر
فيه الوجود كله على ما هو
عليه وهو فى أول
الأمر محجوب بمشكاة
هى الساتر له فاذا تجلى نوره
وانكشف جمال القلب
بعد اشراق نور الله عليه
ربما التفت صاحب القلب

تظنون أني لا أراكم يا داود من عصاني في الخلوات أطلعت المخلوقين على مساوي أعماله وفضحته وأدخلته النار انتهى مما سمعته من مواعظ الزبور وقد جمعت مواعظها كلها في جزء فطالعه والحمد لله رب العالمين

وليكن ذلك آخر كتاب تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله فلما شرعت في خطبة الكتاب كنت في حصر عظيم من عدم وجود المواد التي أستمد منها في الكتاب فدخل علي شخص بكتاب عتيق مخروم من الأول بخط كوفي تاريخ كتابته خمسمائة سنة وشيء فوجدته مشحونا بأحوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين ورأيت مؤلفه يروي عن وكيع بن الجراح من أقران الإمام مالك رضي الله عنه ففرحت بذلك أشد الفرح فشيدت به أخلاق هذا الكتاب وكان من يطالعه يصحب الصحابة والتابعين وتابع التابعين ورأى أقوالهم وأفعالهم وورعهم وزهدهم وخوفهم وخشيتهم رضي الله عنهم أجمعين وقد ذكرنا في خطبته أن من طالعه بانصاف رأى نفسه قد انسلخت من أخلاق القوم كما تنسلخ الحية من ثوبها فنسأل الله تعالى من فضله أن ينفع به الاخوان ومن بعدهم ويختم لنا ولهم بالحسنى وأن يجعل آخر كلامنا من هذه الدار أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ونذكر من كلام المؤلف من الاخلاق المتبولية من آخر الكتاب الخاتمة وما يتعلق بها ان شاء الله تعالى وكان الحسن البصري يقول ان الله عز وجل يقول لآدم سرت يوم القيامة عدل بيني وبين ذريتك فمن رجح خيره على شره مثقال ذرة دخل الجنة حتى يعلم أني لا أعذب الا ظالما لنفسه وكان مجاهد يقول في قوله تعالى تتقلب فيه القلوب والابصار أن تقلب القلوب هو انتزاعها من أماكنها وان تقلب الابصار هو أن تنقلب من الكحل الى الزرقة ومن الابصار الى العمى اه والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) حلمهم لمن تكرههم على انه انما يكرههم بحق وصدق خوفا من تزكية نفوسهم وتبرئتهم من العيب اذا حملوهم على أنهم كرهوهم بغير حق وقد كان أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى اذا بلغه عن أحد أنه يكرهه وينكر عليه يقول والله ان قلت هذا أثر الذي أدرك نقصي الباطن وما اطلع عليه من الفواحش التي أخادع بها ربي عز وجل اه وكذلك كانوا يناقشون نفوسهم اذا كرهت هي أحدا من المسلمين ويقول أحدهم لنفسه ان كراهتك لأخيك بغير حق ولم لا حملته على المحامل الحسنة فيكون أحدهم على نفسه اذا كرهها أحد أو كرهت هي أحدا وعلى ذلك درج السلف الصالح كلهم فكانوا يتهمون نفوسهم في كل شيء ادعت الصدق فيه من مقام أو حال ويقول أحدهم لنفسه هي أنتي أكذب عليك في نسبتك الى الرياء والنفاق مثلا كما تقولين في هذا الغريب الذي وصفك بذلك فانه لا يجوز لك نسبته الى الكذب الا بطريق شرعي وليس معك طريق وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول مكثت سنة ونفسي تنازعني في دعوى الاخلاص وأنا أقول لها تكذبين حتى مررت يوما في أزقة البصرة فاذا بامرأة تقول لأخرى ان أردت أن تنظري الى رجل مراء فهذا مالك بن دينار فانظري اليه قال مالك ففرحت الذي انتصرت على نفسي وقلت لها يا نفس اسمعي لقبك الصحيح من هذه المرأة الصالحة اه وكان بعد ذلك يقول من أراد أن ينظر الى رجل مراء فلينظر الي وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لأن أحلف اني مراء أحب الي من ان أحلف اني لست بمراء وكان كثيرا ما يعاتب نفسه ويوبخها ويقول كنت يا فضيل في شبوبيتك فاسقا عاصيا وصرت في كهوليتك مرائيا منافقا والله للفاسق والعاصي أخف اثما عند الله من المرائي والمنافق لأن العاصي ينتظر من الله المغفرة ولا كذلك المرائي والمنافق لأنه ذنب قل أن يشعر به صاحبه حتى يتوب منه فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) ذكرهم لمناقب أقرانهم الذين يكرهونهم ويحسدونهم ولا يمدحهم

الى القلب فرأى من جماله الفائق ما يدهشه فربما صرح وقال أنا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك ووقف عنده هلك وبهذا المعنى نظر النصارى الى المسيح عليه السلام لما رأوا من اشراق نور الله عليه فغلطوا كمن رأى كوكبا في مرآة أو في ماء فيظن أن الكوكب في المرآة أو في الماء فيمد يده اليه ليأخذه فهو مغرور

حسدهم لهم وعداوتهم عن ذكرهم بخير وقد كان بين عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رحمهما الله تعالى بعض شيء فذكروا عمرا عند خالد يوما فأثنى عليه خيرا فقيل له أنه يكرهك فقال ان الذى كان بيننا لم يبلغ الى ديننا اه وقد تخلقت أنا بذلك بحمد الله وذكرت مناقب أعدائى وحسادى من الفقراء والعلماء بالنظر الى جانبهم لا الى جانبى فانى لا أعادى أحدا من المسلمين لحظ نفسي وأعلم ان الذين يعادونى لعدم تظاهرى لهم بما يوجب العداوة من ترك صلاة أو شرب خمر أو تهاون الناس اذا ذكروا بالنقائص من ورائهم أو مزاحمتهم فى أمور الدنيا ونحو ذلك بعد أمنع شدة عداوتهم لى وقد جعلت ذلك كالبرهان على عناية الله تعالى بى فان غالب الناس لا ينشرح لذكر اسم عدوه على لسانه فضلا عن أن ينشر محاسنه بين الاقران وقد ذكرنا فى كتاب المنن جملة من ايذائهم لى فبعضهم سعى فى قتلى مرات وبعضهم سعى فى اخراجى من مصر وبعضهم دس فى كتبى عقائد مخالفة لاهل السنة والجماعة وأشاعها عنى فى مصر والحجاز كما أشرنا اليه فى خطبة هذا الكتاب وبعضهم افترى على عند الباشا على الوزير باشت مصر أمورا لا ينبغى لمؤمن أن يتلفظ بها ومدار جميع الأذى الذى وقع لى من ثلاثة أنفس من أهل مصر ممن ينسب الى العلم والصلاح وقد درج الثلاثة الى رحمة الله تعالى وأبرأت ذمتهم فى الدارين وانما ذكرت ذلك لتتأسى بى اخوانى فى تحمل الأذى من أهل عصرهم مع أن هؤلاء الثلاثة الانفس كانوا يكره بعضهم بعضا ولكن اجتمعوا كلهم على لمزاحمتى لهم بالدعوى فى اسم الصلاح والعلم لا غير فصنعوا الى الأذى على صنوف وسائر أهل مصر يردو سلام على وقد بالغت فى ذكر مناقب هؤلاء الثلاثة فى طبقات العلماء والصوفية وذكرتهم بأحسن الذكر بضد ما فعلوه معى اظهارا لما من الله تعالى به على من العفو والصفح والمسامحة وليقتدى بى الاخوان ولم أعلم ان أحدا سبقنى الى مثل ذلك من أقرانى بل المنقول عن بعضهم مقابلة الاعداء بنظير ما فعلوا والحمد لله الذى خلقنا بهذا الخلق المحمدى وجعلنا ممن لم يجز بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح والحمد لله رب العالمين الغفور الرحيم

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) طرح نفوسهم بين يدى الله تعالى اذا اطلعوا من طريق كشفهم على وقوعهم فى شىء من المعاصى فى المستقبل ونبرئهم من حولهم وقوتهم ويصيرون يقولون فى دعائهم وفى سجودهم وغيره اللهم ان كان ما اطلعت عليه قد حق به التقدير الالهى فاستر نافيه بين الناس ولا تؤاخذنا به فى الدنيا ولا فى الآخرة صدقة من صدقاتك علينا وان لم يكن كذلك قد حق به التقدير الالهى فنسألك من فضلك أن تزيله من شهودنا فانه قد كدر وقتنا فان الله تعالى ربما أجاب دعاء العبد وستره وغفر له أو محاه من ألواح المحو والاثبات الثلاثمائة وستين لوحا وايضاح ذلك نحن أنا فى المخالفات بحكم التقدير الالهى من غير ميل ولا شهوة ربما يكون تخفيف عقوبة ممن أتاها بالميل والشهوة وكان بعضهم يقول فى سجوده اللهم انك تعلم عجزى عن رد شىء من أقدارك النافذة فى فاغفر لى ما قد جنيته صدقة من صدقاتك على يا أرحم الراحمين فانه لا يغفر الذنوب الا أنت فاعلم ذلك واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) عدم اتعاب سرهم فى تنميق ألفاظ فى تأليف وكثرة تحريره الا بنية صالحة ليمدحهم الناس على ذلك ويقولوا ما أفصح فلان فى هذا التأليف واعلم يا أخى أن البشر ولو بالغ فى تحرير كتابه حتى حرره أشد تحرير فلا بد له غالبا من نسيان شرط لمسئلة فى بعض الاوقات أو اطلاقه فى محل التفصيل قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وكان الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه يقول ما صنفت كتابا قط عن تدبر ولا اختيار انما كنت أكتب فى مؤلفى ما يلهمنى الله تعالى اياه وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول بسبب كون كلام البشر لا يسلم من الخطأ والتحريف أو التناقض عدم اليقظة الدائمة فلذلك كان يقع فى الغفلات والسهو وكان سيدى أحمد الزاهد رضى الله عنه يقول من الأدب أن لا يطلب العبد عدم الاعتراض عليه مطلقا بل يهرب من مضاهاة كلام الله عز وجل ما أمكن اه

وأنواع الغرور فى طريق السلوك الى الله لا تحصى فى مجلدات ولا نستقصى الا بعد شرح جميع العلوم الخفية وذلك مما لا رخصة فى ذكره وقد يجوز اظهارها حتى لا يقع المغرور فيها وبالله التوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

انه تجد فيه التركيب والاعرابه لا عيبا فكر مصلحا بالتصويب

١٥ - محرم - ١٤٢٣

٢٦ - مارت - ٢٠٠٢

# فهرست كتاب تنبيه المغترين

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة



﴿تمت﴾